سوهو..

سوهو..

رواية

أحمد عبد الغني

الطبعة الأولى / ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

دار العين للنشر

٤ ممر بهلر – قصر النيل – القاهرة

تليفون: ٢٣٩٦٢٤٧٥ ، فاكس: ٢٣٩٦٢٤٧٦

E–mail: elainpublishing@gmail.com

الهيئة الاستشارية للدار

أ.د. أحمد شوقي

أ. خالد فهمي

أ.د. فتح الله الشيخ

أ.د. فيصل يونس

أ.د. مصطفى إبراهيم فهمي

المدير العام

د. فاطمة البودي

الغلاف: ماجد ادوار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٦٩٨ /٢٠١٨

I.S.B.N 978 – 977 – 490 – 527 – 8

سوهو..

روايــة

أحمد عبد الغني

دار العين للنشر

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عبد الغنى، أحمد

سوهو: رواية/ أحمد عبد الغنى.

الإسكندرية: دار العين للنشر، ٢٠١٩

ص؛ سم.

تدمك: ٨ ٥٢٧ ٤٩٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣

رقم الإيداع / ٢٣٦٩٨ / ٢٠١٨

إهداء

إلى كل مَنْ أَحَبَّ وتمسك ودافع عن حبه، إلى كل مَنْ أيقن أن الحب هو أسمى ما فى الوجود، وأن الحب هو الحياة...

1
ليلى..

كنت دائمًا أرى أن الحب الأول.. يبدأ كحلم ثم يتسرب إلى داخل القلب رويدًا رويدًا حتى يسكن القلب والجسد والروح.. ثم يبدأ في الذبول كالأزهار التي لا تروى.. ولكنه لا يموت.. وبعد مرور كل تلك الأعوام تأكدت من صدق تلك المقولة..

عشرة أعوام انقضت منذ آخر لقاء جمع بين أرواحنا المرهقة المتلهفة والباحثة دائمًا عن الحب والعطف والحنان.. أيام انقضت وأحداث انطوت وانزوت إلا تلك اللحظات التي ما زالت أتذكرها كأنها كانت الآن..

كان وصفه لي ساحرًا.. كلامه كان يأخذني إلى عالم آخر.. تكلم ووصف

ضفائري المنسدلة على وجهي المستدير مثل القمر في استدارته في تلك الليلة كما قال.. كان ينظر إلى وجهي وينظر إلى القمر في آن واحد.. يعقد المقارنة بينهما ويرى أنني أنير المكان من حوله أكثر من ضوء القمر الضارب بظله بجوارنا على أمواج البحر، في سكون الليل تصدر الأمواج أصواتها من حولنا فتعزف ألحانًا موسيقية رقيقة في خلفية الحديث بيننا لترتسم لوحة فنية رقيقة كرسم فنان يرسم بريشته.. لكن الحقيقة أحلى دائمًا من الرسم ومن اللوحات الفنية..

لم أستطع الهروب من حبه طوال تلك الأعوام.. انتقلت من حال إلى حال ومن بلد إلى بلد آخر.... ولا زلت أطالع وجهه كل يوم آلاف المرات في وجوه كل من حولي.. ولا أرى سواه.. أراه في وجه زوجي.. في كل لحظاتنا معًا... أراه يجامعني.. يقبلني.. يحتضني يحتويني.. يشبع رغباتي ويطفيء شهوتي التي لم يستطع زوجي أن يرويها.. يلامس جسدي الممدد أمامه وينهل مني ويرتوي من أثدائي التي تناديه.. وتتمنى قبلة منه.. تتمنى لو كانت بين يديه الحانية بدلًا من أيدي زوجي الخشنة التي أرهقتني وأتعبتني ودائمًا تؤلمني حتى كرهتها.. رأيته في ابني الذي أسميته على اسمه... عمر...

امتدت يده لتمسك يديَّ وتحتضنها لأول وآخر مرة.. تعانقت أصابعنا بدلًا من عناق أجسادنا.. تكلمت أعيننا.. صمت طويل وشفاه ترتعش.. كلانا يحاول أن ينطق ولا يستطيع.. وكأننا أطفال في المهد لا يعرفون الكلام..

تغوص أقدامنا في رمال الشـاطئ وتتحرك حركات ملتوية ترسـم بعض الخطوط المتعرجة المتداخلة وكأنها ترسم طريق حياتنا.. نسمات من الهواء البارد معطرة برائحة اليود من البحر تحيط بنا..الموج يرتطم بصخور الشاطئ فيعلو صوت ارتطامها على صمتنا..

جسدان ملقيان على الكراسى الخشبية الممدة على الشاطئ.. لايتحركان.. فقـط ينظران بعضهما إلى البعض... لم يهتما باختفاء الجميع من حولهما ولا بقدوم الليل ليرخي سـدوله عليهما... كل منا يرى أن الظلام حولنا غير موجـود وأن ومض أعيننا يكفى الآخر لينير له دنيـاه كلها وليس المكان من حولنا فقط..

أضواء الشاطئ الضعيفة أضفت مزيدًا من الرومانسية والشاعرية وأضفت مزيدًا من الهدوء على المكان وعلى الحوار أيضًا بيننا.. في هذه اللحظة كنت قد اتخذت القرار الحاسم في إنهاء علاقتنا معًا.. نهاية حالمة.. رقيقة.. مهذبة.. نهاية تُبقي على أمل ولو بسيط ليجمع بيننا مرة أخرى..

شعرة معاوية.. هي التي تفصل بيننا.. هي التي يحاول كل منا الإبقاء عليهـا على أمل الرجوع والعودة مرة أخـرى.. تذكرته وتذكرت لقاءاتنا الأولى معًا.. تذكرت ابتسامتي بعد تخرجي من الجامعة وشعرت أن الدنيا تكافئنـي.. على صبري واجتهادي في دراسـتي.. على التزامي دائمًا وعدم اختلاطي بالشباب من حولي.. وكانت المكأفاة هي عمر..

هـا هي الدنيا تلتقط لي صورًا مع عمر حبيبي الأوحد.. حبيبي الأول الذي لم أعرف غيره من قبل ولم أعرف معنى الحب إلا على يديه.. وتمنيت أن تكـون نجاتي من معاناتي على يديـه.. وأن تكون نهايتي بين أحضانه.. ولكنهـا الحياة التي عصفت بي حتى فاضت دمائي من أسـفلي.. وألقتني بين أيدي زوج شاذ..

عمر وليلى.. قصة حب سيشهد عليها الكثيرون.. أصدقاؤنا.. أهلنا.. كلهم سيشهدون تلك القصة.. بل ورمال هذا الشاطئ وأضوائه.. وهذا الميدان من خلفنا.. سيشهد قصة حب بدأت هنا..

كنـت دائمًا أناديه بعيني فيلبي النداء سـعيًا وطوافًـا حولي.. كان قلبنا يتراقص ونحن نمشي معًا على شاطئ البحر.. لا نشاهد شيئًا مما حولنا.. نحن فقط نسير خلف أشواقنا.. نعيش على أمر واحد.. هو الذي يحركنا.. يأمرنا فنطيع أمـره.... حتى أصدر الحب أمره لنا بالفراق.. نطق بالحكم وأمرنا.. وها نحن هنا الآن.. نستعد لتنفيذ الحكم..

2
عمر..

احتضنها بشدة.. بكى في حضنها.. وبكت هي أيضًا.. فالحضن احتواء.. فيه علاج وشـفاء لكل داء.. حضن الأم يحتوينا ويعلمنا الحنان والرفق.. حضن الأب هو الأمان والسـند والدعـم لمواجهة الحياة.. أما حضن من نحب فهو الحياة نفسها.. نرتمي في أحضان أحبائنا ونختفي عن الوجود.. فيحتوينا الحضن..

أحس بسـخونة دموعها تنساب على وجنتيها.. حرارة جسدها تنتقل إليه.. امتدت يداه تحاوطها.. تتشابك أيديهم.. كان يضغط على يدها أكثر وأكثر.. رفع يدها وقبلها.. استمر في تقبيل أصابعها واحدًا يتلوه الآخر..

ثم كف يديها من الداخل حتى قبل عنقها برفق.. وتبادلا القبلات.. أحاطت هي الأخرى بيدهاعلى خصره.. وتقربه منها رويدًا رويدًا.. تعلو أنفاسها وصرخاتها.. وهي بجواره..

تحـاول أن توقظـه كما هي عادتها دائمًا.. بـصراخ وصوت جهوري لا يتناسب مع امرأة..

– إصحى يا عمر.. إحنا كدا هنتأخر.. يلا الولاد وأنا مستنيين..

– حـاضر.. إهدى شـوية بس.. أنا مش هتأخر.. إنـت عارفاني.. أنا دايمًا في الميعاد..

– لا يا حبيبي إنت دايمًا بتتأخر.. وبتأخرنا عن كل مواعيدنا.. ومبتتأخرش غير في الخروج والفسـح إللي معانا وبس.. لكن غـير كدا دايمًا مواعيدك مظبوطة وساعات بتخلص بدري بدري..

– كالعادة.. ترمي كلام واتهامات وخلاص.. عمومًا الحكمة بتقول.. أن تأتي متأخرًا أفضل من أن لا تأتي على الإطلاق..

– تتأخـر في المواعيد المهمة بـس.. أما في المواعيد التانية لا تتأخر وإنما تأتي مبكرًا..

سكتت داليا وابتسمت في دلال.. وانطلقت مسرعة بعدما ألقت بكلماتها الثقيلة دائمًا، كلمات طالما ابتلعها في انتظار أن تتحسـن لغتها وأن تشعر به

وبما يكنه صدره.. إلا أنها دائمًا ما كانت تقذف بالحجارة على رأسه وتصيبه بجروح في نفسه حتى يتألم دائمًا من تلك الكلمات ويؤثر الصمت ويقارن بينها وبين ليلى..التي أحبته بجنون وتركته في جنون.. التي ألهبت حماسه بكلمة ولم تجرحه يومًا.. تركته برفق ولين.. أما زوجته فلم تترفق به.. ولم يلن قلبها له حتى بعدما فعل الكثير والكثير من أجلها.. ولكنه اعتاد تلك الكلمات والأفعال غير المبررة منها.. وكثيرًا ما كان ينهي الحوار بنظرة منه وإشارة بالصمت.. وهو ما لم يفعله الآن.. فقد تكلمت هي وأنهت الحوار وتركته على الفراش يحاول أن ينهض مسرعًا.. فأولاده ينادونه من خارج الحجرة ليرتدي ملابسه حتى ينطلقوا في رحلتهم السنوية إلى شرم الشيخ.. تلك المدينة التي عشقها بجنون منذ أول يوم وطئته قدمه فيها.. وهي التي شهدت على بداية حبه ونهايته أيضًا.. لا يزال يحفظ شوارعها وأسواقها وفنادقها وشواطئها.. له في كل مكان ذكرى.. في المطار.. في موقف السيارات والحافلات.. في خليج نعمة عندما كان يمشى بجوارها وتتلامس أيديهما بدون قصد مرة وبقصد مرات.. يمشيان جيئة وذهابًا في السوق القديم.. يشاهدان المحلات.. يشتريان لبعضهما الهدايا.. يقفا ليضحكا ويشاور كل منهما على الآخر.. لم يريا ازدحام الشارع بالمارة ولا ازدحام الكافتريات والمطاعم بالضيوف من كل أنحاء المدينة.. لم يريا سوى أنفسهما فقط لا غير.. واليوم سيذهب إلى نفس المكان مرة أخرى.. عشرة أعوام منذ زواجه وهو يذهب بأسرته الصغيرة كل عام إلى نفس المكان

ليستعيد الذكريات.. ينتظرها أسفل شرفتها ولا تأتي.. ينتظرها في نفس الميدان.. في سوهو..

ملك وحمزة أولاده في انتظاره.. في انتظار أن يرتدي ملابسه وينتهي من ذلك الأمر مسرعًا حتى يذهبا إلى مكانهما المفضل.. هما لا يكترثان بأي مكان سيذهبان إليه.. هما يريدان أن يكونا مع والدهما على الرمال وفي البحر الذي يقذف بهما إليه.. يدركان أنه الملاذ والملجأ لهما من الدنيا كلها فيرتميان في حضنه في الماء وعلى الرمال.. ويلعبان..

حمزة يحضر المناشف لوالده ويداعبه ويأمره أن ينتهي من الاستحمام مسرعًا.. ويغلق عليه باب الحمام ويخبره أنه سينتظره بجوار الحمام حتى ينبهه ولا يتأخر وبلهجة طفولية بريئة ينادي عليه حتى لا يتأخرا عن الطائرة التي ستقلهما إلى شرم الشيخ، وملك تعد له ملابسه التي سيرتديها وتضع له الملابس على حافة الفراش حتى لا يتأخر.. وتخبره بذلك من خلف باب الحمام.. وينتظر الطفلان بجوار الباب في انتظار أن ينفتح ويخرج منه أعظم أب في الكون كما كانا يطلقان عليه.. يلا يا عمر.. يلا يادادي.. يلا عاوزين نسافر..

يخرج عمر مسرعًا ويذهب إلى حجرة نومه التي كلما دخلها يشعر بضيق السجن عليه لأنها المكان الوحيد الذي يغلق عليه مع داليا زوجته وسجانته..

يرتدي ملابسه ويتعطر بأفخر العطور.. وينادي على داليا حتى تعد له كوبًا من النسكافيه الذي يحبه حتى يستيقظ من غفوته.. ويبدأ في إجراء اتصالاته بأصدقائه الذين سيسافرون معهم.. عادل وزوجته نادين.. ثم اتصال آخر بقائد السيارة التابعة لشركة السياحة والتى ستقلهم جميعًا إلى المطار.. ثم إلى معبد حبه وعشقه وأرض غرامه..

ها هي الحقائب قد أعدتها داليا الماهرة جدًّا في هذا الأمر.. وها هي لعب الأطفال.. وها هي معدات الغطس والتصوير الخاصة به.. تلك المعدات التي اشترى واحدة منها لنفسه والأخرى لليلى سابقًا.. حتى يغطسا معًا في دهب وشرم الشيخ.. وللعجب لم يشترِ لداليا مثلها.. لأنها لا تشاركه تلك الاهتمامات..

علا صوت هاتفه يفيقه من غفوته وهو يجلس بجوار الحقائب ليجد السائق قد وصل أسفل المنزل.. فنادى على أولاده الذين كانوا بالفعل يجلسون فوق كتفه وفوق قدمه.. ينتظران تلك اللحظة.. فتقافزا من الفرحة.. فقد حانت لحظة الانطلاق.. وجاءت داليا مسرعة وفي يدها حقيبتها ونظارتها الشمسية.. وطبعت قبلة على جبينه لتعوضه عما قالته مبكرا.. ولم يتعجب فهي تفعل ذلك الأمر في الوقت الضائع دائمًا ولكنه اعتاد ذلك أيضًا ولم يفرح به..

تقبل قبلتها.. ودعا لها بالهداية.. وفتح باب المنزل ليأتي السائق ويحمل الحقائب.. وانطلق في رحلة البحث عن ذكرياته مرة أخرى على أمل أن يجد

ليلى في انتظاره.. وأغلق الباب من خلفه.. وذهب مسرعًا ليتحسس مكان حبيبته ومجلسها ويتذكر نظراتها إليه وهمسها له بكلمة أحبك التي طبعتها على خاتم لا يزال يحتفظ به حتى الآن.. تحسسه في جيبه.. وأمسك يدي طفليه وانطلقت السيارة مسرعة لمقابلة باقي الأصدقاء حتى تبدأ الرحلة..

3
داليـا

عـلى كتفه وضعت يديها ورقصا معًا.. فرحـت كما لم تفرح من قبل.. أدرك ذلك من عناقها الشديد له.. وقبلاتها الساخنة على شفتيه.. وأنفاسها المتوهجة التي تخرج سريعة وارتفاع دقات قلبها.. أضواء الشموع في المكان أعطت له مزيجًا من السحر والرومانسية.. عطرها الفواح الذي تعطرت به والتى تعلم أنه يعشقه.. أثر فيه وخدره وجعله يلتهمها بعينيه.. قبل شفتيه.. رآها اليوم كما لم يرها من قبل.. رآها اليوم وكأنه يرى زوجته لأول مرة.. احتفالًا بمرور عامين على زفافهما.. أعدت له تلك السهرة الرومانسية في محاولة منها أن تذيب الخلافات والعوائق التي بينها وبين عمر.. على أمل

استعادة زوجها مرة أخرى.. اعترفت له بحبها وعشقها له.. وقدمت اعتذراتها له عما بدر منها من عصبية في الأيام السابقة..

– معلش يا عمر.. أنا آسفة.. اعذرني أنا كنت وحشة جدًّا معاك الأيام إللي فاتت..

– ياااه.. داليا هانم بتعتذر وتتأسف.. دا من إمتى الكلام دا.. إستني.. أقفي وخلينا نبطل رقص.. إقفلي الأغاني شوية..خلينا نقعد نتكلم.. واضح إن الموضوع كبير..

– لا يا عمر.. مش هنبطل رقص.. ولا غنى.. خلينا نفرح شوية.. إحنا مبنتجمعش في اللحظة دي كتير.. خليني نايمة على كتفك وأحكيلك وأعتذرلك.. أنا مش قادرة أبص في وشك.. أنا مكسوفة منك وأرجوك متكسفنيش زيادة.. سيبني أتكلم..

– إتفضلي ياروحي إتكلمى.. بس نقعد مع بعض أحسن.. نهدى ونبص في عيون بعض وتاخدي راحتك وأنا أخد نفسي..

– تاخد نفسك دا إيه.. إنت تعبت من أولها ولا إيه.. دي أول فقرة في ليلة حبنا دي.. دا عيد ميلاد حبنا.. عيد ميلاد جوازنا التاني.. استعد لباقي المفاجآت.. بس أرجوك سيبني أعتذرلك وأكفرلك عن أخطائي..

– إتفضلي يا سيتي.. استمري..

– طب يـلا بقى الفقرة التانية علشـان متقعش منـي.. وتقلب الليلة بدري.. بدري..

– إيه هتعملي إيه يامجنونة..

– إتفرج وإنت ساكت.. ودفعته برفق إلى طرف الفراش..

وبدأت في أداء فقرات من الرقص الشـعبى على أنغام أغنية أم كلثوم، إنت عمري، وتتمايل وتهتز بجسدها كله.. تضحك كما لم تضحك مع عمر مـن قبل.. يبكي عمر تأثرًا من ضحكاتها وهو يرى البراءة والهدوء لأول مرة في عيون داليا.. يرأها وكأنما لم يرأها من قبل.. رأى في عينيها الصدق والحب.. والخجل والضعف.. داليا القوية التي لم تطلبه إلا مرات نادرة.. داليا القوية التي تعتز جدًّا بشـخصيتها وقوتها وقوة رأيها واعتقادها دائمًا أنها عـلى صواب وأنها لم تخطئ ولا تخطئ أبـدًا.. التي لم تعتذر من قبل.. ها هي تعتذر الآن.. بل وتطلب العفو والسماح.. داليا الآن تريه محاسنها وأنوثتها وتطلب منه أن يلتهمها بعينيه وبلسانه وشفتيه.. تقترب منه رويدًا رويدًا.. وتبدأ في خلع ملابسها.. في رقصات مثيرة. تستدرجه إلى عرشها.. إلى فراشـها.. تشـاور إليه أن يأتيها.. يتجاوب معهـا.. وهو الناقم عليها من يومين وهو الرافض للحديث معها قبل أن تفاجئه بهذه السهرة وهذه المفاجآت الواحدة تلو الأخرى.. يضعف.. يستسلم.. تنهار مقاومته أمام إغرائها.. وهي تعرف ما تفعله جيدًا.. تعرف نقاط قوته وضعفه.. تعرف أنه رجل بكل معاني الكلمة وأنه لن يكسرها يومًا حتى وإن جارت عليه..

تعرف أنه يتقي الله فيها.. حتى وإن قسـت عليه سـيعود.. أخلاقه وأدبه يمنعونه من القسوة والغدر بها.. يمنعونه من أن يؤذيها بأي سوء.. فأقصى خصام بينهما لم يزد عن يومين وفي اليوم الثالث يصطلحان.. وها هو اليوم الثالث لخصامهما اليوم يصادف ذكرى زواجهما.. فقدمت نفسها له وكأنها عروس في ليلتها الأولى مع زوجها.. ولكنها زادت الليلة إثارة بتلك الملابس الشفافة.. وتلك العطور.. وتزينت وهيأت نفسها له.. وكعادته.. لم يشأ أن يكسـف طبيعتها وضعفها.. ولم يشأ أن يكسر خاطرها كما يقولون فرمى أحزانه وخصامه منها خلف ظهـره وارتمى في حضنها.. كل منهما يحاول أن يحطم أسـوار الآخر.. وكل منهما يظن أنه المنتصر.. إلا في هذه الليلة.. استلسمت داليا لضعفها ولأنوثتها واحتياجات جسدها ورغباتها.. استسلمت لنشوتها وخلعت عباءة حرصها واستكانت.. خلعت ثوب القوة والجمود والصلابة مع ملابسـها التي كانت تخلعها قطعة تلو الأخرى معه في أثناء رقصاتهـا المثيرة التي أتقنتها منذ الطفولة ولكنها خبأتها عن عمر ظنًّا منها أن في ضعفها قوة له وأنه سيسـتغل ذلـك ضدها.. لم تدرك معنى الزواج والسـكينة في حضن زوجهـا إلا بعد أن أعماها الغضـب وأعمتها الغيرة وأعلنت أمها لها أن انفعالاتها وغضبها عليه قد يفقدها عمر وأن عليها أن تلين له.. اسـتجابت بعد عامين من الرفض للانصياع له..استجابت بعد عامين من المقاومة.. وأعلنت له اليوم أنها أنثى.. وكشفت له عن نفسها.. تعرت من ملابسها ومن قوتها.. وأعلنت له الاستسلام ليراها من الداخل

كما هي دون أي حواجز أو عوائق.. ليرى جسدها وروحها.. واستجاب عمر وانطلق يستكشـفها حتى أنهكه الاستكشـاف.. ولم يشعر إلا وهي تناديه أن يأتي مسرعًا.. فاستيقظ على صراخاتها..

4
أيمن

بكيت كما هي عادتي دائمًا بعدما انتهيت من العلاقة الحميمة مع زوجي.. أيمن الذي يؤلمني دائمًا في تلك العلاقة.. يفرغ شهوته وينهي مهمته وينهض مسرعًا أو ينام بعدها ولا يعبأ بي أو بما يحدث لي قبلها أو بعدها.. يرتعش جسدي كثيرًا قبل أن يأتيني.. وتنتفض خلاياه وتلعنه بعدما يلامسني ويداعبني ويلعنه بعدما يقبل ويدبر.. يقلب في جسدي كأنني قطعة من القماش بلا روح ينهش فيها ويمزقها ولا يسمع أنيني.. ولا يرى دموعي..

دائمًا ما كنت أتوجع وأنا أتحسس صدري وأتحسر على أمري.. يؤلمني

في كل مـرة ويتركني بلا اكتراث.. حتـى كرهت هذا الصدر الذي تمنيت كثيرًا أن أعرف تأثيره عليَّ وعلى من أحب.. كنت أريد أن أسـتمتع به كما سـمعت عن ذلك.. ولكن لم أشعر سـوى بألم يأتيني منه.. حتى كرهته.. كرهته بعدما أمسـكه زوجي بشـدة وترك أثرًا من أسنانه عليه.. وكم من مرات أصابني فيه حتى نزفت دمائي وسالت منه.. كرهته حتى وأولادي يرضعون منه... وانتقلت كراهيته إلى أطفالي الذين رفضوه بعد فترة صغيرة وكأنهم يعلنون تضامنهم مع أمهم ويشـفقون عليها من قضمه وتناوله.. فتركوه حتى لا ينالني أذى منه.. أطفالي أحن عليَّ منه..

أعوام مضت وانقضت أبكي فيها كلما فرغت من أداء دوري ومن تمثيل مشـاهدي ببراعة في ذلك الفيلم الجنسي المثير.. يسمع آهاتي التي أجيدها فيتمتع أكثر ويزداد نهشًا فيَّ.. وأنا في حقيقة الأمر أتوجع منه وأصرخ من أسفله.. أبتسم في وجهه وهو يلاحقني ويداعبني وتمتد يده تلامسني.. أترك نفسي له يفعل بها ما يشـاء.. يخلع ملابسي ببطء ويقبلني.. أتحرك مسرعة وألاطفه وأداعبه وآمره ليأتيني حتى يهدأ ويستكين.. وحتى أبكي بعدها لكي أستريح.. أحاول دائمًا أن أنهي الموضوع في أسرع وقت..

أخبرته أن المرأة تختلف عن الرجل وأنها تفعل تلك العلاقة عندما تكون متهيئـة ومقبلة ومشـتاقة لها... إلا أنه ضحك كثيرًا واسـتمر في روتينه.. يفعله في كل مرة..

أرى عمر دائمًا بجواري في أوقات وجعي يداعبني بيده الحانية ويقبلني

ويهمس في أذني.. أراه يحتويني وينتظرني حتى نصل إلى شـهوتنا وذروتها معًـا.. أرى عمر يسـعدني في تلك الحالة بدلًا مـن الألم الذي يحيط بي مع أيمن..

أيمن.. زوجي الذي تزوجته زواجًا تقليديًّا.. بحثت عن الحب معه.. لكنني لم أجده.. أبحث عن جسدي معه.. أتحسس صدري وعنقي.. وأتمنى لو كانت يداه تترك أثرًا حانيًا في جسدي.. لكنني لا أشعر بيده ولا بأنفاسه ولا بعشقه لي.. ولا عشقي له.. أنا لم أحبه ولم أعشقه..

– لو سـمحت متتعاملش معايا إني سـلعة.. وسـلعة رخيصة كمان.. متتعاملـش معايا على إني فتاة ليل.. جـاي حضرتك تقضي وقت ظريف معها وتخلص شهوتك وتمشى وخلاص..

– يااااه.. إيه الكلام الكبير دا.. إيه إللي أنا عملته عشان توصلي للإحساس دا؟ أنا بعمـل الصح دايمًا معاكي.. بأداعبـك أولا.. وبعدين ألاطفك.. أتحسسك.. أبوسك.. أحتضنك قبل ما أعمل أي حاجة.. وبعدين تقولي إني بعمل معاك زي فتيات الليل..؟؟

– كل إللي بطلبه منك إنك تشعرني بأنوثتي.. تحسسني بنفسي.. تحس بي وبرغباتي..

– أيوه يعني عاوزه إيه علشان تحسي بدا.. أنا مش بتأخر عليك ولا بمنع نفسي عنك.. تعرفي إيه إنت بقى عن بنات الليل وشغل الدعارة الرخيص

إللي بتسـألي عليه.. أنا بعمل لمزاجي ومزاجك.. رجولتي ورغباتي الأول وبعدين إنت.. ومع كدا رغم إنك عارفة شهوتي وقوتي إنتي إللي بتتأخري عـليَّ.. وبحس ببرود من ناحيتك.. ومع كدا بحاول أتجاوب معاكي وما أتاخرش عنك.. بستعمل خبرتي وقوتي واستنى لحد ما توصلي إلى الذروة وقمة النشوة زي ما بيقولوا.. علشان أحافظ عليك..

– ها أقولك إيه.. مهما أقول مش هتفهمني.. أنا مش باتكلم عن الموضوع دا وبس.. أنا باتكلم عن الحياة كلها.. أنا عاوزه أعيش الحب والرومانسية عاوزه أعيش اللحظة بتاعتنا سوا مع مشاعر وحب وأحاسيس.... أنا مش بحب العلاقة دي من غير مشـاعر.. أنا مش عاوزه أعملها عشان تكون واجب يومي وتمثيلية مكررة وبس.. أنا مش عاوزه تكون هي دي الحاجة الوحيدة إللي بتربطنا سوا.. فين كلام الحب والعشق..؟

– آه.. واضح إنك فاضية.. رومانسية إيه إللي إنت عاوزاها.. إحنا في زمن صعب.. عيشي اللحظة يا هانم..!

كانـت تلك هي أحاديثـي التقليدية مع أيمـن.. أحاديث لا تخلو من الاعتراض على أفعاله وأقواله.. وتصرفاته المريضة أحيانًا.. عنفه معي حتى في ممارسـة الحب.. رغبته في أن أفعل معه بعض الأوضاع المثيرة التي كان يشـاهدها في أفلام الجنس التي يشاهدها دائمًا والتى حاول معي مرارًا أن أشـاهدها معه.. حاول كثيرًا أن يدعوني لأذهب معه الى البارات وأماكن الرقص المثيرة التي كان يتمتع بها ويرى أنها تزيده قوة وفحولة.. كان يقول

لي إنها سـبب في قوته التي يرها مناسبة وملائمة وضرورية لممارسة الحب معي على الفراش..

حياة جامدة لا وقت للرومانسية فيها.. أراه ماديًّا.. شهوانيًّا.. لا يبغي سـوى الجسد.. لم يسـتحوذ على قلبي.. ولا على جسدي.. تمنيت لو كان عمر مكانه.. وقارنت دائمًا بينه وبين زوجي.. ودائمًا أرى أن عمر سيفوز في هذه المقارنة..

لكن دائمًا القدر أكبر وأقسى من الجميع.. فرق القدر بيني وبين عمر.. ووضعنـا في طرق مختلفة.. تزوج كل منا بـما ارتضاه القدر لنا... القدر لم يكن بنا رحيمًا..

أيمن كما كنت أظن شاب كان يبدو لنا ملتزمًا قبل الزواج.. زوج أقرب ما يكون للزوج المـصري التقليدي أو هكذا اعتقدت.. ارتضيت بالغربة معه.. تركت أهـلي وأصدقائي.. ووأدت حلمـي في مهده.. واحتضنت زوجـي وقبلـت أن أكون أرضًا لمنبت زرعه الجديـد.. يعمل طوال اليوم ويكدح من أجلي ومن أجل أولادي عمر وليلى.. أطلقت على ابنى اسـم حبي وأطلق زوجي على ابنتنا اسمي من فرط حبه لي..

حياة تقليدية.. أحيانًا نكسر رتابتها بالخروج للتنزه في إحدى المتنزهات في ضواحي باريس.. مدينة النور التي انتقلت إليها رأسًا من شرم الشيخ.. كانت هجرتي من هناك.. إلى متحف اللوفر.. الى شـارع الشانزلزيه.. إلى

الأضواء المبهرة.. برج إيفل.. الذي تساقطت دموعي أسفله وأيمن يحتضني ويقبلني وأنا أرتعش وأتذكر عمر الذي كان يعتزم أن نقضي هنا أياما معًا بعد زفافنا الذي لم يحدث.. أنفاس أيمن الكريهة تخنقني.. يقبلني في وضح النهار بجوار قوس النصر.. يرسم قلبًا في الهواء معبرًا عن حبه لي هنا.. يشير إلى الطرقات في باريس ويقول لها أن تشهد على حبه لي.. يخبرني أن كل بنات باريس تعرفه ويشهد على ذلك هذا البناء وهذا البرج وهذه الحدائق.. ولكنه تركهن كلهن من أجلي..

إلا أنه عندما تستبد به شهوته يأتي إليَّ.. يسعى خلفي حثيثًا حتى يقضي شهوته.. ويشعر بفحولته وقدرته.. يخرج من حجرة النوم إلى الحمام للاغتسال، أنتظر أنا أن يأتيني عمر.. أتقلب على الفراش.. لا أرتدي ملابسي حيث يرغب أيمن أن يراني هكذا..وحيث أرغب أنا أن يراني عمر هكذا، ينتفض جسدي وأرتعش رعشة النشوة وذروتها.. وأتمنى أن أصل إلى تلك الذروة مع زوجي.. ولكنني مع الأسف أصل إليها متأخرة جدًّا.. ومع عمر.. فقط في أحلامي..

أن تصل متأخرًا أفضل من أن لا تصل على الإطلاق.. هكذا كنت أتحدث مع نفسي.. وهي مقولة عمر التي ما زلت أحفظها.. أصل وأبقى في انتظار عمر.. وأنا على يقين من مجيئه يومًا ما.. أتمنى لو كنت زليخة التي نادت يوسف وقالت له: هيت لك.. والآن أقول لعمر.. هيا.. هيت لك..

5
سوهو

الميدان المضيء.. والمدينة الحالمة.. التي لا تعرف النوم.. مدينة السلام كما يطلقون عليها.. معشوقتي شرم الشيخ..المحلات وأنوارها.. النافورة الراقصة المضيئة بكل الألوان في هذا الميدان..تشعل الحماس في القلوب.. الناس يذهبون ويأتون من كل مكان.. يقف الجميع لألتقاط الصور التذكارية بجوار النافورة.. التماثيل المتنوعة الأحجام تزين المكان.. حركة صاخبة في كل وقت.. اليوم لا ينتهي.. ليس بحساب الأيام العادية لدينا.. لكنه يختلف هنا عن كل الأيام.. أنوار تضاء ولا تنطفئ.. صالة التزحلق وصالة البولينج تزدحـم عن آخرها.. نذهب إليها أنا وعمـر والأصدقاء.. نلعب كثيرًا..

يملؤنا الأمل بغد مشرق مزدهر.. ولم لا.. نحن ما زلنا في مقتبل العمر.. اثنان من المهندسين..أحلامنا وردية مؤجلة لبعد عودتنا إلى القاهرة..

الرحلة الأولي لي هنا لم تكن مع العمل.. أتيت من قبل مع أهلي إلى تلك المدينة الجميلة.. سكنت بأفخر الفنادق هنا معهم.. تمتعت بكل مناظرها الخلابة.. واستمتعت بكل ما فيها.. ولكنني اليوم رأيتها مختلفة.. رأيتها مع عمر مدينة أخرى غير التي كنت أراها من قبل.. اليوم أراها وكأنني أشاهدها للوهلة الأولى.. أرى البحر بألوانه والسماء الصافية وكأنني طفل تفتحت عيناه للمرة الأولى هنا.. هذا المكان بالأخص هو نقل حي لميدان آخر في أوروبا.. سوهو سكوير.. هو استنساخ لميدان سوهو بلندن مع إضفاء بعض اللمسات الشرقية فيه وبعض اللمحات المصرية.. مسرح وغناء.. ومطاعم وكافتريات.. أغاني بكل اللغات.. بارات.. ومحلات للأكل.. والعصائر.. نجلس على الأرض خارج الصالة بعد لعب البولينج.. ونتحدى بعضنا البعض.. أنا وعمر دائمًا ما نفوز.. فريق واحد بيد واحدة.. تتشابك أيدينا في تحدٍ جديد للأصدقاء ونذهب إلى التزلج على الجليد فى صالة التزلج الموجودة هنا.. يمسكني عمر جيدًا قبل أن أقع أرضًا وأرى الدنيا في عينيه.. يحيطيني بيده وعينيه.. وأنهض بخطى بطيئة متثاقلة في عدم رغبة مني في النهوض.. أملًا في أن أستمر متعلقة بذراعة أطول فترة ممكنة.. حتى أكون قريبة من عينيه ومن أنفاسه. وأتمنى وقتها لو تعلقت برقبته ورقصنا معًا كما يرقص المتسابقون في الخارج على الجليد.. أتذكر

مـن حولي من الأصدقاء وهـم ينظرون إلينا فأنهض وأسـتكمل الرقص والتزحلـق.. تعلو ضحكتنا في المكان.. نصرخ من الفرح.. ونتمنى أن لا ينقضي الوقت..

أربعة أيام هنا في هذا المكان في رحلتي الأولى إليه.. لكنها كانت بدايتي الحقيقية للحب وللحياة.. إلا أن رحلتي الثانية كانت بدايتي للنهاية والحزن.. بداية للألم والعذاب.. بفراق عمر..

سوهو يشهد على حبنا وعلى فراقنا.. وتلك النافورة الراقصة التي تمايلنا ورقصنا وغنينا معها.. تشهد أيضًا علينا.. التماثيل التي نستند إليها والتى تداعبنا.. ونداعبها.. تكاد تنطق صارخة أن لا نفترق.. إلا أن القدر دائمًا يلعب لعبته.. ونحن مجرد دمى بين يديه.. يتلاعب بنا كيفما يشاء.. يجمعنا بمن يشاء ويفرقنا عمن يشاء.. ونحن لاحول لنا ولا قوة.. ولا ندرك أن أكبر سبب للفراق أو حتى للوفاق.. هو القدر..

6
البدايـة

في إحدى صالات الرقص والسهر الموجودة في ميدان سوهو كنا نقضي بعض الأوقات.. نرقص معًا ونشاهد من يرقصون حولنا..

فتيات تتمايل وترقص.. وشباب يحيطون بهن من كل جانب.. أجساد تتلامـس.. وكئوس تصطك ببعضها البعض.. زجاجات الخمور يحملها النادل ويوزعها على الطاولات بسرعة.. إضاءات خافتة وموسيقا صاخبة.... حراس أمن المكان وكل العاملين فيه يرتدون زيهم المميز الأسود.. وكلهم عضلات مفتولة.. مكان لا يليق بهدوئنا أنا وعمر ولا بأخلاقنا.. ولكننا طلبنا أن نأتي مع أصدقائنا لزيارة هذا المكان ومعرفة ما يدور في تلك الأماكن

ورؤية مشهد من مشـاهد الأفلام التي كنا نشاهد مثلها.. مكان صاخب بالفعل.. إلا أن هذا المكان كان شاهدًا على اللقاء الأخير.. ولحظات ما قبل الفراق المريرة.. لحظات امتزجت فيها دموعي مع دقات الموسيقا الصاخبة.. وامتزج قلبي الذي ينزف للفراق مع رقصات صديقاتي من حولنا.. جسدي يتمايل من الألم ومن هول الصدمة والكل من حولنا يتخيل أنني أتمايل طربًا ورقصًـا وفرحًا معهم.. إلا عمر.. هـو الوحيد الذي كان يدرك ما أنا فيه ويعلم جيدًا أن هذا الجسـد يتمايل الآن للسقوط.. كنت وقتها في طريقي للغيـاب عن الوعي من هول الصدمـة التي بدأتها أنا ولم أتحملها.. نعم.. أنا التي أشعلت شرارة تلك الأزمة وأنا التي أعلنت القرار..

عـلى الطاولة التي اخترتها في ركن بعيد نوعًا ما عن الصخب الموجود في المكان جلست أتأمل في وجه عمر.. أبتسم وأتمنى لو كنت أستطيع أن أقبله..

– الفـراق هو الحل يا عمر... إنت مش هتقدر تواجه بابا.. إنت مش هتتحمل كلامه ولا تعليماته.. مش هتتحمل الضغوط إللي هيمارسها عليك.. هو مرفضكش بصراحة ولكنه بيعند معاك وأهانك.. بص لك بتعالي.. دا حتى مسلمش عليك في نهاية القعدة معاك.. هو إتكلم جامد معاك وقال إنك لسه في بداية حياتك.. وإن دخلك محدود.. وإن إمكانياتك محدودة.. وكلمك عن ابن صاحبه الغني إللي سـاكن في مصر الجديدة وله شـقة في مدينة نصر هيتجوز فيها وشاليه فاخر في الساحل الشمالي.. وعربية فظيعة

آخر موديل وإنه طلبني وهو لسه ماردش.. وحطك في مقارنة معه.. وإنت هتخسر.. وأنا كمان هخسر.. أنا بحبك يا عمر..

– أنا عمري ماهخسرك أبدًا.. أنا هاقاتل علشانك.. انا هاكافح علشان حبنا.. بصي على كل أصحابنا من حوالينا.. قومي اتحركي اتفرجي عليهم كل الرحلة بترقص في سعادة ومنهم إللي بيشرب علشان يتسلى ويسكر.. وإحنا هنا في دنيا تانية خالص..أنا مش هنسحب..

– عمر أنا اتكلمت مع بابا وهو رافضك فعلًا.. بيرفضك بشدة.. أعلنها لي وقال لي إنه مش هيوافق عليك مهما تعمل.. لو جبت شقة هيعترض عليها.. ولو وافق عليها هيطلب طلبات كثيرة جدًّا من أجهزة وأثاثات ومشغولات ذهبية ومهر ومؤخر.. ومش هتقدر على الطلبات دي..

– حبيبتي أنا وإنت بنشتغل مع بعض ومش هيقدروا يفرقونا عن بعض وهنكافح علشان الحب دا.. هاشتري شقة جديدة تليق بك.. وهاخد قرض علشان أحقق طلبات والدك..

– عمر إنسحب.. مفيش داعي إنك تنجرح بسببي.. جرح الكرامة أصعب الجروح.. بلاش تعيط علشاني.. واعرف إني مش هعيش من غيرك..

– لا يا ليلى.. هتعيشي بي ومن غيري برضو.. ومع غيري.. أنا هقاتل لآخر نفس علشانك.. هفضل جمبك لحد ما تقولي إنتي إمشي.. إنت إللي هتحكمي عليَّ إما بالحياة أو بالموت.. أنا إللي هموت لو بعدتي عني..

– عمر إبعد عني دلوقتي.. سيبني وامشي.. خلاص يا عمر بابا قرر.. وأمـر ودمر كل حيـاتي وحياتك.. قتل حلمنا وحبنا.. وأنا مش هسـمح لك بالإهانة والذل.. أنا هوافق على حكم بابا.. وهأبعد عنك علشانك.. علشـان ما حدش يأذيك.. علشان مستقبلك وحياتك.. إنسانى علشان خاطري..

– أنا هأبعد دلوقتي زي ما قررتي واخترتي.. لو دا كلامك وحكمك.. لو دا قرارك.. يبقى أنا ما عنديش غير التنفيذ.. أنا هامشي.. هاروح أشرب خمر وحشـيش لأول مرة في حياتي.. علشان أنسـاك وأنسى الصدمة إللي إنتـي عملتيها لي.. لا مفيش صدمة ولا حاجة.. أنا كويس ما اتصدمتش ومـش هأموت.. أنـا كويس هأكمل حياتي وأعيـش.. هأقوم أرقص مع البنت دي.. شـايفاها.. إللي واقفة وساندة على الحيطة دي.. هي وغيرها موجودين علشان إللي إنجرحوا زيي ينسوا..

– عمر.. حبيبي علشان خاطري بلاش كدا.. عمر خلينا نكمل كلامنا بعيد عن هنا.. الحياة هتمشي بينا ومن غيرنا.. هتمشي بكل واحد لوحده وهتمشي لو كنا مع بعض برضو.. بس بلاش تعمل في نفسك كدا....

– لو سـمحتي.. كفايـة كلام بقى كدا.. كفاية كـدب وتمثيل.. كفاية صدمات خدتها في حياتي.. بس عارفة الصدمة والطعنة المرة دي جامدة.. نفدت في قلبي.. قتلتني..سيبيني أموت ويلا أمشي من هنا المكان دا ميلقش بيكي..المكان دا للحثالة إللي زي.. إنتي بنت ناس.. لكن إحنا ولاد الشوارع

ولاد الناس الغلابة.. إحنا ملناش نحب ناس زيكم.. إحنا ملناش نحب أصلًا..

– أنا هأقوم أمشي.. دا فعلًا مش مكاني.. أنا ماينفعش أشـوفك هنا.. دا مش مكانك إنت كمان.. إنت لازم تمشي.. مسـتقبلك كمهندس لازم يخليك تمشي وتروح تشوف حياتك وتركز في شغلك وتبقى حاجة تفتخر بيها إنت وأهلك وأنا كمان.. سيبني يا عمر..

– أنا هاسـيبك.. بس مش هنا.. إسـتني لما أخلـص وآخد مزاجي.. اتفرجى عليَّ وأنا برقص وباسـكر وأطوح.. استني هنا ماتمشيش.. إنتى جيتي معايـا وهتروحي وتمشي معايا.. على فكرة أنا لسـه راجل وبعرف يعني إيه مسـئولية ويعني إيه أحافظ على الست إللي معايا..حتى من غير ارتباط ولا جواز... المجموعة إللي جت معنا هيمشوا متأخرين بعد نهاية الحفل.. لكن إنت مش هينفع تكملي هنا.

لم يتركني عمر أعترض.. رقـص وشرب حتى الثمالة.. ثم أفرغ ما في معدتـه في الحمام وأنا أبكي في انتظاره كزوجة تبكي زوجها الذي مات في الحروب أو أم تنتحب لفقدان ابنها..

أخبرتهـم بتعبي ورغبتـي في الأنصراف.. جاء عمـر واصطحبني إلى الفندق.. لم نتكلم في أثناء الطريق.. فقط نسـير بجـوار بعضنا البعض.. صـوت بكائي ونحيبي يعلـو.. وصوت ضربات قلبـه وخفقات صدره

يزداد.. قدمه لا تحمله.. ولكنه يتحامل على نفسه من أجل أن يصل بي إلى بر الأمان.. كم كان يتمنى أن يصطحبني في طريق عودتنا من حفل زفافنا إلى منزلنا.. ولكنه القدر.. يصطحبني وأسير معه في طريق قد لا نعود فيه مرة أخرى.. لم يستطع أن يرفع عينه في عيني وأنا أيضًا لم أستطع أن أرفع رأسي لمواجهته.. الخجل يحوطني.. والألم والحسرة والانكسار يحاوطه.. لحظات تمر علينا كأنها الدهر.. والدهر لا يمر.. وأيامه طويلة مريرة نراها أمام أعيننا سوداء.. نحن لا نسير.. وإنما الأرض هي التي تحملنا وتسير بنا.. الهواء يدفعنا والبحر ينادينا ويجذبنا.. وعوامل الجاذبية الأرضية انعدمت حتى أصبحنا طائرين يهميان في المدينة يبحثان عن مهرب لهما مما هما فيه الآن من هذا الموقف.. ولكن أين المهرب والملاذ.. أين المفر من الحب.. أين الأمل في حياة يُقتل الحب فيها؟

صمت تام عم المكان وتوقفنا عن المسير.. ها هي أبواب الفندق تقترب.. ولحظة الفراق الحقيقية تدنو منا..

نظرت إلى عمر وبكيت.. ونظر إليَّ وأحاطني بهالة من عينيه بعينيه.. أحيانًا لغة العيون قد تكون أفضل من الكلمات.. قد تتحدث العيون وتبوح بما لا تستطيع أن تبوح به الألسنة..

وانصرف.. ناديت عليه فلم يستجب.. هممت أن أذهب خلفه فلم تحملني أقدامي.. فقط تحركت يداي تلوح له من خلفه بالوداع.. أدركت برودة يدي التي لم يلمسها منذ تركني ليرقص.. وكأن يديَّ تصرخ تطلب

أن تلمسه.. ولكنه رحل.. ويداي ما زالت ممتدة عسى أن يمسكها ويلمسها مرة أخرى.. وانساب الدمع من عيني وانتظرت أن يعود ليمسح هذا الدمع ويحتضنني.. ولكنه قرر ألا يعود.. قرر أن يبدأ من حيث أمرته أن ينتهي.. قرر أن يضحي بقلبه من أجلي.. وأن يضحي بنفسه من أجل سعادتي المزعومة.. انتزع قلبه من بين أضلعه وقرر أن ينسـاني وينسى الحب.. وأن يعيش بلا قلب.. أما أنا فسقطت على الأرض وتجمدت يداي بجواري.. ولم أسمع سوى صرخات بعض الناس من حولي.. وغبت بعدها عن الوعي.

7
غياب عن الوعي..

بعد أن ابتعد عنها خطوات.. سمع صوت صراخ في المكان فألتفت ليجد نزلاء من الفندق وبعض العاملين يقفون في نفس المكان الذي كانت تقف فيه ليلى من لحظات والبعض يجري إليها.. فأدرك أنه قد أصابها مكروه.. أسرع راكضًا نحوها.. فوجدها بالفعل ملقاة.. فلم ينتظر بل جلس بجوارها أرضًا وأمر الناس بالابتعاد عنها حتى تستطيع أن تتنفس.. حاول أن يكلمها عسى أن تستفيق فلم ترد عليه.. فأسرع يحملها بين ذراعيه..

عيناه تبكي.. وقلبه ممزق.. ويداه ترتجف بشدة.. يراقبها بصمت وهو يجلس بجوارها وهي لا تدرك ما حولها.. محاليل وأدوية معلقة لها.. وطبيب

يقيس النبض وممرضة تحاول أن تقيس الضغط لها.. وهو لا يتكلم.. ينظر إليـه الطبيب ويبتسـم في وجهه.. يطمئنه.. ويدعوه لعـدم القلق عليها.. يخبره أنها بخير وأن ماحدث لم يعدُ أكثر من مجرد هبوط مفاجئ في الدورة الدموية.. وأنهم سيحتجزونها هذه الليلة في المستشفى للاطمئنان عليها.. يرفض عمر الانسـحاب ويرفض أن يتركها بمفردها.. يلعن نفسه ويلوم الظروف التي أحاطت بهما والتى أوصلتها لتلك الدرجة.. يدعو الله لها أن تنهض وتفيق.. يختلس نظرة لها وينتظر خروج الطبيب ويقوم بتقبيل يدها والدمع ينساب من عينيه ليبلل يديها المتدلية من طرف السرير.. يتمنى لو كان يسـتطيع أن يقبل رأسها ويضع يده على شعرها.. يتمنى.. ويتمنى.. ويمني نفسه بأشياء كثيرة ولكنها أمنيات فقط..

يخرج عمر ويترك الحجرة ويغلقها من خلفه ويبدأ في الاتصال بأصدقائهم ويخبرهم بحالها...

– هند.. ليلى في مستشفى شرم الشيخ الدولي.. لو سمحتم تعالوا علشان تطمنوا عليها وتشوفوها.. أنا تايه لوحدي مش عارف أعمل إيه..؟؟

– إهدى يا عمر.. إنت بتعيط؟

– أيوه يا هند.. بعيط.. دي ليلى.. إنت مش عارفة يعني إيه ليلى بالنسبة لي؟

– عارفـة يا عمر.. بس ماتقلقـش.. إيه إللي حصل فهمني بالراحـة..

إنتم كنتم كويسين ومروحين مع بعض الفندق.. في إيه..؟

– أيوه أنا سيبتها في مدخل الفندق علشان ما نوصلش للحظة الانهيار دي.. أنا كنت حاسس إنها هتعيط وممكن يغمى عليها لو كملنا كلام.. وأنا بصراحة ماكنتش قادر أقف ولا عارف أتكلم بعد إللي شربته.. وخفت ألخبط معاها في الكلام أو أتهور عليها.. وبعد ماسيبتها سمعت صريخ في الفندق ورجعت لاقيتها وقعت في الأرض وفقدت الوعي.. شيلتها وجبتها هنا..

– خلاص يا عمر.. إحنا هنركب ونجيلكم بسرعة....

لم يجلس عمر للحظة.. بدأ يهدأ قليلًا ويقرأ القرآن.. وأخذ يبتهل ويدعو الله أن ينقذها مما هي فيه.. فكر للحظات في أن يتصل بأهلها.. إلا أنه تراجع.. تذكر وجه أبيها وهو الذي لم يبتسم في وجهه عندما ذهب لزياراتهم في المنزل.. أخذه والدها في حجرة منفصلة بعيدًا عن أمه وأمها وعن قلبه ليلى.. وأخذ يتلو عليه بعض التعليمات ويذكره بتاريخ أسرتهم المرموق وتاريخ جدها الأكبر الذي أتى مهاجرًا من تركيا مع الأسرة العلوية وجدتها ذات الأصول العريقة.. ويذكره بمركزه المرموق كأحد رجال الدولة الذين يعلو صيتهم يومًا بعد يوم.. ولما لا وهو عضو بارز في الحزب الحاكم.. الحزب الذي تفتح لرجاله كل الأبواب المغلقة.. درس في التنظير والتبكيت.. درس في التعالي على عمر.. لم يعطه فرصة للكلام.. فقط هو من تكلم.. هو من يعطي التعليمات.. هو من يلقي القرارات.. حاول

التقليل من شـأنه ومن شأن أسرته.. حاول عمر أن يدافع عن نفسه وأن يبرز صورته وصورة أسرته.. تكلم وتحدث عن نفسه في لباقة وحسن خلق كعادته ولم يتطاول على والد ليلى.. حسـين السـعداوي.. هو يعلم مركزه وإمكانياته وقدراته.. فحاول أن يكتسـبه وأن يظهر له حسن نيته ومدى حبه لليلى.. وأنه غير طامع في أي مركز ولا مال منه.. وإنما طامع في حبها والقرب منها فقط..

عمر كان يشـعر أنه شاب في مقتبل العمر.. أبواب الحياة كلها مفتحة له.. بل إن الحياة تفتح ذراعيها لتحتضنه وهو مقبل عليها.. وليلى في يديه.. اعتدل عمر مرات في جلسته ونظر إلى والدها نظرة ثقة وشموخ ولم يخشَ الموقف.. لم يرهبه جلسـة حسين ونظراته الصادمة وهو واضع ساق على سـاق ينظر إليه يتفحصه.. نظرات كلها اسـتهجان واستهزاء وغضب.. رغم اعترافه فيما بين نفسه أنه يهاجمه بشدة فإنه لم ينكمش في مكانه ويترك له الساحة ليهاجمه.. لكنه بدأ في شرح حاله ومستقبله وإمكانياته وقدراته وأحلامـه وطموحاته وفيما سـيفعله فيما بعد.. هـو الآن يعمل في إحدى شركات الاتصال الأجنبية الكبرى في مصر.. مهندس اتصالات.. وليلى تعمل معه أيضًا في نفس الشركة.. والشركة تتقدم وترتقي وهما أيضًا يتقدمان في العمل وفي الحياة.. ولكن حسين يرى أن كل ذلك صفر في حصيلته هو.. ماذا سـيفيده تقدم ورقى عمر بعد عدة سـنوات؟ ماذا سيفعل لابنته بعد تلك السـنوات؟ هو يبحث عن مستقبل ابنته وأختها وأخيها الآن وليس

غدًا، هو كرجال كثيرين تقليديين يرون أن المال هو كل شيء وأساس كل شيء.. وأن عمر بعلمه وأخلاقه واجتهاده ومركزه المرموق في العمل دون أموال يساوى صفرًا في الحياة.. أنهى حسين الحديث وطلب منه أن يستكملا حديثهما فيما بعد فتلك الجلسة ما هي إلا جلسة تعارف.. وهو لا يريد أن يضيع وقته في تعارف مع أشخاص لن يستفيد منهم في شيء..

أفاق عمر على صوت هند تناديه وهي تحيط به مع كريم صديقه يحاولان أن يخففا عنه ما به من ألم وإرهاق.. أخبرته هند بأن يستريح قليلًا وسيذهبوا هم للاطمئنان عليها.. وسيذهبوا للطبيب ليسألوا عن إمكانية خروجها من المستشفى معهم..

8
الليلة الأولى..

الغربة وزوجي سـجن لي.. والحب القديم سجاني.. أصر والدي على رفضـه لعمر وأقنعني بأن الحياة معه سـتكون مليئة بالصعاب وأن الحب وحده لايكفي.. حاول معي مرارًا وتكرارًا أن يثنيني عن حبي وعن حلمي في الزواج بمن أحب ورسم لي صورة سوداء عن حياتي بعد انتهاء هذا الحب واصطدامنا بالواقع المرير وأخذ يوسوس لي بأن المادة والأموال هي السبيل الوحيد لاستمرار الحب وأن حب بلا أموال كحجرة بلا سقف أو كمنزل بلا حوائط.. المال يشتري الملابس الفاخرة والعقارات والسيارات والمناصب أيضًا.. أما الحب فلا يفعل شـيئًا سوى جرح القلوب والنفوس.. وأخذ

يعدد لي قصص الحب الفاشـلة في حياة أقارابنا وأين هم الآن من ضحوا بالأموال واشـتروا الحب بدلًا منه.. كيف هي حياتهم وما هي المصاعب التـي تعرضوا لها.. وكيف أن الحب بعـد اصطدامه بالواقع أعلن الهزيمة والاستسلام ورفع الراية البيضاء وأعلن الانسحاب من الحياة تمامًا.. الأموال تكسب صدقيني يا ليلى.. كانت تلك كلماته التي دعتني للاستسلام بعد فترة قصيرة وخلعت رداء الحب وانطلقت أبحث عن المال لعلنى أجد السعادة التي هجرتها بعد أن أنهيت علاقتي بعمر.. علاقة استمرت عامين كانت السـعادة عنوانها... أعلنت لعمر نهايـة العلاقة.. ودخلت في نوبات من الكآبة والألم والمرار وتحملت ذلك من أجله حتى لا يؤذيه والدي.. ضحيت بحبي من أجل إسـعاده.. حطمت قلبي وأحلامي من أجله.. ثم اخترت أن أختبئ في الغربة بعيدًا عن أبي وعن عمر.. بعيدًا عن كل مكان يذكرني به وبحبه وحلمنا الذي قتلته بيدي ودفنته في مقبرة الاستسلام.. اخترت أيمن ابن أحد أقاربنا.. المهاجر لفرنسا منذ سنوات عديدة.. أرسلت أمه صـورتي له في غربته وأقنعتني بـه.. فأتى سريعًا إلى مصر في زيارة خاطفة لم تسـتغرق إلا أيامًا معدودات.. وتقدم لي وبالطبع وافق أبي بعدما وافق أيمن على كل شروط أبي المادية.. لم يجلس أيمن معي سوى ساعات قليلة.. كان يبحث عن فتاة مصرية أصيلة من عائلة مرموقة.. جميلة متعلمة لبقة.. وقـد وجـد ضالته فيَّ كما كان يقول.. جلسـات بين أمه وأمـي وأنا بينهما حتى اختارتني أمه وأعلنت لأمـي رغبتها في تزويج ابنه بابنتها.. تكلمنا في الهاتـف مرة أو مرتـين قبل نزوله.. حتى أتى البيـت وأقيمت الأفراح

وأعلنت خطبتنا على أن يعود بعد ستة أشهر يكون قد أعد منزل الزوجية هناك في إحدى ضواحي باريس.. فرحت بخبر هروبي الذي سينتشر على الجرائد.. عروس تزف إلى عريسها وتذهب معه إلى بيتها الجديد في بلدها الجديد.. أعلنت موافقتي سريعًا بهـذا القرار والاختيار.. وهذا الحكم.. وانتقلت إلى فرنسا بجوار زوجي الذي تأبط ذراعي وقبل يدي ونحن في الطائرة التي أقلتنا أولًا إلى شرم الشـيخ لقضاء أسـبوع من السعادة كأي عروسين ومن شرم الشيخ ستقلنا الطائرة إلى فرنسا.. ارتديت ثوب وقناع السعادة وأنا أقنع نفسي بحسن اختياري.. وأمني نفسي بأن الزمان وحده قادر على أن ينسيني ما حدث..

بدأت حياة جديدة مع زوجي هنا في نفس مكان انتهاء حياتي السابقة مـع عمر.. غريب هو القدر نبـدأ وننتهي في أوقات وأماكن محددة لنا من قبل أن نولد.. هززت رأسي لكي أطرد الأفكار والذكريات منها وانتهيت سريعًا من الاسـتحمام.. وتزينت وتعطـرت بنفس العطر الذي كان عمر يحبه.. وانتظرت فض بكارتي واستمتاعي بتلك اللحظة كأي فتاة صانت نفسها سنوات من أجل الاستمتاع بلحظة تحولها من فتاة عذراء إلى امرأة.. وبـدأ اللقاء الحامي بيننا على فراش الزوجيـة.. وانتهى اللقاء سريعًا على جرح وألم.. لم أشـعر بنفسي إلا وأنا أسـتجمع كل قـوتي وألقى أيمن من فوقـي وأدفعه بكل ما أوتيت من قوة.. ونهضـت مسرعة إلى الحمام لكي أتقيأ وأفرغت كل ما كان في بطني..

بكيت وتحسست مواقع الألم والدم الذي سال بغزارة.. وضعت يدي فوجدتها مشربة باللون الأحمر.. أخذ أيمن يدق الباب بعنف ويطلب مني أن أفتح.. يصرخ في أن أ أتي ليستكمل ما بدأه.. يناديني أنه لم ينتهِ بعد وأن عليَّ الانتظار حتى يفرغ ما لديه وأن لا أنهض قبل أن يأمرني بذلك.. يصرخ بشدة لعلني أستجيب له.. يريد أن يستكمل شهوته بقيمة ما دفعه كما أخبرني.. تناسي إني زوجته وتعامل معي كفتاة ليل.. تكلم بأنه تعاطى الكثير من المخدرات ومن المقويات والفيتامينات من أجل تلك اللحظة التى أفسدتها عليه..

الأرض تميد بي.. ألوان الحوائط في الحمام ونقش الرسومات عليه يزيد الأمر صعوبة عليَّ.. أشعر بأنني أغرق في وسط تلك الدوائر والرسومات والنقوش.. نادى مرة أخرى أن أفتح الباب وصرخت فيه مترجية أن يتركني فأنا حقًا أنزف بشدة.. توسلت إليه أن يتصل بأمي.. ليخبرها عما حدث.. قطرات الدم وسخونتها تزيدني توترًا.. الألم يزداد.... نظرت لنفسي في المرآة قليلاً ثم بصقت على تلك الفتاة التي كنت أراها لأول مرة في المرآة وأعلنت سخطي على تلك اللحظة التي اخترت فيها هذا الإنسان الواقف خلف الباب.. الذي يدقه بعنف ويرفض الاستماع إليَّ.. لأنه حيوان يمشي خلف غرائزه فقط لاغير.. يريد أن يفرغ شهوته ولا يهتم بما أصابني.. أحسست بدوار شديد.. مع ارتفاع في ضربات قلبي وارتفاع صوته كأنه يصرخ ويأمرنى أن أتركه يخرج من مكانه فأنا التى قتلته وجرحته فهو الذى ينزف ولست أنا..

لم يكترث أيمن بما أقول واستمر يدق الباب.. ففتحت له خشية أن يصدر ضجيجًا يملأ الفندق فيأتي الناس ليروا حالتي وأنا ممزقة الملابس وأنزف هكذا.. فتكون وصمة عار لي لن أنساها أبد الدهر..

فتحت الباب.. وسقطت أمامه بلا حراك.. فاقدة الوعي في شرم للمرة الثانية..

9
ملك

رائحة المستشفيات من المنظفات ورائحة الأدوية الكريهة ترهقه وتذكره بحب عمـره.. والآن يقف في المستشـفى مرة أخـرى في انتظار مولودته الأولى.. ها هي ملك.. تصرخ صرختها الأولى في الحياة.. تطلع إليها بين يدي الممرضة التي خرجت تهرول بها من حجرة العمليات وتبشره بمقدم مولودته الجميلة.. وأول من ستحمل اسمه بل ومن ستحمل لقب عائلة الحكيم.. ملك عمر الحكيم.. أمسـكها بـين يديه وقبلها في جبينها وأخذ يؤذن في أذنها اليمنى ويقيم الصلاة في الأذن اليسرى.. وبكت عيناه وبللت خد ملك الرقيق.. ثم أخذتها أمه من بين يديه وقبلتها هي الأخرى.. ومن

يد أمـه إلى يد أم داليا.. الكل فرح بمقدمها.. والكل سـعيد بها.. تعالت الضحكات والمباركات بقدوم هذا الملاك.. منهم من شـبه ملك بوالدها ومنهم من شـبهها بأمها.. وهـو ينظر إليهم في فخر وعـزة نفس بابنته.. وأمه تقول له انظر إليها إنها توأم متماثل لك.. شـعرها الأسـود اللامع.. عيناها الضيقتان.. جبينها.. طابع الحسـن في أسـفل ذقنهـا.. أما أم داليا فتقول: لا.. إن اسـتدراة وجهها تشـبه داليا ابنتهـا.. وأخذها منهم عمر مرة أخرى.. ومشى بها خطوات بسيطة وهو ينظر إليها ويتحسس شعرها ووجها الناعم.. تبتسـم إليه وتتثاءب ويدها تمسـك الأصبع الصغير من يده.. تفحصها مرارًا ومرارًا... عدد صوابع الأيدى والقدمين كاملان.. أنفاسـها تتعالى.. ونور رباني يشـع من وجهها.. أتت إليه المربية وأخذت منه ملك وذهبت بها إلى حجرة الأطفال الرضع بعد أن وضعت أسـورة من البلاسـتيك بلون وردى بها اسمها واسم والدها حتى يتعرفون عليها بسهولة بين الأطفال بداخل الحجرة.. وطمأنتهم بأن طبيب الأطفال سيدخل للكشف عليها وفحصها..

ثم أخذوا يتساءلون عن مصير داليا.. وأين هي الآن.. اقتربوا من باب حجرة العمليات وأعينهم تترقب المدخل الخاص بها عسى أن يروا داليا.. حتـى خرج الطبيب إليهم يطمئنهم عليهـا.. وما هي إلا لحظات وكانت داليا في حجرتها..

– فين بنتي؟

– حمد لله على السلامة يا داليا..

– بنتك بخير.. اطمئني هم حطوها في أوضة الأطفال حديثي الولادة وعمر معها.

– ليه؟ إيه إللي حصلها..؟

– لا مفيش حاجة.. متقلقيش.. دي إجراءات عادية زي ما الدكاترة فهمونا.. علشان يطمنوا عليها وعلى وظائف جسدها..

– طب ممكن حد يكلم عمر علشان يجبها ويطمني عليها..

– أنا هنا حبيبتي.. أنا جيت أهو متقلقيش.. ملك بخير..

– عمر. ملك فين..؟.. أنا عاوزه أشوفها.. عاوزه أبوسها وأحطها على صدري وأرضعها..

– حمد لله على سلامتك يا حياتي.. حاضر هاجيبها وهاعملك كل حاجة إنتي عاوزاها..

انحنى عمر على داليا ليقبلها وفعل مثلما فعل مع ملك.. قبلة على الجبين.. ومثلما فعل مع ليلى.. قبلة على يديها.. استشعر الحرج وأنه لا يعطي داليا حقها وأن ليلى رغم غيابها عنه من عامين ما زالت في مخيلته.. استشعر أنه لا بد أن يبث غرامه لداليا كما كان يفعل مع ليلى حتى وإن كان ذلك تمثيلًا.. إلا أنه أدرك أن ذلك هو العدل كله.. واعتبر نفسه متزوجًا

بإمرأتين.. ليلى في خياله.. ودواليا في واقعه.. وأنه لابد أن يعدل بينهما حتى وإن كانت إحداهما غير موجودة.. إلا أنها استحوذت على عقله وقلبه من قبل ودواليا لاذنب لها في ذلك.. فمن العدل أن يتغزل فيها ويقبل يدها كما قبل يد ليلى من قبل.. وأن يفعل مع داليا ما كان يتمنى أن يفعله مع ليلى إن كانت زوجته.. واعتبر أن اليوم هو بداية إقامة حد العدل في تلك العلاقة الغريبة مع زوجته.. التي نظرت إليه وبكت.. وكأنها كانت تنتظر تلك القبلة الحانية من زمن بعيد.. بكت حتى بللت رأسه التي وضعها على صدرها واحتضنها حضنًا بريئًا ليس له أغراض..سوى أن يبث الاطمئنان في قلبها.. وبكى عمر وهو يكتم أنينه.. ويكتم سرًّا جديدًا لديه.. بعد أن أبلغه الطبيب بمرض ابنته.. إلا أنه رفض أن يصرح لهم بهذا المرض وكتمه في قلبه ولو مؤقتًا.. لأن الكل سيعرفه ولكنه آثر ألا يفسد عليهم فرحتهم بملك.. وكما يفعل دائمًا يكتم كل أسرار أصدقائه وأسراره في قلبه ولا يبوح بها لأحد.. يحمل الهم وحده.. وذهب ليحمل ابنته بين يديه.. ويأتي بها إلى أمها ليطمئن قلبها.. ذهب ليحمل همًّا جديدًا.. وحمد الله في سره على ما أصابه وخرج مسرعًا يخبئ دموع عينيه.. خرج والعيون كلها معلقة به تنتظر أن يأتي إليهم بملاكهم الجديد.. واعتدلت داليا في مجلسها وتحسست صدرها وتهيأت لها..

10
حلم

بعيون ممتلئة بالدموع وأكاد أن أرى ما أمامى بضعف شديد.. نظرت وتلفتُّ حولي فلم أجد سوى عمر واقفًا أمامي بابتسامته المعهودة ونظرته الحانية نحوي.. عاقدًا ذراعيه أمام صدره.. تبينت ملامحه بصعوبة بالغة.. وحاولت أن أحرك يديَّ فوجدتها مثبتة بأسلاك معلق بها محاليل طبية.. نظرت إليه فتقدم وكأنه قرأ ما في عينيَّ من رغبة مني في أن أراه عن قرب ووضوح..

– حمد لله على السلامة يا ليلى..

– بصوت ضعيف نطقت ورددت عليه السلام..الله يسلمك

– ماتتكلميش كتير.. إنت بخير وماتقلقيش إحنا كلنا هنا..أنا هاخرج أطمن الشلة كلها.. كلهم بره واقفين وقلقانين عليكي..

– لا.. متناديش حد يا عمر.. خلينا لوحدنا شوية.. دي أول مرة يتقفل علينا باب واحد.. إنت خايف مني ولا زهقت مني يا عمر..؟ ساعدنى بس واعدلني في السرير وخليني أتكلم معاك شوية بهدوء قبل ما يدخلوا يعملوا لنا دوشة.. أمسك إيدى يا عمر ولا أنت خايف تمسكها..

– لا يا ليلى.. متقوليش كدا.. إنتِ عارفة.. إنتي كل حياتي..أنا نفسي أمسك إيدك وأبوسها كمان.. أنا نفسي أحضنك.. بس أرجوكي ماتتكلميش كتير وبلاش توتر وقلق.. علشان ضغطك ما يعلاش..

– متسبنيش يا عمر.. أرجوك مهما يحصل.. مهما تكون الظروف ماتسبنيش..

– أنا ما سبتيكيش يا ليلى.. إنت إللي قولتيلي أمشي وأنسحب.. وأنا قلتلك أقاوم وأقاتل لكنك رفضتى..

– أنا بحبك يا عمر.. ومعاك مستسلمة ومش بحس بأي حاجة عن العالم إللي حواليَّا ومش عاوزه أعرف حاجة عنهم ولاعاوزة حاجة منهم.. ولكن الظروف.. وأبويا..

– أنا مقدر إللي إنتي فيه يا حبيبتي.. أنا بردو بحبك جدًّا ولسه عندي استعداد أدافع عن حبنا وأواجه أبوكي تاني..

– أنا آسـفة يا عمر إني إتسـببت في جرح لك.. أنا عارفة إن كرامتك أغلى حاجة عندك..

– علشان معنديش غيرها يا ليلى.. إحنا مش أغنيا زيكم.. وإللي زينا معندهمش حاجة يملكوها غير الكرامة وعزة النفس..

– عمر.. أنا على استعداد إني أهرب معاك.. واستخبى من الدنيا كلها جـواك.. جوه حضنك وقلبك بين ضلوعـك.. أنا عارفة إنك هتحميني وتخبيني وهتشيلني بين عيونك..

– عارفة يا ليلى.. أنا نفسي دلوقتي أقوم وأحضنك.. بس أنا مش هعرف أعمل كدا علشان إنتي مش ملكي لسه.. أنا هستناكي في الحلال..أنا مش هأخطفك من أهلك ولا هأسـمحلك تهربي منهم وتجيلي.. إحنا هنتجوز وبرضاهم..إحنا ما بنعملش حاجة حرام..

– الحب عمره ما كان حرام..

– أنا هأقوم دلوقتي لأني ضعيف جدًّا قدامك.. أنا هأقوم أتصل بأهلك علشان أطمنهم عليكي..

– لا يا عمر ما تخليهمش يجبوا هنا.. والدي هيتكلم معاك كلام جامد جدًّا..وهتدخلوا في صدام شديد.. صدقني مش هيهمه المكان ولا الزمان.. مش هيفرق معاه الناس..

– متقلقيش.... هند وكريم بره وهمه اتصلوا بأهلك فعلًا لأنهم خايفين

عليكي.. إهدي دلوقتي وأنا هخرج لهم.. وهانتظر والدك علشان نتكلم مع بعض لأن كدا ماينفعش.. لازم يفهم إن كدا بنته بتضيع منه.. وإن فيه إنسان تاني هيضيع برضو.. أنا فعلًا ممكن أموت لو جرى لك حاجة..

ترك عمر يدي وانسحب خارجًا وطمأن هند وكريم اللذين أسرعا في المجيء إليَّ عندما رأوه خارجًا من الحجرة.. وعلت الفرحة وجوههم بعدما أخبرهم بأنني حاليًّا بخير.. وأتى الطبيب للاطمئنان عليَّ ودخلت هند معه وتركت كريم في الخارج ليكون بجوار عمر الذي وضح عليه الإرهاق الشديد..

حاول كريم تهدئة عمر وأمره بأن يذهب ليستريح قليلًا في غرفته بالفندق لأن والد ليلى سيصل مبكرًا كما أخبره عند الاتصال به.. ولكن عمر أصر على البقاء بجواري في انتظار مجيء والدي ومواجهته وإعلانه له أنه لن يستسلم.. لن ينسحب ولن يهرب ولن يتركني كما أخبرني..

ساعات طويلة مرت علينا منذ حديثنا الصادم وكيف كانت نهاية اللقاء بسقوطي في أرضية الفندق في تمام الثانية عشرة بعد منتصف الليل وكأنني سندريلا التي عادت في ميعاد حفلتها ولكنها هنا عادت لتسقط في موعدها المحدد بدقة.. عقارب الساعة تشير إلى السادسة صباحًا.. ثلاث ساعات أو أكثر بقليل متوقع أن يأتي فيها والدي بعد أن أبلغته هند بما حدث في تمام الرابعة فجرًا وأعلن لها أنه سيتحرك فورًا ليأتي إلى ابنتي.. ولن ينتظر

الطيران ولكنه أمر سـائقه الخـاص ليتحرك فورًا بسـيارته ومعي والدتي للاطمئنان على ابنتهم..

إذًا فبعد قليل سـيدخل عمر في مواجهـة أخرى مع هذا الرجل الذي يكرهه.. لذلك عليه أن يبدأ من الآن في إعداد أسـلحته وكلماته ومبرراته للدفاع عن نفسـه بل وللهجوم عليه أيضًا.. ليفوز بي.. ولكنني أشك في أمر هذا الفوز..

بكيت من الفرح وأنا أرتدي الثوب الأبيض في ليلة الزفاف وهند وكريم يحيطان بنا..وعمر يرقص معي ويضع يده على كتفي.. كنت أضحك وأبكي في آن واحد من فرط السـعادة التي أنا فيها الآن.. فها هو عمر يقبل يديَّ عـلى الملأ.. بل ويحتضنني ونرقص معًا في النور ولا نخشـى أحدًا والكل يصفق لنا وأنغام الموسـيقا تدعونا للاستمرار في الرقص والانطلاق نحو السماء.... ووالدي ينظر إليَّ وعلى وجهه علامات الهزيمة.. يصافحه ويبتسم في وجهه.. ويعلن له موافقته على الزواج بابنته.. ووضع يديه على كتفه.. ونظر في عينيه.. ثم مد يده وجذبه من بين أحضاني ليتكلم معه بعيدًا عن الزحام..

11
الصفعة

وجدها تبكي مرة أخرى.. تخبئ عينها خلف يدها.. لا تقوى على النظر في وجهه.. تجلس على مقعدها ولا تقوى على الوقوف لمواجهته.. تخشى السقوط إن وقفت.. تذكرت صرختها السابقة ولحظات ما قبل فقدانها النطق في بهو الفندق في شرم الشيخ وانتقالها إلى المستشفى وقبلته لجبينها.. ونظرة أبيها له وكلامه الصادم لهما أن يبتعدا عن بعضهما البعض وإلا سيناله أذى منها.. وقد كان محقًّا في ذلك فقد تم تهديده بالفصل من إدارة الشركة واتهامه بأنه يتحرش بها.. إلا أنها أنقذته من تلك التهمة المشينة التي أعدها له والدها ليبتعد عن طريقها.. وقد كان فهو الآن يودعها لينتقل إلى إدارة

أخرى في مبنى آحر من إدارة الشركة وهي أقل عقوبة استطاعت الشركة أن توقعها به ليبتعد عنها ولو في العمل.. مع تهديد آخر من والدها لها بأن لا يتعرض لها وإلا سيلحق به أذى أكبر.. استسلمت ليلى لوالدها وبكت حبيبها.. وها هي تبكي في لحظة الوداع.. تنظر إليه في ضعف.. وهو ينظر إليها بطرف عينيه وهو يلملم أوراقه وأشياءه ويودع زملاءه في العمل.. وتودعه الوداع الأخير..

تحسس عمر وجهه من أثر الصفعة التي صفعها له والدها في المستشفى عندما رآه منتظرًا أمام غرفة ابنته.. ما زالت تلك الصفعة تترك أثرًا نفسيًّا على عمر.. كان يحاول أن يتناساه بمرور الوقت.. تحاشا أن يتكلم مع ليلى في أمر تلك الصفعة بعدما أفاقت واطمأن عليها.. واعتقد أن مجرد رؤية ليلى كل يوم في العمل ستنسيه أمر تلك الصفعة وآلامها وشرخها الذي أحدثته في نفسه.. كان قد توقع المواجهة مع والدها واستعد لها ولكنه توقع أن تكون مواجهة لفظية وكلامية فقط.. أعد عدته للحوار الذي سيدور بينهما..

– إنت إيه إللي جابك هنا.. إنت السبب في إللي حصل لبنتي..

– إهدى يا عمي أرجوك.. أنا بحب ليلى وخايف جدًّا عليها..وهي وقعت في الفندق وأنا جبتها هنا.. إطمن هي بخير وأنا مش هسيبها إلا لما أطمن عليها..

– إياك أسمعك بتقول بحبها دي تاني.. وإياك أشوفك أو أسمع عنك حاجـة خاصة بيك إنت وليلى الأيـام الجاية دي.. إبعد عن ليلى أحسـن لك..

– أرجوك يا عمي إهدى بس علشـان ليلى.. تعال نقعد في الاستراحة بعيد عن الأوضة علشان ليلى ما تسمعش حاجة من الحوار دا..

– لا أنـا مش هتحرك من هنا.. وإنت خـلاص علاقتك بليلى انتهت مـن النهاردة.. إتفضل إبعد عن هنا.. إمشي بعيـد من قدام الباب.. بدل ما أجيبلك الأمن ورجالتي يبهدلوك.. إمشي بالذوق..

– لا يا عمي أنا مش هسـيب ليلى.. لازم أتطمن عليها وأفضل جمبها لحد الآخر.. ليلى فاقت وبقت كويسة وشافتني ومستنياني دلوقتي أدخل لها معاك..

– لا إنـت زودتها قـوي.. إنت مش هتخش.. إنـت هتخرج دلوقتي حالًا.. اتفضل.. إنت لسه متعرفش حسين السعداوي كويس.. أنا هوريك وهاسيبلك علامة تفكرك بي طول العمر..

وهوت يده على وجه عمر وتدخل كريم محاولًا فض الاشـتباك بينهما وجـاء الأمن واصطحب عمر وكريم إلى الخارج.. وأصابع يده تترك أثرًا عـلى وجهه وعلى مسـتقبله كله.. الأمن يحاول أن يدفعـه للأمام ويأخذه لخارج المستشفى بالقوة.. ورجال سعيد يحاولون أن يفتكوا به أيضًا وكريم

يحاول أن يدافع عنه.. أما عمر فهو مستسلم لما يحدث تمامًا.. يجر قدميه جرًّا ويكاد أن يزحف وجسده مسترخيًا بلا أعصاب أو عضلات أو أنسجة.. فقط قطعة لحم كالذبيحة يجرونها جرًّا.. ويده على وجهه.. تتحسس مكان الضربة..

نظر عمر لليلى وتذكر تلك الصفعة التي تلقاها جزاء لحبه لها.. وتذكر الصفعات الأخرى التي تلقاها في عمله.. وتحمله وصبره ودفاعه عن نفسه وعن حبه لها.. نظرات تملؤها الحيرة والحسرة والمراراة والألم والشعور بالدونية وهو ويخرج من المكان مهزومًا.. كالعادة أمام أبيها ورغباته وسلطاته.. يتحسس المقاعد والمكتب وحوائط المكان.. تلك الحوائط التي شهدت حبهما وحديثهما العاشق مرات ومرات.. يجلس قليلًا على مكتبه لآخر مرة.. يضع المفاتيح في مكانها.. يطفئ جهاز الكمبيوتر الخاص به.. والذي يبكيه أيضًا فهو لن يستعمله مرة أخرى حيث سينتقل إلى إدارة أخرى في مبنى آخر بعيدًا عن ليلى وبعيدًا عن كل ما يذكره بها.. ذلك المصباح الموجود على المكتب والذي كان هدية منها سيأخذه معه.. ذلك الدب الفرو الصغير الذي أحضره مع آخر أكبر حجمًا كهدية لها وأصرت على أن يقتسما الهدية معًا.. هي ستأخذ الكبير وهو سيأخذ الأصغر تعبيرًا عن اقتسامهما لكل الأشياء والحياة بأسرها معًا.. ميدالية المفاتيح التي على هيئة القلب المقسوم نصفين، نصف معها والآخر معه.. كانت هي آخر ما أخذه من المكتب.. ثم نهض.. وعيناه تملأهما الدموع.. يسانده كريم ويحمل معه أشياءه..

وباقي الأصدقاء واقفون لتوديعه والسلام عليه.. يبكي ولا يريد النظر في وجهها.. ليلى فكرت مرات ومرات قبل أن تأتي اليوم لتوديعه.. حاولت أن لا تأتي إلا أنها لم تستطع.. تدرك تمامًا أنها ضعيفة أمامه.. وأمام أبيها.. لم تقاوم رغبات والدها وأوامره.. لم تقاوم وتدافع عن حبها وعن عمر.. تركته في مواجهته مع أبيها وانسحبت.. وتركت الساحة لأبيها يفعل فيه مايشاء.. إلا في تلك المرة التي برأت فيها عمر وأعلنت لإدارة الشركة براءته مما اتهمه أبوها بنفوذه.. تلك هي المرة الوحيدة الأولى والأخيرة التي دافعت فيها عن عمر.. ولم تدافع عن حبها.. فكانت عيناها تبكي لشعورها بالذنب تجاه عمر.. وشعورها بالهزيمة..

استجمعت ليلى شجاعتها ووقفت تمسح دموعها.. ونادت على عمر ومدت يدها لتصافحه..

12
دمـــاء

مـا زالت صرخاته تدوي في أذني.. نـادى أيمن فلم أجبه.. كنت على شـفا فقدان الوعي..وجد الدماء تسـيل بغزارة.. توتـر أكثر ولم يجد حلًّا سـوى الاتصال بأمي التي صرخت وأمرته أن يجفف الدماء ما اسـتطاع وأن يحملني إلى المستشفى...

فكر أيمن كثيرًا أن حملي في سيارة إسعاف سيزيد الأمر صعوبة وسيجعل موقفه صعبًا أمام رواد الفندق.. اتصل أيمن بإدارة الفندق التي وفرت له سـيارة لتحملني إلى مستشفى شرم الشيخ.. حملني أيمن مسرعًا بين يديه وخطى خطوات سريعة ودخل بي المستشفى.. نفس المستشفى للمرة الثانية..

مد يده وأمسك يديَّ.. عاونني على النهوض من مقعدى.. أسند رأسي على كتفه.. وداعب خصلات شعري الأسود اللامع.. لأول مرة يفعل معي ذلـك في حنو وهدوء ومودة ودون أن يكون ذلك نابعًا من رغبة جنسـية منه.. لأول مرة يحتضنني حضنًا بريئًا كما كنت أطلب كل مرة..

حاول تحتويني.. حاول أن تشعر بي وتحتضني.. حاول أن تحبني فقط لنفسي وليس لجسدي.. حاول أن يكون الحضن من أجل الحضن من أجل الحب والعطف والمودة لا من أجل الجنس فقط لا غير..

كانت تلك كلماتي له وها هو الآن يفعل ذلك بعد أن قسا عليَّ وضربني بعنف ليلة أمس رغم علمه بحملي وآلام الحمل التي أنا فيها.. لكنه كعادته عاد سـكيرًا بعد أن قضى ليلتـه في إحدى حانات باريس يحتسي الخمر مع صديقه جاك وصديقته ناتالي.. وبعد ممارسته للفجور معهما.. عاد إلى البيت يطلبني لاستكمال نزوته وإفراغ شهوته كما هي العادة.. ولكنني كنت نائمة مرهقـة من أثر الحمل.. لكنه لم يمهلني ولم ينتظر ولم يلتمس لي الأعذار.. فك قميصه وخلع بنطاله.. وجذبني من شعري.. وحاول أن يخلع ملابسي عنوة وقسـوة.. جذبني إلى حدود الفراش.. وحاول أن يحملني وينزل بي أرضًا.. صرخت.. وحاولت إفاقته مما هو فيه.. إلا أنه أبي.. فما زال تأثير الخمر في رأسـه وكذلك تأثير الحبوب المنشطة التي أخذها تدفعه للإتيان بي.. هكذا اعتاد منذ مجيئنا هنا إلى فرنسـا.. صُدمت وجُرحت مرة أخرى بعد جرح ليلة الزفاف.. وجدت إنسـانًا شـهوانيًّا ماديًّا فقط لاغير هنا..

يعمل نهارًا ويسهر في البارات والحانات ليلًا.. يأتي بأصدقائه أحيانًا لممارسة لعب الميسر وشرب المخدرات هنا في المنزل.. حاولت أن أثنيه عن ذلك مرات ومرات.. إلا أنه حذرني من ذلك بأن تلك حياته التي لا بد أن أتأقلم عليها معه.. لأنه بدون هؤلاء الأصدقاء الفرنسيين والمغاربة والجزائريين ما كان قد استطاع أن يعيش هنا في فرنسا.. فهم الذين وفروا له العمل والمسكن والإقامة.. هم أصحاب الفضل عليه في أن يصل إلى تلك الحالة من الثراء بعدما كد وكافح هنا.. اتهمته بأنه كاذب ومخادع ومنافق عندما تقدم إليَّ ليتزوجني وخدع والدي وأوهمه أنه رجل أعمال ثري في فرنسا.. رد عليَّ بأنه لم يكذب فهو بالفعل رجل أعمال ووالده أيضًا رجل أعمال ولكنه أفلس فاضطر للعمل في عدة أماكن حتى تحسنت أحواله نوعًا ما وأصبح قادرًا على الزواج..

– ليه أنا؟ ليه ما أتجوزتش واحدة فرنسية أو مغربية من هنا علشان تاخد الإقامة والجنسية..؟ ليه أتجوزتنى أنا؟

– أنا مش محتاج أتجوز واحدة من دول.. أنا معايا الإقامة والجنسية فعلًا.. إنت نسيتي أنا هنا بقالي قد إيه؟

– طب واتجوزتني أنا وبهدلتني ليه؟

– أنا مبهدلتكيش.. أنا معيشك أحلى عيشة.. بنات كتير تتمناها.. وبتحلم بيها..

– أنـا بقى مبحلمش بيها ولا بتمناها.. أنا مش عاوزه أعيش العيشـة دي؟ طلقني وسيبني أمشي..

– لا يـا روحي.. إنسي الموضوع دا.. أنا بحبك ومش هقدر أسـيبك ولا أعيش من غيرك.

– أنـا كرهتك وكرهت نفسي.. من أول يوم وإنت جارحني وتاعبني ومبهدلني.. وصدمتني أكتر لما جينا هنا.. مخدرات وستات وقرف..

– لا، احترمي نفسـك بلاش غلط بدل مـا تتبهدلي بجد وتزعلي إنت وأهلك..

– حرام عليك عملتلك إيه علشان تعمل معايا كدا..؟ الله يسامحك يا بابا.. هو إللي رماني الرمية دي..

– أيوه روحي اسـأليه.. أبوك طماع.. وأنا زيه.. هو ناسب الفلوس.. وأنا ناسبت المنصب.. إنسي بقى إللي حصل وخلينا نبدأ صفحة جديدة.. أنا كويس على فكرة وبحبك وهحاول أتغير علشانك..

محاولـة تتلوها الأخرى.. كلها باءت بالفشـل.. كل ما فعله أيمن من محاولات للتغير هو أنه لم يأتِ بأصدقائه إلى البيت ونقل السهرات إلى بيت سفيان الجزائري صديقه.. لكنه لا يزال على شربه للخمور وللمنشطات.. يثور لأتفه الأسباب ثم يهدأ بعدما يرى الدماء تسيل من أسفلي.. هدأ نوعًا ما بعد إنجاب عمر.. وتحسنت الحياة بيننا نوعًا ما.. يكبر عمر بيننا.. ننزل

جميعًا إلى مصر كل عامين لزيـارة الأهل والأصدقاء.. يطمئن على تجارته وتوكيلاته في مصر التي يتشارك فيها مع حسين السعداوي والدى.. يذهب إلى مصر شخصًا مختلفًا تمامًا.. لا خمور ولا نساء ولا مخدرات.. سجائر فقط لا غير.. يرحبون به في مصر.. يتوعدني بالويل والألم إن تكلمت عن حياته الخاصة في فرنسا ويهددني بابني وما سيحدث له إن تكلمت وأن نفوذ أبي لن يمنعه من الانتقام.. وأن الأذى سيلحق بوالدى أيضًا إن تكلمت.. سكتت وجففت دموعي.. ومضيت في حياتي واستسلمت لزوجي كما استسلمت لوالدي من قبل.. ضحيت بعمر وبعملي وتزوجت من أيمن بناء على رغبة والدي.. حتى تحطمت أحلامي وآمالي على يد والدي ثم زوجي.. وهبت نفسي لابني.. خمسة أعوام مضت في مزيد من الشقاء..

بشرى سارة زفها إليَّ الطبيب.. قريبًا مولود ثانٍ.. اعتقدت أن هذا هو الذي سـيحدث التغيير في زوجي ولم لا وهو قد تحسـنت أخلاقه نوعًا ما بعد إنجابي لعمر.. وها هي الشهور ستمضي مسرعة وسأنجب مرة أخرى مما يعني تغيرًا آخر في شـخصيته.. إلا أن أصدقاء السوء ما زلوا ملازمين له.. وكلما جذبته ناحية الجنة.. يجذبونه هم ناحية النار.. وهو ممزق بيننا.. يترك نفسه لهم ليفعلوا فيه مايشاء.. حتى ضيقت عليه الخناق.. فثار ثورة عارمة عليَّ وانهال عليَّ ركلًا وصفعًا.. وتركني أبكي مع ابني الذي احتضنته بشـدة ونظر إلى أبيه نظرة غضب وحزن وارتمى عليَّ يحميني من ضربات أبيه المتتالية عليَّ..

خرج مسرعًا ليذهب إلى أصدقائه.. أغلق الباب بالمفتاح علينا كما يفعل كل مرة.. فنحن في سجن وهو السجان حامل المفاتيح.. حاولت أن أنهض وطلبت من عمر كوبًا من الماء.. فأسرع يحضره لي لعلني أستطيع أن أتكلم بعدما حدث لي.. نظرت إليه مشفقة عليه مما يراه في طفولته لأمه.. من أبيه.. وتذكرت أن في أحشائي جنينًا آخر لا أدري بعد كل تلك الضربات والركلات لا يزال قلبه ينبض أم لا..؟ وضعت يدي على بطني وحاولت أن أسترق السمع لعلني أسمع نبض جنيني.. طلبت من عمر أن يكف عن البكاء وجففت دموعه بالمنديل الذي أحضرته له.. وحاولت النهوض للاتصال بطبيبي لعلني أسمع منه تعليمات تجعلني أطمئن على جنيني.. اتصلت وانتظرت الرد..

13
في محراب الصمت

جاءها الرد.. صمت يتلوه صمت.. نظرات من عينيها تتأمله.. تتمنى أن ينطق.. أن يتكلم.. أن يبوح بما يكنه لها.. لكنه على عهده دائمًا مع نفسه.. لن يبوح بأي أسرار إلا لليلى عندما يرها مرة أخرى.. كان يشعر في قرارة نفسه أنه حتمًا سيراها وسيحدثها وسيتكلمان ويبوحان بكل ما لديهما مرة أخرى.. لذلك آثر الصمت مع زوجته..

في بداية زواجهما كان يحاول أن يتحدث مع داليا عن أحداث اليوم وما دار في العمل لديه وما دار في العمل لديها.. إلا أنه لم يجد إلا آذانًا صماء لا تسمع إلا ما تريد.. وشفاهًا خرساء لا تتكلم إلا بما تريد.. أما هو فغير

موجود في حياتها سوى للعمل وجلب الأموال.. والنشوة إن أردات مرة أو أمرهـا ضعفهـا أن تناديه ليأتيها.. احتفظت بعاداتهـا.. لا تتكلم كثيرًا عنه أو معه.. إلا كلامًا غير مفيد عن عملها ومشاكلها وأسرتها ومحاسنهم وأخلاقهم وسموهم وأصلهم الذي يعود إلى إحدى العائلات العريقة.. دائمًا ما كانت تشعره بنفسها فقط أما مشاعره هو فلا تهتم بها.. شعرها الأصفر الذهبى الذي تذهب شهريًّا لتصفيفه بمبلغ كبير.. وعطورها المميزة التي تطلبها منه أو ترسـل لشرائها من الخارج مع أهلها القادمين من الخليج.. وملابسها التي تمتلأ بها خزانة الملابس.. تفتح الخزانة وتقف أمامها كثيرًا وتختار من الثياب أجملها وتناديه لتخيره بين الثياب.. الأحمر مع الأسود.. الأخضر مع الأصفر.. الأزرق مع الأبيض.. اختيارات متعددة تحاول أن تختـار بينها ويقف أمامها مذهولًا.. هل هذا هـو الأمر المهم الذي نادت عليه من أجله.. اختيار تناسق ألوان.. فقط لاغير.. وماذا عن مشاكله التي كان يدخل بها من باب المنزل.. اختلافه في العمل مع مرؤوسـيه أحيانًا.. ومع رؤسـائه أحيانًا أخرى.. ضميره الذي يوخزه ويأمره بالاستقامة في العمل وفي الحياة.. حاول أن يجعلها مرآته النقية التي ينظر فيها ليرى وجهه الحقيقي.. ولم يجدها.. حاول مرارًا أن تشاركه أحلامه وطموحاته وأفكاره وهواياته.. لم يجدها.. يجلس شريدًا أمام حوض السمك الذي صنعه بيده ويحدث الأسماك ويداعبها ويشعر أنها تحادثه مثلما كانت تتحدث معه ومع ليلى في أعماق البحار.. يجلس بجوار فرشـاته وألوانه ويرسم لوحاته التي

تستهزأ بها داليا.. يرسم وجه ليلى في كل مرة على خلفية الأسماك والبحار.. وجه غير واضح المعالم لمن يراه إلا أنه كان واضحًا جدًّا بالنسبة له.. تأتي داليا وتنظر له وهو يرسم.. أو وهو يتحدث مع الأسماك ثم تنبهه إلى أنه غافل.. ومسرف ومبذر وأن الأموال التي يصرفها على تلك الهوايات هي وابنتها أشد احتياجًا لها.. بالرغم من عملها في إحدى شركات المقاولات الكبرى فإن دخلها لا يكفي لشراء ملابسها وزينتها.. وبالرغم من مرض ابنتها فإنها أصرت على العمل بدلًا من الاستقالة كما حدثها من قبل لتهتم بأمر أبنتها.. وكانت تتحجج أنها تفعل ذلك لتصرف على نفسها حتى أقنعها يومًا ما أنه سيتولى أمرها ويزيد من مصروفات البيت من أجلها على أن تستقيل من العمل من أجل تربية ابنتهما المريضة.. كلفه ذلك الإقناع مبلغًا كبيرًا من المال ومزيدًا من التنازل عن المبادىء.. لكنه لم يهتم فهو يعرف كيف يسترد هذا المال من جانب آخر.. من العمل.. انتقاله أو نقله إلى إدارة المشتريات بعد اتهام حسين السعداوي له ثم تبرئة ليلى له.. لم يكن باب شر له.. بقدر ما كان باب خير له.. حسب تفسيره هو.. فإدارة المشتريات من الإدارات التي يدور حولها كلام وأحاديث كثيرة.. وبها شبهات كثيرة.. استطاع أن يستغل هو تلك الشبهات والثغرات وأن يحقق ثروة لابأس بها.. لايعرف أحد عنها شيئًا.. وكانت المقولة الشهيرة عن إدارة المشتريات تنطبق عليه "سنة في المشتريات ولا عشرة في الإمارات..!!"..

كانت صفعة حسين السعداوي له.. درسًا في كيفية الانتقام وبدأت أولى

خطواته بانتقاله إلى إدارة المشتريات فبدأ في الانتقام من إدارة الشركة التي كالت له الاتهامات وغيرت مصير حياته.. مناقصات ومزايدات وعمولات وتلاعب في قرارات وتوصيات وإفشاء بعض الأسرار في مقابل العمولات والمزايا والهدايا.. حسن خُلقه الظاهر أمام الزملاء والمديرين جعله يكتسب ثقة الجميع.. فكان كالحمل أمامهم وهو في الأصل ذئب يتخفى بين الناس بتلك الأخلاق.. صار يتقرب إلى كبار المديرين والرؤساء وذوي النفوذ في الشركة ويحقق لهم مطالبهم بطرق مشروعة وغير مشروعة..

أيضا صمم على الانتقام من النساء.. رآهم كلهم ليلى التي تخلت عنه وتركته للمجهول.. فقرر أن يتخلى عنهم في طريقه للمجد.. يتكلم مع تلك ويخاطب الأخرى ويخرج مع غيرهن لا يحب إحداهن.. يقضي وقته معهن وينال مصلحته منهن.. يعيش معهن قصص حب وهمية..

هدى زميلة شقيقته في العمل... يختلق معها الأعذار حتى تأتي لزيارة أخته.. ثم أعذار أخرى لينتظرها أسفل المنزل ويركب معها السيارة.. يلتقيان معًا ويرتميان في أحضان بعضهما البعض.. حتى أدمنته وأتت به طواعية في منزلها.. في حجرتها التي كانت تعتبرها منزل الزوجية لهما في غياب أهلها.. انتقل من هدى إلى نادين التي عشقته هي الأخرى.. وأغدقت عليه الهدايا الثمينة...من أجل أن تستأثر به.. تعلم علاقته الشائكة بزوجته.. تسمع عن مشاكله معها عن طريق زوجها.. صديقه عادل.. حتى تحدثت معه مرات ومرات في البداية في محاولة منها لتقريب وجهات النظر مع زوجته..

بدأت الحكاية بينهما في رغبتها الصادقة لحل تلك المشاكل.. إلا أن العلاقة تطورت يومًا بعد يوم لتصبح علاقة عاطفية غرامية دنيئة محرمة.. جريمة خيانة مكتملة الأركان.. نادين أحبته.. وجدت فيه ما لم تجده في زوجها.. تنتظره في منزلها بعد موعد العمل ليلتقيا في غياب زوجها الذي كثيرًا ما يسافر لأداء بعض الأعمال في مقر عمله في أسوان.. عشق لا ينتهي كل أول خميس من الشهر، يلتقيان تبكي نادين حظها وعلى أنها التقته بعد كل تلك السنوات.. تبكي أنها وجدت الحب الضائع من عمرها معه الآن.. وجدت الحب المحرم.. فهي من الصعب أن تطلب الطلاق.. رغم أنها أخبرته بإمكانية قيامها بذلك.. بل وأخبرته أيضًا أنها على استعداد أن تدخل في الإسلام من أجل أن تتزوج به..

لم تكن نادين أول امراة قبطية في حياته.. فنشأته في حي الظاهر الذي يعتبر من أكثر المناطق التي يسكنها الأقباط مثلها في ذلك مثل شبرا جعلت له جيرانًا وأصدقاء وصديقات في المدرسة والجامعة من الأقباط.. وكثيرًا ما كان يعجب بإحداهن من الكنيسة القريبة من منزله.. يتواعدان ويلتقيان.. لم يكن في حياته حب أول.. كلهن علاقات عابرة.. إلا ليلى كانت حبه الأول والأخير..

هدى.. نادين.. وغيرهن قبلهن.. كلهن كن ضحايا له.. وهو ضحية لليلى.. وهي ضحية لحسين السعداوي.. والآن أصبح هو ضحية لداليا.. وكأنها عدالة السماء.. الانتقام الإلهي لضحاياه تنفذه داليا بصمتها وكبريائها

وانزوائها عنه.. ثم زاد الانتقام بمرض ابنته في الرئة وضعفها واحتياجها الدائـم للعلاج.. ولكنه لا يرى سـوى الأموال التي يحتـاج إليها.. حتى جـاء اليوم الذي احتاجته داليا فيه وطلبـت أن تتكلم معه.. لكنه في هذه المرة أصر على الصمت.. وتركها تتكلم.. وأراد أن يذيقها من نفس كأس الصمت ومرارته..جلس أمامها.. نظر إليها بثوبها الرائع وزينتها الكاملة التي تزينت بها.. المكان الهادئ الذي اختارته للقائهما.. أنغام الموسيقا تعزف من حولهما بصوت هادئ جميل النغمات.. أيديهما المتشابكة كأنها في معركة.. عيناها المصوبة ناحية عينيه بشدة ودقة متناهية.. أنفاسها المتسارعة.. أنتظر حتى أنهت كلامها.. وحاول الرد عليها..

14
الـوداع

لم يجد ما يرد به على نظراتها.. ضعفها.. دموع عينيها التي سالت.. يديها الممتدتين لتصافحاه.. يديه اللتان تبتعدان ولا تتقدمان لتلامسا يديها.. قدميه اللتـان تأمرانه بالانصراف والابتعـاد.. عقله الذي يناديه أن ينصرف فلا وقت للوداع ولا للذكريات ولا مكان لحبها الآن.. الحياة مضت واستمرت بعدها.. فلا داعي لأن يتراجع ويعود إليها أو أن يبدأ من جديد.. خاصة أنها لا تدعوه للبداية أو العودة مرة أخرى.. جاءت إليه اليوم لتودعه مرة أخـرى.. لتكتب آخر كلمـة في قصة حبهما.. سـتضع النقطة الأخيرة في سطور القصة ثم ستكتب في أسفلها.. النهاية..

تقدمـت ليلى وهي ترتجف.. ترتعش.. هي لا تتقدم فعليًّا.. لا تشـعر أنها تمشي.. أو أن قدميها تحملانها.. هي فقط تشـعر بأن جسـدها يدفعها للأمـام نحو مكتب عمـر.. ارتدت أفخر الثياب وأجملهـا.. لم تكن تلك الثيـاب اختيارها بل اختياره هو.. هو الذي كان يحب تلك الألوان عليها ويرى في ألون ملابسها الفاتحة بهجة ونورًا فوق نورها.. ارتدت الحجاب بعد عودتها من رحلة شرم الشيخ فزادها ذلك الحجاب جمالًا وإشراقًا.. لم يتمالك نفسـه من الفرحة وهو يرها لأول مرة بالحجاب.. بارك لها هذا القرار ودعا لها بالهداية.. ثم كانت الأزمات التي أحاطت بهما وشـكوى والدهـا له في العمل واتهامه لـه بأنه يتحرش بابنتـه ويؤذيها وأنه يهددها واتهامات أخرى بإفشائه أسرار العمل وتعطيل مصالح العملاء.. وكلها كانت اتهامات باطلة.. أنقذته هي منها.. لم يستطع أن يحتفل معها بمناسبة ارتدائها الحجاب.. لكنه أتى لها بهدية قيمة تليق بتلك الملابس.. أخذ أخته معه وذهبا إلى أكبر محلات ملابس المحجبات واشترى لها أكثر من طرحة وقدمهم إلى ليلى هدية منه لها.. كما اشـترى لها زجاجة عطر فاخرة باهظة الثمـن.. لم يقف المال حائلًا بينـه وبين شراء أي شيء يخص ليلى.. لم يكن المال يعنيه في شيء أمام ليلى.. كان على اسـتعداد لإنفاق المزيد والمزيد من أجلها ومن أجل الفوز بها.. يدرك أنها شيء ثمين جدًّا في حياته.. بل هي أغلى شيء في حياته.. بل هي حياته كلها..

جـاءت ليلى اليوم ترتدي بعض ما اشـتراه لها.. وتتعطر بالعطر الذي

اختاره وأحب أن يفوح منها له.. زادت في تعطرها قبل دخولها إليه.. وضعت المزيد من العطـر في يديها.. حتى تترك أثرًا على يديه حين يصافحها.. إلا أنه أبي أن يصافحها.. رفض أن يلامسها.. كان يخشى عليها من ضعفه.. ويخشى على نفسه من ضعفها إن تلامسا.. كان يشعر أن جسدها يناديه.. وأنهـا جاءت لتعانقه وتقبله وترتمي في حضنـه.. خاف وارتعش.. لم يقوَ على النظر في عينيها..

دخلت ليلى إلى مكتبه فوجدته منهمكًا خلف جهاز الحاسب الآلي الخاص به.. يجلس وينظر إليه ويتحدث معه عن الأرقام المتراصة أمامه ويعيد في بعض الحسابات ويكتب المزيد والمزيد.. وقفت خلف الشاشة ثم مدت يديها وأطفأتها.. وعندما هم بالنظر لمن فعل ذلك ليسبه.. وجدها أمامه تبتسم نفس ابتساماتها الرقيقة المعتادة تلك الابتسامة التي اجتذبته من أرضه منذ أول يوم وطئت قدمها العمل.. تلك الابتسامة البريئة الرقيقة الجذابة التي تجتذب كل من حولها حتى كانت تلك الابتسـامة هي بداية حبهما.. وهو الذي أمرها أن لا تغيب تلك الابتسـامة عن وجهها مهما حدث.. حاول النهـوض من مقعـده إلا أن قدميه لم تحملانه وعقله لم يسـتطع أن يعطى له أمرًا بالتحرك.. أصيب عقله بالتشـوش ونوع من فقدان السيطرة على القرارات لحظيًّا.. فلم يستطع أن يأمره بالوقوف.. أو البكاء أو الضحك أو النظـر إليهـا أو التحدث إليها.. صمت طويـل في المكان.. قطعته ليلى بالحديـث.. وبادرته لتحرك مشـاعره التي دفنها منذ شـهور بعدما انتقل

إلى هذه الإدارة بعيدًا عنها وعن رؤيتها.. حاول أن يرها مرارًا وأن يختلق الحجـج لكي يذهب إلى إدارتها في المبنى الآخـر ليراها.. عاد فتى مراهقًا ينتظر فتاته أسـفل شرفتها في العمل عسـى أن تنظـر إليه.. ينتظر أن يرى ابتسـامتها التـي اعتاد على مـدار أكثر من عام أن يرهـا.. أصبح كل أمله أن يرى تلك الابتسـامة فقط لا غـير.. تضاءلت أحلامه من الارتباط بها وإمساك يدها واحتضانها وتقبيلها لمجرد نظرة فابتسامة بدون موعد فكلام فغرام.. تضاءلت أحلامه تمامًا.. بل وقد تكون ماتت.. إلا أنها الآن تحييها مرة أخرى فقد أتت إليه تبتسم وتنظر إليه وتمد يديها لتصافحه.. كما فعلت مـن قبل عند انتقاله من الإدارة التي كانت تجمعهما والمكتب الذي شـهد حبهما.. والآن تأتي لتصافحه أو تحاول ذلك مرة أخرى..

– إيه مش هتسـلم عليَّ.. مش هتقوليِّ اتفضلي.. هتسـيبني واقفة كدا كتير..

– أنـا مش عارف أقولك إيـه؟ كل إللي أقدر أقولك عليه.. اتفضلي.. إقعدي.. دا مش بيتي ولا مكاني الخاص.. دا مكان شغلنا.. أنا مش صاحب المكان.. اتفضلي..

– إيه البواخة دي.. دي مقابلة تقابلني بيها..

– أنـا بقولـك فعـلًا مـش عـارف أعمل إيـه ولا أقـول إيـه؟ إنت فاجئتيني..

– ويا ترى المفاجأة حلوة ولا وحشة..

– أكيد حلوة طبعًا..

– طب أنا هأقعد بس هاجيب الكرسي يبقى قدامك.. أنا عارفة محدش هنا في الإدارة دلوقتي.. وأنا عاوزه أبص في وشك.. أبص في عينيك..

– ليلى.. إنتي إزاي كدا..

– إزاي.. إيه؟..

– إنتي مش عارفة إنتي إيه وبتعملي فيَّ إيه وفي كل إللي حواليك..؟

– لا مش عارفة حاجة عن حد.. أنا عاوزه أعرف أنا بس بعمل إيه فيك أنت..إيه يا عمر موحشـتكش.. مش عاوز تشوفني.. مش عاوز تشوف ضحكتي وعيوني.. مش عاوز تقولي بحبك..

– يـاااه يا ليلى.. إنتي قولتي كل إللي في قلبي وكل إللي أنا عاوز أقوله فعلًا.. بس أنا فعلًا عاجز.. مش عارف أنطق ولا عارف أقول حاجة.. أنا بقالي شهور قافل على نفسي ومبتكلمش معاكي ولا عنك حتى مع حد.. أنا بكلم نفسي كل يوم وبفكرها بكلامنا إللي كنا بنقوله.. بفكرها بذكرياتنا.. ووعودنا إللي خلفناها.. وقلوبنا إللي ظلمناها معانا..

– عمر.. أنا بحبك..

– وأنا يا ليلى بحبك.. ومحبتش ومش هحب غيرك..

– أنا عاوزاك.. أنا نفسي أبقى مراتك.. نفسي نكمل حياتنا سوا

– وأنـا كمان نفسي فيكي جـدًّا.. نفسي نعيش طول العمر مع بعض.. بس أنا مش هينفع أتجوزك من ورا أهلك.. انا مش هأقبل تكوني كدا.. ولا هاقبل ليك الضرر في أي يوم.. أنا مش هاقولك كلام أفلام وروايات عن التضحية والكلام دا.. لا.. خالص.. بس هو دا الشرع والدين والأصول.. أنا وإنتي إتربينا على كدا ولازم نحافظ على دا.. فاكرة لما قولتلك في شرم إن إحنا لبعض ولو بعد حين..

– آه فاكرة ولسه مستنية..

– أنـا دلوقتي بقولهالك تاني.. أنا حاسـس إن ربنا هيجمع بينا تاني.. بعد سـنة أو أتنين أو سـنين كتير.. ممكن حتى بعد ما نفترق ونكبر ونبعد عن بعض.. أنا حاسس إن ربنا كاتبنا لبعض.. بس مش دلوقتي..

– إنـت فظيع يا عمر.. عندك أمل وطموح وصبر.. ولسـه هتسـتنى كدا كتير..

– آه هستناكي كتير.. ولو بعد حين..

– عمر.. أنا جاية النهاردة أودعك.. جاية أقولك إني استقلت وهامشي من الشركة.. أنا مش عارفة أشتغل من غيرك.. ولا عارفة أفكر من غيرك.. إنت كنت كل حياتي..

– لا يا ليلى أرجوكي ماتمشيش.. ماتسبيش الشغل.. كملي علشان خاطري.. إنت عارفة إني بتحجج علشان آجي المبنى عندكم وأشوفك من بعيد لبعيد.. أنا عايش على اللحظات دي إللي بشوفك فيها في سكوت وهدوء.. ومن غير قلق ليكي..

– خلاص يا عمر مش هينفع.. بابا مستمر في الضغط عليَّ ومزودها قوي.. وأنا تعبت نفسيًا وجسديًّا.. وقررت الاستقالة.. هاريحه وأريحك وأريح نفسي.. أنا هانسحب يا عمر من حياتك.. سلام..

أمسكت ليلى يده بقوة وضغطت عليها وهي تقوم من مقعدها.. ونظرت إليه تودعه.. انسالت دموعها فوق خديها وسقطت دمعة على يديه فبللتها.. حاول أن يضع يده الأخرى فوق يدها ويمسكها إلا أنه لم يستطع.. حاول النهوض ليمسكها ويمنعها من الانصراف.. فلم يستطع أيضًا.. نظر إليها في استسلام وهي تسحب يدها من فوق يديه.. كانت هذه هي أقصى أمانيها أن تودعه في هدوء وأن تمسك يده.. أما أحلامها في عناقه وتقبيله فقد قتلتها.. انصرفت ليلى مسرعة.. وتتبعها بعينيه.. حاول أن ينطق أن يناديها.. فعجز لسانه.. وبكت عيناه..

ما هي إلا لحظات حتى استرد وعيه وأدرك ما حدث.. رائحة عطرها تفوح في المكان.. إنه لم يكن يحلم.. بل كانت حقيقة.. ليلى كانت هنا.. ما زال طيفها موجودًا.. مازالت صورتها ترتسم في عينيه.. يداها ما زالتا عالقة على يديه.. نظرة عينيها واقترابها منه وارتعاش شفتيها وهي تحدثه..

كل ذلـك كان حقيقة.. بكى ووضع رأسـه على المكتـب.. ليلى انصرفت واتخذت قرارها وانسحبت.. وانتزعت قلبه معها.. أغلق قلبه تمامًا.. عليها.. وأعلن أنه لن يسكنه سواها.. حاول الوقوف والانصراف إلا أن عقله أمره بالانتظار قليلًا حتى يطمئن لانصرافها تمامًا عن محيط مكتبه حتى لا يراها مرة أخرى.. حتى لا تضعف ولا يضعف.. تركها تمشي وتبدأ حياة جديدة.. تركها تكتب النهاية بيدها.. وبدأ هو في كتابة حلقات جديدة في مسلسل حياته.. ضغط زر إغلاق الحاسب الآلي وأطفأ الأنوار في المكتب.. وخطا أولى الخطوات في الحياة الجديدة بلا حب.. بلا قلب.. بلا مشاعر.. لكنها الحياة وستستمر.. استجمع شجاعته وانصرف.. ولكنها شجاعة مقنعة.. زائفة لكنه رأى أن تلك النهاية هي أفضل من نهايات أخرى أشـد سوادًا وكآبـة.. انصرفا على وعد باللقـاء.. وعلى أمل في أن يجتمعا مرة أخرى.. افترق الحبيبن على أمل أن يجمعهما الله مرة أخرى معًا..

انسـحبت ليلى في هدوء وهي تقسو على نفسها وقلبها وعلى حبيبها.. خرجت وخطواتها مسرعة متعثرة حتى كادت أن تسقط إلا أنها استندت إلى الحائط ووقفت حتى جففت دموعها.. وخرجت تمشي ببطء وتتلفت خلفها عسـى أن يأتي عمر وينـاديها.. تمشي خطوة وتقف تتمنى لو يأتي.. نظرت فلم تجده.. استرقت السمع فلم تسمعه.. ابتسمت مرة أخرى عسى أن يكـون في انتظارها ويراها من بعيد.. انتظرت قليلًا على أمل العودة.. فرائحة عطرها ستجذبه ولون ملابسها سيغريه.. وعيناه ستشتاق إليها..

استدارت مرة أخرى وقررت أن تعود إليه.. قررت أن لحظات الوداع هذه لم تكن كافية.. أعلنتها صراحة.. ستذهب إليه لتقبله.. شفتيها ترتعشان وتتمنى ذلك بل وتصرخ فيها لتفعل ذلك للمرة الأولى معه.. لن تمنع نفسها ولن تعذبها أكثر من ذلك.. إنها ستعود إليه.. إذًا فليكن الوداع سلامًا وقبلات.. عادت مسرعة في اتجاهه.. نادت عليه صارخة أن ينتظرها..

15
شــذوذ

عُــدت مسرعــةً أكاد أن أطير فرحًا.. تخطيت درجــات البناية وكأنني فراشة تقفز فوق الزهور.. أو مُهرة تجري في تراك الخيل تتدرب من أجل عبــور الحواجز.. لم أنتظر المصعــد.. لم أنظر أن يقتلني الوقت.. أردت أن أفاجئه.. أن أرمم ما بيننا من شرخ بدأ واستمر وتزايد.. حتى كاد أن يقضي على حياتنا وينهار ســقفها فوقنا.. فقــررت ألا أنتظر المزيد حتى لا تضيع الفرص القائمة من أجل لم شملنا مرة أخرى..

عُدت ويا ليتني لم أعد.. وجدته في أحضان عشــيقه.. سفيان يحتضن أيمــن زوجي الذي يرتدي إحــدى ملابسي الداخلية في مشــهد فج مثير

للغثيان.. تلك الملابس التي أهدانى إياها من قبل.. جسده الأبيض قليل الشعر في تلك الملابس الحمراء.. أضفت نوعًا من القذارة عليه.. لو كانت امرأة لزادتها تلك الملابس جاذبية وإثارة.. ولكن رجل؟ كيف له أن يفعل ذلك..؟ سمعت عن قوم لوط.. لكنني أراهم الآن أمامى يفعلون ما نهت عنـه كل الأديان.. أهذا هو الرجـل الذي تركت أهلي ووطنى من أجله؟ أهـذا هو الرجل الذي يرتمي فوقي ويداعبنـي ويأتيني.. أهذا هو الرجل الذي يفترض أن يحميني ويحتويني.. أهذا هو والد أبنائى..؟

صُعقت وأنا أرى تلك المناظر وتلك المشاهد الفجة على فراش نومي.. روائـح عطري تفوح في المكان.. تلك العطور التي يحبها أيمن ويشـتريها لي.. ولكنـه كان يتعطـر بها هو أيضًا اليوم.. إنـه يتعطر بعطوري.. يتزين بأدواتي التي اشـترى منها الكثير وأعطاها لي كهدايا.. ولكنه كان يشتريها لنفسـه أيضًا.. لمتعته.. لنزواته.. يا له من خسـيس وضيع.. ضيع نفسـه وأضاعني وأولاده..

لم أتمالك نفسي صرخت وأنا أراهما يتقلبان في فراشي ويضحكان ضحكات خليعة.. وسفيان يرتدي سرواله فقط ويكشف عن صدره ويعتلي زوجي الذي ما أن رآني حتى دفع سفيان من فوقه وجرى خلفي يحاول أن يجذبني من يـدي.. بكيت وعلا صوت صراخي. ألعنه وألعن اليوم الذي عرفته فيه وأتمنى له الموت ولنفسي.

جرى أيمن مسرعًا وأمسكني في عنف.. طالبًا مني الانتظار حتى يشرح

لي كل شيء.. ومن بعيد على باب غرفة النوم رأيت سفيان يحاول أن يرتدي ملابسه.. وينظر إلينا في توجس وخيفة.. ينتظر اللحظة المناسبة للفرار من تلك المواجهة.. يمسك في إحدى يديه ملابسه وفي اليد الأخرى ملابس أيمن..

– ليلى.. إستني.. لازم تفهمي إللي بيحصل..

– أفهم إيه.. دا ربنا هينتقم منك أشد انتقام.. إنت مش فاهم.. إنت بتعمل إيه؟ إنت عارف إللي بتعملوه دا اسمه إيه..؟

– عارف يا ليلى.. بس أرجوكي إديني فرصة أشرح لك كل حاجة..

– تشرح إيه؟ وهتكدب تاني بإيه.. دا أنا شيفاكم بعيني.. على سرير نومي.. وإنت لابس هدومي وحاطط ميكياجي وبرفاناتي.. أنا مش مصدقة..

– إفهميني يا ليلى.. إديني فرصة بس ألبس هدومي وأقعد أشرح لك كل حاجة..

– أرجوك سيبني أنزل.. سيب أيدي..أنا كرهتك كفاية.. بجد كفاية كدا.. أنا ما أستهالش كل دا.. ما أستهالش إللي بيحصل دا.. ضرب وإهانات.. وشرب خمر ومخدرات وعلاقات مع ستات.. وقمار.. وفلوس مشبوهة وتجارة ما أعرفش عنها حاجة وتلويث لسمعتي وسمعة أهلي وولادي.. كل دا وسامحتك وإديتك فرص كفاية.. لكن دا إيه أعمل فيه إيه..؟

– لو سمحتي يامدام ليلى.. حاولي تاخدي الأمور ببساطة.. دي حرية شخصية وإحنا ما أذيناش حد..

– إنت تسكت خالص.. إنت مين أصلًا.. إنت ولا حاجة.. إنت الشيطان نفسه.. إنت إبليس.. وجودك في حياة جوزى هو سبب البلاوي دي كلها.. اخرج بره.. إنت شاذ وأيمن كمان شاذ.. إنتوا قرف بجد.. وكمان بتتكلم بمنتهى البجاحة كدا ومش مكسوف من نفسك؟

– اتفضل يا أيمن ياحبيبي هدومك.. إلبس.. وشوف هترد على المدام إزاي.. أنا مضطر أنسحب من الموقف والمشهد دا.. أنا هستناك بكرة..

– اتفضل أنت دلوقتي يا سفيان.. إمشي لو سمحت وكفاية توتر.. الموقف مش مستحمل..

– خلاص.. هو دا إللي قدرت عليه.. اتفضل.. وإمشي وهو يقولك هستناك.. إنتم إزاي كدا..

– أهو سفيان مشي خلاص وإنتي كدا ممكن تأثري على علاقتي بيه.. ممكن تهدي بقى علشان نتكلم..

– أأثر على علاقتكم.. إنتو إيه مفيش كسوف؟

– كسوف ليه بس يا حبيبتي.. أنا مريض.. لازم تقفي جمبي وتحاولي تساعديني.. ليلى.. أنا اتعودت منك على السماحة والطيبة والعفو.. اغفرى

لي إللي حصل.. أنا فعلًا مريض ومعرفش وصلت للدرجة دي إزاي.. بس أوعدك هتعالج.. هأبقى كويس.. بس ما تسيبنيش أرجوكي.. استحملي علشان خاطري وخاطر الولاد.. عشان خاطر عمر وليلى.. كل حياتنا..

– عمر وليلى هم أكتر ناس أنا زعلانة عليهم.. ذنبهم إيه أن أبوهم يبقى كدا.. شاذ.. شاذ يا أيمن.. الحمد لله إني سايباهم تحت في العربية مع ساندرا صاحبتي الوحيدة المخلصة لي في الدنيا دي.. الحمد لله إنهم ماطلعوش معايا وشافوا القرف دا.. ممكن تقولي كان هيبقى إيه موقفك لو شافوك كدا؟ ممكن تقولي كانت الفضيحة هتتدارى إزاي؟ كان ممكن يحصلهم إيه؟ حرام عليك.. دا أنا كنت جاية أجري علشان أفرحك وأقولك إن عمر نجح في المدرسة وإن ليلى اتقبلت هي كمان معاه في المدرسة.. جاية أقولك ابنك شاطر.. جاية أجيب لك خبر حلو في وسط القرف والمشاكل إللي إحنا فيها.. كنت جاية أصالحلك بالمناسبة دي وأقولك إني عزماك على العشا نحتفل ونتصالح بعد مشاكلنا الكتير الفترة إللي فاتت.. المشاكل إللي إنت السبب فيها.. وفي الآخر آجي آلاقي القرف دا..

– معلش يا حبيبتي.. سامحيني.. أرجوكي أقفي جمبي.. أنا هتعالج.. إستني هاخد دش وألبس وأنزل معاكم..

– لا يا أيمن.. إنت مش هتنزل معانا.. أنا هامشي وأسيب البيت أنا والولاد.. إحنا هنروح مع ساندرا بيتها.. هي وجوزها جوزيف أولى بينا.. دول من بلدي ومتغربين زيي.. وهيحسوا بينا.. وهيقفوا جمبي بجد.. إحنا

أصحاب من زمان وإنت عارف إنهم أحن عليَّ منك.. أنا هاروح عندهم وهأمنهم على نفسي وولادي.. لحد ما تحجزي لي تذاكر سفر لي أنا والولاد على مصر.. وتطلقني..

خرجت مسرعة وأغلقت الباب خلفي بشدة.. لم أفكر في أمري ولا في أي شيء في الدنيا سوى أولادي الذين ضحيت بالكثير من أجلهم وتحملت أيمن بسوء سلوكه طوال الفترة الماضية على أمل أن يتحسن من أجل أبنائي. ولكنني اصطدمت اليوم بحجر عثرة كبير ألقاه عليَّ فشج رأسي وكسر نفسي وحطم كل آمالي في التغيير والتحسن.. ومثلما قفزت درجات المنزل كالفراشة فوق الأزهار.. الآن أقفزها كغزال هارب من شباك الصياد.. أو من مطاردة أسد متوحش يكاد يلتهمها.. الآن هي فريسة.. تحاول أن تهرب بأقصى سرعة من ذلك الفخ المنصوب لها..

أحاول الهرب من هذا المكان المشبوه القذر النجس.. وأتفكر كيف لي أن أعيش في هذا المكان مرة أخرى.. لا لن أستطيع الغفران والسماح مرة أخرى.. يكفيه كل تلك الفرص التي أعطيتها له ولم يتعظ ولم يستغلها للأحسن وإنما استغلها للأسوء ظنًّا منه أن معه حصانة وضمانًا بأنني سأعفو وأغفر كما كنت أفعل كل مرة لذلك تمادى في الخطأ واستمر في المعصية بلا توبة أو رجعة..

نظرت إليَّ أبنائي وساندرا والدموع في عينيَّ.. وعمر يسألني عما بي.. دون أن أنطق.. طلبت من ساندرا قيادة السيارة والانصراف فورًا من هنا وأن تأخذنا إلى بيتها للاستراحة على أن أقص عليها ما حدث.. بعد قليل.. تعجبت ساندرا وهي ترى تحول حالي من فرح وسعادة إلى انكسار وحزن.. وسألتني عن أيمن وهل تشاجرنا معًا مرة أخرى فأومأت لها برأسي ولم أنطق.. طلبت منها أن تنصرف بأقصى سرعة فأنا لا أقوى على الكلام ويكاد أن يغشى عليَّ.. أشعر بدوار شديد.. احتضنني عمر وبكى.. ارتميت في حضنه وقبلته.. نظرت من خلفنا فوجدته يقترب بسرعة شديدة من السيارة.. أيمن يحاول اللحاق بنا.. صرخت بشدة في ساندرا أن تتحرك.. وتحركت السيارة بالفعل تحملني ومعي همي وأملي الذي خاب وعار زوجي والفضيحة التي ستلاحقنا إن تكلمت عما رأيت.. وهل سيصدقني أحد خاصة أنه معروف لدى أسرتي بحسن الخلق.. وهو الكريم الحنون الثري الذي يغدق على الجميع بالهدايا والمنح.. والأموال..؟

كيف ستكون المواجهه.. وكيف ستنتهي الحياة معه.. وكيف سيكون حال أولادنا إن عرفوا ما حدث؟ هل سأستطيع أن أحكي لأحد عما حدث..؟ وهل سأستطيع مواجهة أيمن بالفعل؟ أسئلة كثيرة تدور في رأسي وشريط حياتي كله يمر أمامى أسرع من سرعة السيارة التي تجوب شوارع باريس الآن مع زخات المطر في ليلة شتاء معتمة.. لا قمر فيها ولا أنوار.. ظلام يحل بها.. وأيدي أبنائي مرتعشة وتحيط بي نبكى جميعًا.. أطفال

يبكون لبكاء أمهم.. وأم تبكي تندب حظها.. لم أشعر بالوقت الذي مضى منذ انطلقت ساندرا بالسيارة ولا بالطريق الذي أسير فيه.. لم أشعر إلا وأنا ملقاة على الفراش.. تلفتُّ حولي لأجد صورة ساندرا مع جوزيف وأبنائهم معلقة على الحائط.. وبعض صور للسيد المسيح.. وصلبان مرصوصة على منضدة بجواري.. أيقنت أنني في منزل ساندرا.. حاولت أن أنهض فلم أستطع.. تذكرت أبنائي.. ناديت عليهم.. وعلى ساندرا.. بصوت ضعيف فلم يسمعنى أحد.. حاولت أن أنادي مرة أخرى.. ولكنني لم أستطع.. وجدت الهاتف الجوال الخاص بي بجواري فأخذته وطلبت رقم ساندرا.. التي أتت إليَّ مسرعة تهتف شكرا لله أنني استفقت وقبلتني في جبيني.. واحتضنتي.. وأخذت تقيس لي النبض.. وطلبت مني أن لا أتحدث.. وطمأنتني على أطفالي وأننا هنا في بيتها.. ونادت أطفالي ليطمئنوا عليَّ.. فضممت أولادي وبكيت.. أمسك عمر يدي وقبلها.. طمأنته.. وطبعت قبلة على وجنتيه وقبلات كثيرة على وجنتي ابنتي الصغيرة ليلى.. ضحكت ساندرا وأخبرتني أنها ستذهب وتعد لنا العشاء.. ثم ستتركنا نستريح بعد ذلك مع أولادي في تلك الغرفة التي أعدتها لنا..

ساندرا صديقتي المصرية القبطية أحن عليَّ من زوجي.. ساندرا ابنة الظاهر زميلة الدراسة التي كانت تعرف عمر بحكم سكنهما بالقرب من بعضهما البعض في نفس المنطقة.. وهي التي كانت تعرف قصة حبي لعمر

في مصر ثم كانت كاتمة أسراري هنا في فرنسا التي سبقتني إليها.. وكثيرًا ما ألحت عليَّ أن أنساه وأن أنتبه لزوجي أكثر وأكثر ولكنني لم أعرها اهتمامًا في تلك النصحية لأن حبي لعمر أقوى من أي نصائح وأقوى من النسيان.. وعندما رأتنا معًا في أحد اللقاءات في مصر وقتها أخبرتني بمعرفتها الشديدة بعمر وحذرتنى منه ولكنني كذبتها في ذلك الأمر والتحذير ولم أحاول أن أسالها لماذا تحذرني منه.. لم أكن لأجرؤ أن يدمر أحد علاقتي بعمر أو يلوث الصفحة البيضاء التي كتبنا فيها قصة حبنا.. ولكن أبي فعلها ودنس تلك الصفحة ومزقها.. ثم جاء أيمن ولوثها بالدماء التي سالت مني والدموع التي انهمرت من عينيَّ..

ابتسمت وأنا أتذكر تلك الأحداث.. وتذكرت ما حدث من أيمن.. قسوته وكذبه وخداعه المستمر.. صبري عليه طوال عشرة أعوام.. والآن عليَّ أبدأ معركة جديدة من أجل حياتي.. وعليَّ الاستعداد للخطوة التالية.. فأنا لست دون كيشوت لكي أحارب طواحين الهواء ولكي أحارب أيضًا في أرض غير أرضي.. وأنا لست أفلاطون ولا أيمن كذلك.. ولا نعيش في يوتوبيا.. نحن الآن في ساحة معركة وعلى الاستعداد لخوضها.. وسأبدأ في أولى خطواتها..

16
خطوات مسرعة

خطوة واحدة اتخذتها.. خطوة إلى الوراء.. تراجعت.. انهارت مقاومتها.. فتغير معها مسـار حياته بالكامل.. وتحول من محب مسـالم.. إلى كاذب.. فاجر.. مخادع.. خائن..

تغيرت حياة عمر تغيرات سريعة بعد وداع ليلى له.. أطفأ أنوار مكتبه وأنوار قلبه أيضًا.. وانصرف من العمل عائدًا إلى منزله.. مشـى خطوات بطيئة.. واتخذ مسارًا آخر أطول لبيته ليهرب من الواقع.. خرج من الباب الخلفـي من المبنى في نفس اللحظـة التي كانت ليلى تخطو خطواتها الأولى لتعود إليه وتودعه وداعًا يليق به.. لكنها دخلت من الباب الرئيسي لذلك

لم يتقابلا.. افترق الحبيبان.. هو يرى أنها تنازلت ولم تقاوم وساعدت على انهيار حبهما.. وهي ترى أنه لم يدافع عنها ولم يتمسك بها.. ترى أنه استسلم وتركها ترحل بدون أن يمسك يدها أو يطلب منها البقاء أو يخطفها ويهربا بعيدا كما كانت تتمنى.. كلاهما رأى أن الآخر استسلم وهرب.. كلاهما كان يرى أن الآخر تنازل عن حلمه..

الشوارع مزدحمة والجسور ممتلئة بالأحبة.. يمر عليها واحدًا تلو الآخر.. الليلة هي ليلة العيد.. الناس تفرح وهو يزداد حزنا.. ينظر إلى الوجوه من حوله فيرى الفرح في عيون الجميع.. أسر تتخبط في الشوارع في الزحام تجرى مسرعة منهم من يريد شراء ملابس العيد ومنهم من يريد أن يلحق بقطار أو سيارة للسفر إلى أهله في بلد آخر.. يسمعهم يتحدثون في تلك الأمور.. وأحيانًا يراهم يفعلون ذلك.. يمشي تائهًا لا يدرك إلى أين يذهب.. ولكنه قرر المشي فقط لا غير بلا هدف.. فوق أحد الجسور يرى النيل وينظر إليه يحدثه يطلب منه أن يكون أحن عليه من البشر إذا ألقى بنفسه فيه.. يرى مركبًا صغيرًا يقترب أسفل منه فيقرر الانتظار قليلًا حتى لا يلتقطونه إن ألقى بنفسه الآن.. ينظر خلفه فيرى طفلًا صغيرًا يجذبه من ملابسه ويطلب منه نقودًا لشراء أي وجبة له.. ينظر إلى ملابسه الممزقة، عينه الدامعة فيشفق عليه ويعطيه بعض النقود.. يسأله عن أمه أو أبيه فيخبره الطفل أن أباه قد مات وأمه تزوجت رجلًا آخر ألقاه في الشارع وأمه وافقت على ذلك من أجل زوجها وأولاد زوجها.. يلعنها ويلعن

كل نساء الكون وكل رجال الكون العصاة غلاظ القلب مثل زوج أم هذا الطفل ومثل حسين السعداوي.. ويقرر عدم الانتحار بل البقاء من أجل المقاومة والانتقام.. يقرر الانتقام من النساء ومن حسين السعداوي بالبحث عن فضائحه والإبلاغ عنه..أكثر من ثلاث ساعات تمضي وهو يسير حتى وصل إلى منزله منهكًا..

كل من بالمنزل نيام ماعدا أمه التي تنتظره قلقًا وشوقًا عليه.. يرتمي في حضنها ويبكي.. تبكي لحاله.. تسأله عن آلامه وما حدث له.. لا يتكلم.. تتوسل إليه.. يستمر في البكاء ثم ينطق اسم ليلى.. تدرك بحس الأم ما به وما حدث له.. تعلم ما كان من والد ليلى وما فعله بابنها.. لم تستطع فعل شيء له.. فمن هم حتى يستطيعوا أن يقفوا أمام حسين السعداوي ويحاربونه.. تشعر بالعجز لعدم قدرتها على مساعدته.. كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تأمره بالصبر والنسيان والعمل من أجل أن يصبح ذا شأن وينسى ليلى.. تخبره بأن الله سيرزقه غيرها وأكيد أن ما حدث هو خير له..

ينهض ليغتسل وينزل إلى صلاة العيد.. الناس تكبر تكبيرات العيد وهو يبكي.. يدعي دعاءً مستمرًّا على كل من ظلمه وألقى به في غيابات الجب واليأس والإحباط.. يخرج من الصلاة إلى ألوانه وفرشاته ولوحاته.. مجرد خطوط سوداء على ورقة بيضاء.. لا معنى لها لمن يرها ولكنها تعني له الكثير فهي خطوط حياته التي يرسمها لنفسه.. خط للعمل.. وآخر للزواج.. وآخر للانتقام.. عدة نقاط في خط الانتقام تعبر عن النساء ونقطة

سوداء كبيرة تعبر عن حسين السعداوي..

مرت الأيام سريعة على عمر.. عمل على إعادة ترتيب أولوياته وقرارته.. أعاد التخطيط لحياته كلها.. هند صديقة ليلى في العمل جاءته تخبره أن ليلى استقالت.. مدت هند يد العون والمساعدة له.. حاولت أن تسري عنه وتؤنس وحدته حاولت أن تكون أختًا له كما كانت أختًا لليلى.. كانت على علم بحكاية حب عمر وليلى. وثق عمر في هند وأصبحت صديقة وأختًا له يلجأ لها وقت الشدائد.. كانت هي وكريم وعمر وليلى مثالًا لقصص الحب الرائعة التي يعرف بها كل من بالعمل.. إلا أن قصتها مع كريم في طريقها للنجاح.. بينما هو وليلى في طريق الفراق.. في لحظات النهاية..

ثم كانت هدى زميلة شقيقته في العمل أحست بآلامه لفقد محبوبته.. قص عليها كل الحكاية. حاولت هدى أن تحل محل ليلى ولما لا وهي تراه ناجحًا.. حالمًا.. محبًا.. مواصفات فتى أحلام كثير من البنات.. ساعدته على تخطي محنته.. ورآها هي أول درجة من درجات سلم الانتقام.. سينتقم من ليلى في صورة هدى.. أحبها.. أوأوهمها بذلك.. وعشقته.. أعطت له كل ما تملك.. حتى نفسها.. أبلغته أنها ستنتظره دائمًا وأبدًا.. حتى تتحسن أحواله المادية والعملية ويمكنه بعد ذلك أن يتقدم لها.. وهي ستقف بجواره.. لن تتركه.. حتى مع التفاوت المادى بينهما.. ابتسم عمر ولعن القدر الذي أرسل له من تحبه في وقت لا يحبه.. من تخلص له في وقت هو يخونها.. يشعر في قرارة نفسه بحبها.. ويؤمن بحقارته ودنو أخلاقه.. لم يفكر كيف ومتى

ستنتهي العلاقة.. لكنه فكر كيف سيستفيد من تلك العلاقة..؟ انهمك في العمل وفي إعطاء هدى ما تريد من حب مقابل المال الذي تغدقه عليه.. لم يستطع النظر إلى نفسه كثيرًا في المرآة فهو على قناعة تامة أنه أخطأ.. ولكنه أصر على التمادي في الخطأ ورفع شعار أن لكل مرحلة ضحاياها.. وهدى ضحية تلك المرحلة.. واستكمل رحلة انتقامه من السيدات.. إعجاب.. حب كاذب.. عشق خادع.. ثم جنس.. ثم التخلي عن عشيقته والانتقال إلى غيرها.. وتحول الأمر إلى مرض...فكر عمر كثيرًا في التوبة والعلاج عن ما أسماه مرض الانتقام.. قرر التوقف فورًا عما يفعله ويبدأ العلاج..

17
محاولة أخرى للعلاج

حاولت العلاج كثيرًا.. أنا مريض فعلًا.. وأرجو أن تقفي بجواري.. أنت علاجي ودائي.. نفسيا أنا محطم.. لا أدري كيف أفعل هذا الفعل المشين؟ ولا أدري كيف يمكنني العلاج.. ذهبت إلى أكثر من طبيب هنا ولكنهم يرون أن ذلك فعل عادي وأنها طبيعة بشرية.. هم لا يسخرون ولا يعيبون على تلك الأفعال.. هم يرون أننا نوع ثالث من البشر لسنا إناثًا ولسنا رجالًا.. نحن نحمل كلًّا من جينات الذكور والإناث أيضًا.. هم يرون أننا من حقنا أن نحيا حياة طبيعية بين البشر وأن لا نتدارى وأن لا نخجل من تلك الأفعال.. هم يرونها طبيعة.. ونحن نرى فيها العيب

والحرام.. أحيانًا ما تغلبني نفسي وأنساق في أحاديثهم وأسير معهم في هذا الاتجاه ولكن ضميري والوازع الدينى الموجود بداخلي يأمرنني أن أتوقف.. يخبرني أن هذا الفعل حرام.. أنا أعيش في صراع نفسي كبير ومرير.. أحاول أن أتوقف ويغلبنى الشيطان.. يأمرني أن أفعل ما يحلو لي فأنا حر ما دمت لا أضر أحدًا.. ويوسوس لي شيطاني سفيان بأن يأتيني ويريحني من عذابي الجسدي ونمارس معًا ما تمليه علينا الطبيعة.. تزوجتك يا ليلى على أمل أن أحيا حياة طبيعية، أن أشعر برجولتى معك.. أن أكون موجبا ولست سالبا كما عشت طوال حياتي.. وأكرمنى الله وأنجبت منك.. ولكن الإنجاب وحده لا يعني أنني كامل أو أنني شفيت أو أنني أصبحت ذكرًا كاملًا.. أو أصبحت موجبًا.. لا.. كلما انتهيت من المباشرة معك إلا وتأتيني شهوتي العكسية بأن أذهب لاستكمل شهوتي وأطفئ نار جسدي كما أطفأت نار جسدك.. أذهب إلى صديقي وعشيقي.. أرتمي في أحضانه وأرتوي منه وينهل جسدي من جسده.. والأغرب أنني كلما انتهيت من تلبية نداء جسدي وأرتمي في أحضان عشيقي سفيان وأتيتك إلا وكنت أكثر قوة وفحولة معك.. كان سفيان هو الحبوب المنشطة لممارسة علاقتي الزوجية معك.. كان هو من يدفع الدماء في عروقي فأنتصب ويطول الوقت معك أكثر من المعتاد.

بدايتي كانت من الطفولة.. منذ كنت أنام في أحضان أبي.. كبرت واستمررت في الارتماء في حضنه.. كنت لا أشعر بالأمان أو الطمأنينة

إلا وأنـا بين أحضانـه.. اعتقدت أنه حب أبوى.. ولكـن أعضاءه كانت تلامسني كنت أشـعر بها.. وأحببتها.. أعتقد أنه لم يكن يقصد فعل شيء مشين معي.. لكن بمرور الوقت أدمنت تلك الملامسة.. وبعدها في أثناء نومه كنت ألامس أعضاءه.. وأشعر بلذة من ذلك.. بعدها كانت رحلاتي مـع أولاد عـماتي وخالتي وكنت أنـام معهم في فراش واحد أثناء السـفر في رحلاتنا الصيفية إلى الإسـكندرية.. أتوسـط ابن عمي وابن خالتى في سرير واحد وأستزيد في اللذة.. كبرت وكبرت أعضائي وكبرت احتياجاتي الجنسية لتلك الأشياء.. اعتدت على الممارسة في المدرسة الثانوية وفي أثناء الكلية.. فعل مشين حقًّا.. لكن في وقتها ووقت الحاجة إليها كانت لذة ما بعدها لذة.. ونشـوة أصل إليها في شعور غريب وجميل ورائع.. لم أعرف أنه سـلوك مشين إلا متأخرًا.. لم أفهم شـيئًا ولم يحدثني أحد عما أفعله ولم أحـدث أحدًا من أهلي عما أفعله.. حتى كانت هجرتي هنا إلى فرنسـا بعد التخرج من الجامعة.. وكانت الحياة هنا مفتوحة أكثر ومتاح لي أكثر فعل تلك الأشياء.. حاولت التوقف ولم أستطع.. حتى كانت اللحظة الحاسمة التي أتيتِ فيها يا ليلى وشاهدتني في أحضان سفيان.. أنا مريض..

كانت تلك كلمات أيمن وهو ينظر إلى نفسه نظرة احتقار في المرآة.. نزلت ليلى.. وخرج قبلها سفيان ودخل هو للاستحمام ليلحق بها.. خلع ملابسه التي كان يرتديها ونظر إلى نفسه في المرآة وهو يُعد كلماته التي سيواجه بها ليلى.. سيعلن لها أسفه ومرضه.. وسيطلب منها العفو والسماح وأن تقف

بجواره لمساعدته في علاجه.. أعلن لنفسه أن هذا هو اليوم الأخير في هذا الفعـل الحقير.. وأن اليوم هو البداية الحقيقية للعلاج.. أيقن أن الصدمة كان لابد منها حتى يبدأ العلاج الفعلي الحقيقي.. أيقن أن عليه التنازل عن شهواته وملذاته من أجلها ومن أجل أبنائهم.. وقتها شعر أن ليلى كل حياته.. انتهى من الاستحمام سريعًا وارتدى أفخر الملابس وحاول الاتصال بليلى عدة مرات إلا أنها لم ترد على الهاتف.. اتصل بساندرا التي لا تعرف غيرها في فرنسا.. والتى طمأنته على وجودها هي والأطفال لديهم.. وأنها مرهقة جـدًّا ولا تقوى على الحديث حاليًّا وأن عليه الانتظار حتى تهدأ ويمكنها الـكلام.. أغلق أيمن الهاتف وقرر النزول إليها.. أنه لن يتركها هكذا لن يتخلى عنها.. كان يشعر في قرارة نفسه أنه أخطأ في حقها وأنها لا تستحق ذلك منه.. فهي ضحت بأهلها وعمرها ووطنها وارتضت أن تعيش معه في الغربـة.. هي تنازلت عن أحلامها من أجلـه.. وهو لن يتنازل عنها.. سـيذهب إليها ويخبرها الحقيقة.. يعلم أنها ستغفر له وتتنازل مرة أخرى عن أخطائه وتتغاضى عنها من أجل أولادهم.. سـيصالحها وسترضى.. سـيعانقها وستبادله العناق.. سيحتويها ويفهمها، هو يحبها فعلًا ولم يحب سواها.. سيشـعرها بأنوثتها وبجسدها وجمالها.. سـيقدم لها هدية جميلة هذه المرة.. لن تكون عطورًا ولا مجوهرات كما اعتادت.. ولكنه سيذهب معها إلى المكان الذي تعشـقه وتريد زيارته منذ وقت بعيد.. سـيحقق لها أمنياتها.. لن يتردد في إسعادها بعد الآن.. سيشفى على يديها.. وستكون هي الدواء..

قفز درجات السلم وفعل مثلها لم ينتظر المصعد.. مشى في شوارع باريس يسابق الزمن للحاق بها.. يتخيلها معه في كل مكان.. لم يشأ أن يركب أي سيارة.. أراد أن يمشي في كل مكان مشت فيه ليلى معه ليتذكر ضحكتها وبكاءها ونظراته.. لم يهتم بسقوط الأمطار عليه.. استشعر بلذة وسعادة مع تساقط الأمطار وكأنها تغسله وتغسل ذنوبه.. وبكى ودعا الله في ساعة استجابة الدعاء مع سقوط الأمطار.. سيشعر ليلى أن تنازلها كان على حق وأنها ربحت من هذا التنازل.. استمرت عيناه في البكاء وبللت دموعه ملابسه واختلطت بمياه الأمطار.. ولم يهتم إلا بالوصول إلى ليلى.. سيصرخ وينتظرها وستأتي ليلى..

18
بداية جديدة

لن تأتي ليلى.. يجب أن تفهم ذلك وتنسى حبك لها.. هي أيضًا تحاول أن تنسى.. يجب أن تعيش.. لا تستسلم.. ليلى الآن بين أحضان رجل آخر..

كانت تلك كلمات كريم لعمر وهو يوجه له الدعوة لحضور حفل زفافه على هند.. قصة حبهما التي ستكلل بالنجاح والخاتمة التي يتمناها كل المحبين والعاشقين.. الزواج.. أفاق عمر على تلك الكلمات.. كان يخشى من أن يحضر حفل الزفاف فيجد ليلى وتتجدد حسرته على حبه المفقود ولكن كريم أبلغه بأنها تزوجت بل وسافرت مع زوجها أيضًا

إلى فرنسا وانقطعت وسـائل الاتصال بينها وبينهم.. اطمأن عمر وأعلن لكريم أنه سـيحضر الحفل.. شكره على اهتمامه به وأخذه بالحضن وهنأه على الزفـاف.. التقت أعين الصديقين وبكى عمـر على كتف كريم وهو يتذكر كل اللحظات التي عاشها مع ليلى.. كل اللحظات التي كان كريم وهند شاهدين عليها.. كانوا لايفترقون عن بعض.. يعملون معًا ويذهبون للغداء معًا ويخرجون معًا بعد العمل.. كل مشـاكلهم كانت تحل بينهم.. كانـوا أسرة واحدة.. كل منهم يعتبر الآخر أخًا أو أختًا له.. كريم يثق في عمـر وفي آرائه جدًّا ويحكي له عن أسراره مع هند وكذلك كان عمر معه يحكي له عن ليلى.. وهذا ما كانت تفعله ليلى وهند أيضًا.. لذلك كان كريم وهنـد أقرب الناس إلى عمر في محنته وفشـل قصة حبـه مع ليلى.. لم يتركا عمر يومًا ليأسـه وأحباطه.. كل يوم كان يمر على عمر بمفرده بدون ليلى كان يزيـده ألما وعزما على الانتقام.. وكان الانتقام هو السر الوحيد الذي أخفاه عمر عن كريم وهند..

– خـلاص يا عمر كفاية بقى.. خلاص الموضوع انتهى.. كفاية حزن ويأس وكآبة..

– اقعد يا كريم.. إنت مش غريب..

– أنـا عارف يا ابنى دا بيتى.. إنت نسـيت إحنا أكلنا وشربنا هنا كتير وأهلك هم أهلي.. لازم كلهم يحضروا الفرح، هند مأكدة على كدا.

– حاضر ياعريس.. أنا هأحضر وهأجيب ماما وبابا..

– ومروة أختك كمان لازم تحضر.. دا هند عزماها مخصوص..

– حاضر ياسيدي.. ألف ألف مبروك.

– أيوه بقى إضحك كدا.. وبلاش كآبة.. يلا بقى أنا لازم أمشي عشان أجهز حاجات تانية.. ومتنساش هتيجى معايا تشوف البدلة بكرة وتأكد الحجز بتاع القاعة وتمم على كل حاجة معايا.. أنا ماليش إخوات صبيان وإنت أخويا هتعمل كل حاجة معايا.. وزي ما قلتلك إطمن مفيش ليلى..

– خلاص بقى ربنا يسهلها.. ويوفقها في حياتها الجديدة.. هي تستاهل كل خير..

– أنا عارف إنكم لسه بتحبوا بعض.. هي قالت لي كدا قبل ما تسافر.. بس الظروف أقوى مننا كلنا.. ودا نصيب.. لازم نرضى بيه..

– أنا راضي وصابر.. وربنا ينتقم من إللي إتسبب في فراقنا..

– خلاص بقى مالوش لازمة دعوة الانتقام دي.. سامح.. دا المسامح كريم.. يلا، سلام..

خرج كريم مسرعًا قبل أن يسترسل عمر في سرد أحداث النهاية المأساوية لقصة حبه مع ليلى.. أغلق عمر الباب وأعلن عزمه على الذهاب فعلًا إلى حفـل الزفاف ليكون بجوار كريم وهنـد في تلك اللحظات التي تمنى أن

يكون مع ليلى فيها وأن يكون هو العريس.. حاول أن يطرد من رأسه فكرة الحقد والغل على كريم وهند.. هزا رأسه وأعلن رفضه فعلًا للفكرة.. هو لا يحسدهما.. هو يحبهما ويتمنى لهما كل الخير فعلًا.. هو فقط كان يتمنى أن يكون مثلهما..

تذكر ساندرا صديقة ليلى وجارته السابقة التي تزوجت من جوزيف جارهما في الظاهر وأنهما الآن في فرنسا.. تمنى لو كانت ساندرا بجوار ليلى تساندها وتواسيها.. وعقد العزم على أن يحصل على رقمها من أختها أو أخيها فهم جيران وسيفعل ذلك بغرض الاطمئنان على ليلى.. لن تنقطع علاقته بليلى أبدًا مهما أراد حسين أو أي شخص.. سيبقى على اتصال بها ولو من بعيد.. ولكن ساندرا قد ترفض إمداده بأي معلومات عن ليلى.. ستغار ساندرا كما هي عادة كل النساء.. ولم لا.. ألم تكن ساندرا إحدى المخدوعات فيه في فترات المراهقة.. كانت إحدى الفتيات التي يلهو معهن وتسلى بهن في فترة شبابه قبل لقائه بليلى.. لم يحبها ولكنها أعجبت به ولمحت بحبها له.. لكنه لم يكن يدري ما الحب وقتها.. كان يلهو ويعبث مع كثير من الفتيات.. حتى أتت ليلى فأعلن توبته وندمه واستقام وصلى في محراب حبها.. ثم عاد مرة أخرى للخطيئة وللنزوات بعد فراقه عن ليلى.. وكأن ليلى كانت تقف معه على جبل الأعراف في انتظار أن يدخل الجنة أو النار.. فما إن مشت إلا وكان مصيره النار.. أنتهت قصة لهوه مع ساندرا بزواجها من جوزيف جارهما الذي لم يكن يحبه أبدًا لشعوره الدائم بأن

عمر شاب مستهتر ويدمر حياة كثير من الفتيات.. تعجب جوزيف من رؤيته لعمر في حفل زفافه في الكنيسة.. رآه وبدأ عليه الغضب.. ولكن ساندرا رأته وبكت..

بدأ عمر يرتب أفكاره ويدونها كما يفعل في كل أمور حياته.. بدأ بترتيب الأشياء التي يريد أن يفعلها قبل الحفل وأثنائه وبعده حتى لا ينسى شيئًا.. تذكر أهله الذين سيبلغهم بموعد الحفل.. وهدى.. التي تحبه وفي انتظاره حاليًّا للاتصال بها ولقائها وعناقه.. توقف عن تدوين تلك الملاحظة.. لم يكتب اسم هدى.. وإنما رسم قلبًا ولم يضع فيه اسمًا.. ولم يعرف هل يضع اسم ليلى أم اسم هدى.. أيحب هدى فعلًا.. أم أنها نزوة.. وانتقام كما أعلن بينه وبين نفسه. وإن كانت كذلك فلما تشغل حيزًا من تفكيره؟ وهل تشغل تفكيره لرغبته في لقاء وقبلات وعناق.. أم لرغبته في حياة كاملة مستقرة معها..؟ ترك القلم.. واتجه إلى لوحته التي لم تكتمل، ورسم فيها قلبًا أسود كبيرًا.. وآخر أبيض صغيرًا.. في اتجاه خط الصعود الذي رسمه.. وضع نقاطًا متعددة بدءًا بنقطة تعبرعن ليلى وأخرى عن حسين وثالثة عن العمل ورابعة لهدى.. خط يصعد ولكنه لا يعلم نهايته.. ترك الفرشاة.. وأعاد النظر إلى اللوحة ليجد أنه رسم ليلى كنقطة مرتعشة متعرجة الخطوط.. كأنها امرأة ترتعش.. نظر إليها مرة أخرى فوجدها ترتعش بالفعل.. حاول أن يعدل الرسم إلا أن يداه توقفت.. وتركها مرتعشة خائفة.. حاول أن يمسك يدها ليطمئنها..

19
الصفح..

كنت أبتعد أكثر فأكثر كلما حاول أن يمد يده إليَّ.. حاول مرة أخرى أن يضع يده على كتفي ويقترب مني إلا أنني انزويت في ركن بعيد على الفراش أستند إلى الحائط من خلفي.. كنت أضم قدمي على صدري وأحتضن عمر في يد وليلى في اليد الأخرى.. شاحبة.. أبكي.. أرتعش.. لم أبدل ملابسي بعد.. كنت أرفض النظر إلى وجهه بل وأتحاشاه أيضًا.. لم أستطع الحديث.. صوتي مكتوم داخلي.. أحبالي الصوتية تتقطع وأنفاسي تُكتم.. حسرة لامثيل لها تعتريني.. تتقطع أمعائي من الألم.. أريد أن أتقيأ وأفرغ ما في معدتي عليه.. من شدة قذارة الموقف الذي كان فيه..

نظر إليَّ وجلس بجواري على الفراش.. ابتعدت.. حاول أن يقترب من أولاده.. فأبعدتهم عنه.. نظرت إلينا ساندرا.. حاولت أن تهدئ الموقف وتأخذ الأطفال ليلعبوا مع أولادها.. نظرت إليَّ وطمأنتني.. وأمسك جوزيف بيد أيمن وأمره أن يهدأ وأنه سيخرج مع ساندرا والأولاد وينتظرونهم خارج الغرفة حتى يستطيع أن يتكلم في هدوء معي.. أومأت ساندرا برأسها وأخذت الأولاد.. وخرجوا ليتركوا أيمن معي للمواجهة..

شرح لي ماحدث وتحدث كثيرًا عن مرضه.. وعما حدث له.. واعترف بكلام كثير لم يبح به من قبل.. اعتبر نفسه على كرسي الاعتراف.. أو جهاز كشف الكذب.. اعترف لي بحبه الشديد وأنني الأمل الأخير له للنجاة مما هو فيه.. وأنه سيتعالج من أجلي.. ومن أجل أولاده.. ولن يتنازل عني مطلقًا.. مد يده مرة أخرى يريد أن يمسك يدي ويقبلها.. رفضت بشدة.. انحنى ليقبل قدمي.. فقمت بتغطية الجزء الظاهر من قدمي بملابسي.. وعدت أكثر إلى الوراء فاصطدمت بالحائط وتمنيت لو انهار فوقي لأختفي من الوجود..

لم يشأ أيمن أن يضغط عليَّ أكثر من ذلك.. أعلن لي عن استعداده لفعل أي شيء من أجل أن أغفر له خطاياه...

– أرجوكي يا ليلى.. سامحيني.. أنا شرحت لك كل حاجة.. أنا فعلًا مريض.. أقسم لك.. أنا بعمل كدا بدون وعي وبندم بشدة بعدها ودا يأكد إني مريض.. أنا فعلًا بشرب خمور ومخدرات وبلعب قمار.. بس أنا مش

شاذ بطبيعتي أنا مريض وحاولت أتعالج وهكمل علاج.. بس أقفي جمبي ومتسـبنيش.. علشـان خاطر الأولاد.. هما ولا إنتي ليكم ذنب.. أنا إللي غلطان واستاهل أي حاجة تحصل لي.. ليلى أنا جاي هنا علشان أصالحك وأرجعك معايا.. أنا مقدرش أعيش من غيركم.. أنا توبت خلاص.. وهابطل كل حاجة.. من النهاردة مفيش سفيان ولا جاك ولا ناتالي.. من النهاردة مفيش خمور ولا مخدرات ولا قمار ولا أي حاجة غلط.. ليلى إحنا هنأخد إجازة ونسافر شرم الشيخ المكان إللي بتحبيه.. هنقضي أسبوع هناك.. ولما أرجع هيكون المحامي بتاعي خلص إجراءات تصفية شركتي مع الشركاء الفرنسيين هنا وننزل مصر نستقر هناك.. وكمان هنروح نحج علشان تبقى التوبة بجد.. أنا هحقق لك كل إللي نفسـك فيه.. هتشوفي أيمن جديد.. طاهـر نقي.. محترم.. تفتخري بيه إنت والـولاد.. وأنا كمان أحترم نفسي وأفتخر بنفسي.. بس خليكي معايا وصدقيني المرة دي.. وأرجوكي خلي إللي حصل دا سر بينا وأنا هدفع لسـفيان دا قرشين علشان مايتكلمش.. والموضوع هيموت مع الوقت.. بس أنا لازم أسيب البلد بسرعة لأنه مش هيسكت كتير وهيحاول يبتزني في كل مرة.. إحنا خلاص ياروحي ملناش مـكان هنا.. بلدنا أولى بينا.. هنربي ولادنا هناك وسـط أهلنا.. أرجوكي يا ليلى.. إتكلمي.. ردي عليَّ.. أنا عارف الموقف صعب.. بس إنتي قلبك كبير وأنا إتعودت منك على الطيبة والسماحة.. والعفو والمغفرة.. أرجوكي سامحيني..

تعجبت من ضعف أيمن واستكاناته وطلبه للعفو وهو غليظ القلب الذي لا يعرف سوى الماديات.. هو الذي كنت أعيش معه بلا شعور.. مجرد آلة لها واجبات محددة تؤديها له عند احتياجه وطلبه.. لكنني ويالغرابة استشعرت صدق كلامه لأول مرة.. خشيت أن تكون تلك الدموع من عينيه هي دموع التماسيح كما يقولون.. لكنني وكعادتي التي طالما كرهتها وتمنيت لو استطعت أن أغيرها.. دائمًا أفترض في الناس حسن النية إلى أن يثبت العكس..

رقص قلبي فرحًا عندما أخبرني بأمر شرم الشيخ وأمر الحج والعودة إلى مصر.. كانت تلك كل أمانيَّ والآن تتحقق.. ولكنني أخشى كذبه وعودته لأفعاله المريضة مرة أخرى كما حدث في المرات السابقة التي وعدها فيها عن الإقلاع عن الخمر والمخدرات ولكنه عاد إليهما مرة أخرى واليوم ارتكب فعلته الشنعاء التي اعترف أنها لم تكن المرة الأولى ولكنه أقسم أن تكون هي المرة الأخيرة.. أقسمت في نفسي على أن تكون تلك هي الفرصة الأخيرة له.. وإما أن ينجح وإما أن يفشل في الاختبار..

أخيرًا استطعت الهدوء قليلًا وتكلمت بصوت ضعيف وبلا انفعال.. طلبت منه أن يتركني هنا إلى أن أهدأ تمامًا.. وأن يقدم لي الضمانات لفعل ذلك.. وافق على طلبي وأخبرني أنه سيأتي غدًا بعد أن يحجز رحلة شرم الشيخ ويريني أوراق الحجز وتذاكر الطائرة أيضًا.. كما سيبلغ أهله وأهلي بهذا الأمر حتى يكونوا بانتظارنا هناك في شرم كما أحب دائمًا.. وبعد أن

يقـدم لي تلك الضمانات سـأذهب إلى المنزل معه أو أقـرر البقاء هنا حتى السفر وأعطانى حرية الاختيار.. كما أبلغني أنه سيقنع ساندرا وجوزيف عـلى النزول معنا إلى مصر.. حتى أتأكد من مصداقيته وخوفه عليَّ وحتى يكون أهلي وأصدقائي معـي في المكان المحبب إلى قلبي.. كما أخبرنى أنه سـيحجز لي في نفس الفندق الذي قضينا فيه أول ليلة في حياتنا معًا.. إلا أنني أشحت بيدي ورفضت تلك الفكرة لأن هذا الفندق له ذكرى سيئة لديَّ.. كانت معه وبسببه.. عندها تذكر حماقته في ليلته الأولى معي وكيف أصابني.. فخفض رأسه ووقف وأخبرنى أنه سيختار مع جوزيف فندقًا آخر مناسبًا وجيدًا.. أخبرته باسم الفندق المحبب لقلب عمر والذي شهد قصة حبنا وفراقنا أيضًا على أمل أن ألتقى بعمر هناك مرة أخرى.. عندها لم يتمالك نفسه وجذب يدي وقبلها.. وتركني وخرج ليبدأ في الاستعداد ليفي بوعده لي.. خرج وقبل أبنائي وتحدث مع سـاندرا وجوزيف بخصوص السفر وفرح الجميع بتلك الفكرة.. وبدأ الكل في التفكير في الموعد المناسب ودوَّن كل واحد ما سيفعله والاتصالات التي سيقومون بها حتى ينظموا رحلة مثالية لنا جميعًا..

تركنا أيمن بعد قليـل والهدوء والراحة في وجهه.. وأبلغنا بعزمه على البدء فورًا في الإعـداد لتلك الرحلة وإجراء الحجوزات اللازمة.. رأيت السـعادة في وجوه من حولي.. وكنت أنا أكثرهم فرحًا لعودتي إلى سوهو وعمر مرة أخرى.. ها هي روائح سوهو تلوح في الأفق.. وذكريات عمر

معي ترتسم أمامي وتظهر من جديد.. أنا عائدة إليك يا حبي.. والآن عليَّ الاستعداد للقاء جديد..

20
الحياة تستمر

كانت خطته بسيطة.. سيطمئن على كريم وهند بعد زفافهما بعدما اطمأن على ليلى وعلم من كريم أنها تزوجت وانتقلت إليَّ في فرنسا..واستطاع أن يتصل بساندرا التي طمأنته عليها باقتضاب تكلمت معه بضيق شديد كما توقع ولم لا.. ألم تحبه من قبل وتركها والآن لم يسأل عنها بل يسأل عن صديقتها.. حبيبته.. يا له من قدر.. تحبه ساندرا فيتركها ويحب ليلى فتتركه والآن يسأل ساندرا عن ليلى..؟

أعلن عن تطبيق خطته بينه وبين نفسه وفي أوراقه التي يدون فيها ملاحظاته وخططه دائمًا.. سيبدأ في التملق إلى رؤسائه وكسب ثقتهم في

العمـل مع إجرائه لبعض المعامـلات المادية وبدء تكوين الثروات خارج العمـل.. مع جمع المعلومات اللازمة عن حسـين السـعداوي ومعاملاته غير المشروعة.. حتى تحين اللحظة المناسـبة للإبـلاغ عنه والانتقام منه.. مع الاستمرار في الإيقاع بالفتيات والسيدات وهدى أولهن.. ولكنها لن تكون الأخيرة..

اتصل كريـم بعمر واطمأن منه على أنه راجـع كل ترتيبات الحفل... وطلب منه أن لا يتركه.. تحرك عمر على الفور بعد انتهاء المحادثة مع كريم وبدأ في إعداد ملابسـه التي سـيأخذها معه لارتدائها في منزل كريم.. ثم تحـرك سريعًا وتناول إفطاره مع أمه وأخته وأبلغهم بموعد الحفل وأن لا يتأخرا حيث إن كريم وهند في انتظارهن..

على أنغام الموسيقا دخل العروسان إلى القاعة.. كريم يتأبط ذراع هند.. وخلفهـما يمشي عمر وبعض أصدقائهـم المقربين.. تراقص الجميع حتى أنهكتهم الرقصات الواحدة تلو الأخرى.. وخرج عمر من بين الراقصين ليطمئن على حضور أهله.. والدته وأخته ووجدهن يجلسـن على منضدة بجـوار أهل العروسـة.. جلس بينهن وكما هي العـادة المصرية بكت أمه وهي تبلغه أنها كانت تتمنى أن تراه في مثل تلك الليلة مثل كريم.. كانت تتمنى أن تراه عريسًا.. ودعت على ليلى التي غدرت به وكسرت بخاطره كما تقول.. وأبلغها أن كل شيء قسـمة ونصيب والمهم الآن أنه بخير وأن كريم وهند سيتزوجان وهو يحبهما ويفرح لفرحهم..

من بين زحام القاعة.. وبين الأضواء التي كانت تنير وتنطفئ.. كانت هناك عين تومض وقلب ينبض.. وقدر يرسم خطته ليجمع بين قلبين.. من بين صديقات هند كانت داليا ترقص مرحة تتأبط ذراع هند منذ بدء الحفل ولم تفارقها إلا قليلًا.. وكانت دائمًا ما تصطدم بعمر أثناء الرقص بحكم أنها أقرب لهند وهو أقرب لكريم.. فكانت حركاتهما دائمًا قريبة مما يجعلهما يصطدمان دائمًا.. ويعتذران.. ويتكلمان ويتعرفان ويضحكان.. وأخته تراقب الموقف في صمت.. فهي تعرف أن هدى صديقتها تحب أخاها.. لاتعرف أكثر عن العلاقة المشينة بينهما ولكنها خشيت على هدى.. واستشعرت وكان عمر يخونها..

إلا أن عمر كان بالفعل يخون هدى فهو لا يحبها.. ولا يحب أحدًا بعد ليلى.. هو فقط يتلاعب بمشاعرهن.. واليوم جاء ليحتفل فقط لاغير لايفكر في هدى ولم يفكر في داليا.. هي مجرد صديقة هند التقاها وتحدثا فقط ولم يكن هناك أي شعور منه لداليا..

إلا أن هند حدثته بعد قليل وهما في القاعة وضحكت وسألته عن داليا وأخبارها.. فنظر إليها وأخبرها أنها تعرف ما يكنه قلبه لليلى وأنه لن يحب غيرها.. طلبت منه أن ينساها ويبدأ حياته من جديد.. وعددت له مزايا داليا ومنها تواضعها وحسن أخلاقها وأدبها الجم وأنها من أسرة راقية ولكنها قريبة المستوى من أسرته وأهلها سيقبلون به زوجا لابنتهم.. أمرها أن تسكت وتذهب لتحتفل مع زوجها وأن لا تتحدث في هذا الأمر مرة أخرى..

هو بالفعل لا يشعر بالحب.. ولا يريد أن ينجرح قلبه مرة أخرى.. ويخشى المواجهة في أمر الزواج من جديد.. يرفض فكرة الخسارة مرة أخرى.. لذلك كانت من ضمن خطته أن يتزوج فتاة ثرية ليستغلها أو يستغل نفوذ أهلها رغبة في مزيد من الانتقام حتى يرى حسين السعداوي وما يصل إليه.. لم يكن يفكر في تلك الأمور من قبل.. إلا أن صدمته في ليلى وأبيها غيرت حياته.. لذلك كان يرى أن داليا لا تناسبه.. ومع هذا ترك هند تذهب.. وخرج ليتحدث مع داليا..

دقائق مرت عليهما وهما يتحدثان معًا.. كل منهما يقدم نفسه للآخر.. وكأنهما في اجتماع عمل.. كل منهما يتعرف على الآخر في حذر.. لم يتحدثا عن أنفسهما.. تكلما عن كريم وهند.. قص كل منهما قصة عن صديقه.. هو يتحدث عن كريم وصداقاتهما الممتدة منذ سنوات.. من قبل العمل.. من أثناء الدراسة.. وهي أيضًا تتحدث عن هند صديقتها ورفيقة دربها.. لم يتطرقا إلى موضوع يخصهما.. علت ضحكاتهما كلما حكى أحدهما موقفًا كوميديًّا عن صديقه.. وكيف استعد العروسان لذلك الحفل.. وكيف كانت عصبية هند مستمرة منذ فترة طويلة للاستعداد لتلك الليلة وكيف ساعدتها داليا..؟

على منضدة بعيدة جلسا في محاولة للهدوء والاستراحة والابتعاد قليلًا عن صخب الحفل.. ومحاولة لاستجماع الأنفاس بعد أيام طوال مرت عليهما وهما يساعدان العروسين.. وعلى الجانب الآخر كانت أمه وأخته

تراقبانـه في صمت.. بل أيضًا كانت هند تتبعهما ببعض النظرات أحيانًا.. حتى أتت وطلبت منهما أن ينهضا لاستكمال الحفل معهما.. وابتسمت هند له.. ولوحت له بالسبابة.. وكأنها تقول إنه أحسن الاختيار..

في الحقيقـة هو لم يختر.. بل القدر هو من أعلن القرار والاختيار.. هو الـذي جمع بينه وبين داليـا في تلك اللحظات التي مـا زال يتذكرها جيدًا كلما رأى داليا أمامه والتى تظن إلى الآن بعد تلك السنوات من الزواج أنه اختارهـا عن حب.. وهي لا تعلم أنه لم يكن حبًّا منه بقدر ما كان محاولة للهـروب من الواقع والارتضاء بأن يعيش بجسـده مع امرأة أخرى غير ليلى.. لم يكن سـوى محاولة لنسـيان ليلى بداليا.. فرحت أمه بما فعله تلك الليلة وأشارت عليه أن يتقدم لخطبة داليا ولكنه أعلن لها أنه لا يوجد بينهما أي شيء.. هي بالنسبة له مجرد صديقة لهند وكل مافعله معها هو كلام في المطلق.. ولكن أمه وهند أخذا يلحا عليه أن يتقدم لها.. وعددت هند لأمه مزايا داليا وكيف أنهـا تراها خير عوض عن ليلى.. وتذكر أنه اختار إتمام هذا المشروع المسـمى بالزواج من داليا من أجل تلك الكلمة من أجل أن تكون عوضًا لليلى..

افترق عمر وداليا في تلك الليلة على أمل اللقاء في منزل كريم وهند بعد عودتهما من شهر العسل الذي كانا سيقضيانه في تايلاند وماليزيا.. صافح عمر داليا وأثنى على ملابسها التي ارتدتها في هذا الحفل.. وأثنت هي أيضًا على بذلته التي تشبه كثيرًا ملابس العريس.. وقف كل منهما بجوار العريسين

ليتلقطا الصور التذكارية.. وتأبط عمر يد أمه ومشى بعد أن انصرفت داليا التي صافحته وصافحت أمه وقبلتها وقبلت أخته التي لم تبدِ سعادة بمعرفتها.. وحتى الآن كلتاهما لا تشعر بالارتياح إلى الأخرى.. إلا أن عمر لم يكترث لتلك النظرات الغاضبة بينهما.. نظرًا لاعتقاده أن لا شيء حدث منه أو من داليا يستوجب تلك النظرات كما أنها مقابلة وستنتهي ولن تتقابل أخته وداليا مرة أخرى.. إلا أنه لم يدرك أن تلك الليلة ستكون فارقة في حياته وأن تلك النظرات لم تُمحَ آثارها حتى الآن..

انتهت الليلة وانتهى دور عمر الذي شعر بالارتياح لسعادة صديقه وصديقته.. ابتسم ولوح لهما وودعهما وانصرف على أمل لقائهم ولقاء داليا بعد عودتهم..

21
العــودة

لم تكن عودتنا بالأمر الهين لاعليه ولا عليَّ.. فالعودة بالنسبة لي تعني هزيمة واستسلامًا لكلامه ووعوده وأفكاره وتنازلًا مني عن مطالبي وشروطي التي اشترطتها بيني وبين نفسي.. أقدم المزيد والمزيد من التضحيات بدون مقابل.. إلا أنني ارتضيت بذلك من أجل أبنائي.. واتفقت معه على أن تلك هــي الفرصة الأخيرة له.. فإما أن يفــوز بي وبحياتي كلها وأما أن يخسرني وأخسره وأخسر كل شيء..

أما هو فكنت أعرف أن العودة بالنسبة له تعني انتصارًا.. خطوة كبيرة في طريق نجاحه وفي طريق علاجه.. في طريق الشفاء من مرضه الذي آلمه

وتسبب في جرح وألم لي أيضًا.. وهو لم يكن يخادع فعلًا.. بل صادق في كل كلامه وأقواله ووعوده.. وسيبدأ في تنفيذ تلك الوعود واحدًا تلو الآخر.. كما أتمنى ذلك..

التقت العيون وبكا كلانا.. بصدق لأول مرة منذ زواجنا.. وقفت أمامه وأطفالي في يدي.. ينظرون في هدوء إليَّ وإلى والدهما.. ومد أيمن يده إليهما وجلس على ركبتيه واحتضنهما وبكى وهو يقبلهما.. ابتسم عمر وليلى وهما بين أحضان أيمن.. الذي شعر بخجله لأول مرة وهو ينظر إليهما.. خجلًا من كونه أبًا لهولاء الملائكة.. خجلًا من نفسه التي ظلمها وارتضى بأن يُفعل بها ما حدث.. ارتضى أن يغير من طبيعتها ومن رجولته إلى شاذ.. أحمق.. أخرق.. أمرهما أيمن أن يذهبا إلى حجرتهما ويلعبا.. وانتظر حتى مشيا وهما يتراقصان فرحًا بعودتهما إلى بيتهما وإلى ألعابهما.. ثم نهض أيمن.. ونظر إليَّ نظرة أسى وحزن وخجل.. مد يده وأمسك يدي وقبل كفي من الداخل كما قبل جبيني.. وحاول أن يضمني إلى صدره إلا أنني أبيت وابتعدت عنه إلى الوراء.. حذرته من أن تكون خطواته تلك فخًا نصبه لي إلا أنه أقسم بأغلظ الأيمان بحبه لي وبصدق كلامه ووعوده..

أمسكت تذاكر الطائرة في يدي ولوحت بها إليه لأخبره أن تلك التذاكر هي أولى الخطوات التي اتخذناها معًا من أجل أن تعود الحياة بيننا مرة أخرى.. وأن تلك التذاكر كما أخبرني هي أولى وعوده التي نفذها.. وأن الخطوات التالية ستتحقق فعلًا كما وعد بذلك..

الآن في يـدي تذاكر الطائرة إلى شرم الشـيخ وأخبرني بالاتصال فورًا بالفندق الذي حجز فيه للإقامة في شرم الشيخ للتأكد أنه صادق في وعوده.. وأنـه يحبنى فعـلًا وأن ما حدث كان أمرًا عارضًا.. مرضًـا مزمنًا يريد أن يُشفى منه وأنني علاجه..

مرة أخرى طلب مني الصفح والسماح له.. اعتذر عما حدث وطلب مني أن لا أتركه مرة أخرى.. وأن أكون دائمًا بجواره وأنه سيضحي كما ضحيت أنا.. سيضحي بعمله وماله ومستقبله هنا في فرنسا من أجلي.. سيترك كل ذلك من أجل الفوز بي فقط لا غير.. من أجلي ومن أجل أبنائنا..

طلبت منه أن يسـتكمل باقي الإجراءات التـي اتفقنا عليها في اتفاقنا الذي أبرمناه في منزل ساندرا.. أنا لم أ أتي إلى المنزل مع أطفالي مرة أخرى إلا بعد أن أعطاني تذاكر الطائرة وعندها تأكدت من حسن نواياه.. والآن عليه أن يسـتكمل الخطوات الأخرى.. تصفية أعماله في فرنسا.. الانتقال إلى مصر.. الذهاب إلى الحج..

انصرفت مسرعة من أمامه للذهاب إلى غرفتى.. رمقني بنظرة خاطفة.. وحاول أن يضع يده على كتفي.. إلا أنني رفعت يده عن كتفي وأمرته أن لا يـأتي ورائي فأنا أعلـم نواياه.. وأمرته أن يلتزم بـما اتفقنا عليه.. أن لا يقربنى حتى نذهب إلى الحج ويعود منه كيوم ولدته أمه.. أخبرته أنني لن أسمح له بملامستي أو الاقتراب مني حتى يتطهر من كل ذنوبه وآثامه.. وافق عـلى كل طلباتي ووعدني بالصبر والتحمل والتنفيذ.. بل والسـمع

والطاعة.. لم أحل رباط رأسي ولم أكشف شعرى له وكأنه رجل غريب عني وليس زوجي.. مشيت إلى حجرتي لأغير ملابسي.. إلا أنه أخبرني بأنه أعد لي مفاجأة أخرى.. وعليَّ أن أذهب معه إلى الحجرة وأنا مغمضة العينين.. وافقت على طلبه على مضض ومشيت وراءه..

دخلت الحجرة وفتحت عينيَّ فوجدته قد علق الزينات وأعد لنا عشاء فاخرًا على منضدة صغيرة في حجرة النوم.. مع بعض الشموع الموجودة عليها وروائح عطرية زكية منثورة في المكان.. نظرت إليه في تعجب وكأنني ألومه على عدم فعل تلك الأمور مسبقًا لعلها كانت أحدثت الكثير قبل أن تصل الأزمة إلى هذا الحد.. وكأنه كان يقرأ ما في رأسي من نظرات عينيَّ.. أخبرني أنه تأخر في هذا الأمر وأنه لم يفهمنى جيدًا من قبل ولكنه تدارك الموقف الآن.. الليلة اعتذار وبداية جديدة..

أخبرته أن ينتظر بالخارج حتى أنتهي من تغيير ملابسي وأن يذهب ليجلس مع الأولاد قليلًا فهم في حاجة لحضنه واحتوائه لهم.. وهو في حاجة ليتقرب منهم أيضًا فهو لم يجلس معهما منذ فترة طويلة ولم يهتم بهما منذ زمن وعليه أن يأتي بهما ليتناولا العشاء معنا.. أخبرته بأفعاله السابقة وهروبه الدائم من المنزل ليبقى مع أصدقاء السوء بعيدًا عن أطفاله.. أشار بألا يكمل الحديث في هذا الاتجاه.. وأن عليَّ أن أنفذ الجزء الخاص بي في الاتفاق وهو عدم الحديث عما ارتكبه وما اقترفه من آثام.. حتى أساعده على العلاج والتوبة.. هو الآن ينفذ الجزء الخاص به في اتفاقهما وعليَّ أن

أنفـذ ما يخصنى.. انحنى كما يفعل ممثلو المـسرح عند تحية الجمهور معبرًا عن تحيته لي.. وعن انصرافه ليؤدى مهمته في الاعتناء بأولاده وسيأتي بهما ليتناولا العشاء معنا على تلك المنضدة المعدة خصوصًا من أجلي والتى كان يمني نفسه أن يكون عشاء رومانسيًّا خاصًا بحبيبته.. إلا أنه لم يستطع أن يرفض طلبا لي..

رافعًـا راية السـمع والطاعة.. انصرف لينفذ مـا طلبته منه في صمت بلا جدال أو مناقشة..

22
اِرتبـاط

ارتباط تقليدي يكاد يخلو من مشاعر الحب.. كل ما به هو احترام وود متبادل.. لقاء عابر في حفل زفاف أصدقائها.. تحول إلى نقطة انطلاق لبدء حياتهما.. إعجاب متبادل ونظرة موضوعية وإلحاح من والدته عليه ومن صديقتها عليها.. حتى كان زفاف عمر ودواليا.. مقارنة بينها وبين ساندرا وعبير وإيمان وكل النسـاء اللاتي مررن بحياتـه ماعدا ليلى.. ففازت داليا بكل تلك المراهنات والمقارنات..

وهي وأهلها أفضل من ليلى التي سببت له الآلام والجراح.. كان هذا كلام أمه له..

لم تكن العلاقة بين عمر ودواليا تعدت الصداقة.. التقيا في حفل زفاف كريم وهند ثم التقيا مرة أخرى في بيت كريم وهند بعد عودتهما من شهر العسل كما يقولون... لم تكن بينهما سوى حوارات عادية تقليدية عن العمل وعن الحياة ومباركات لهند وكريم لزواجهما.. لم تكن هناك عاطفة.. على الأقل من وجهة نظره هو لأنه كان قد اتخذ عهدا ألا يفتح قلبه لأحد بعد ليلى.. كان قد أغلق قلبه عليها..

حدثته هند أيضًا عن داليا وطلبت منه أن يفكر في الأمر.. كما تحدثت مع أمه عنها وكيف أنها زوجة مناسبة لعمر.. خاصة أن أم عمر تعرف أن هند كانت صديقة مقربة لليلى..

كذب عمر عندما سألته هند عن ليلى وعن حبه القديم لها وهل ما زال هناك حب منه لليلى أم لا.. أنكر وكذب.. أشاح وجهه عنها حتى لا ترى الكذب في عينيه.. خاف أن يظهر في صورة المهزوم المكسور.. وهو المعاهد لنفسه بالانتقام وأن يكون قويًّا وأن لا ينهزم ولا يتأثر بما حدث له من ليلى.. حاول ألا يظهر ضعفه أمامها.. رغم أنه ضعيف جدًّا من الداخل.. ارتدى قناع الشجاعة والقسوة وأخبرها.. لا.. لا حب لليلى في قلبي الآن.. لقد قُضي الأمر يا هند.. أنا الآن في مرحلة جديدة من حياتي، أعيش بدونها..

طمأنها هذا الرد لتستمر في الإلحاح عليه ليتقدم إليها ويخطبها ويتزوجها.. مرة تحدثه عن قوته وشجاعته وقدرته على التعايش في البعد عن ليلى فتثير

حماسته وغروره.. ومرة أخرى تحدثه عن أن ليلى لم تصبح له.. ولا من نصيبه.. فتثير في نفسه الحزن والرغبة في الانتقام.. وتارة أخرى تحدثه عن أمه المريضة التي تتمنى أن تفرح به وبأخته وأن في يده أن يدخل الفرح والسرور عليها من الزواج من داليا.. فتثير فيه الرقة والعطف وبر الوالدين.. وتارة أخرى تحدثه عن داليا وتفوقها العلمي أثناء الدراسة والآن تفوقها في العمل وعن أسرتها التي ستقبل الارتباط به وبظروفه..

تأبط يد أمه مرة أخرى وذهبا إلى مقابلة أهل داليا في منزلهم.. واختلف المشهد تمامًا.. داليا ترتدي أفخر ثيابها وتدخل عليهم بوجه باسم بشوش.. والدها يجلس وينظر إليها في فخر وسعادة بابنته.. أمها تستقبلهم بحفاوة.. البيت به هدوء وسكينة.. وهو يجلس معتدلًا بجوار أمه وينظر إلى أبيها بكل هدوء وثقة واطمئنان.. جلسة تعارف عائلية بسيطة غير متكلفة لم يتطرقوا فيها إلى تفاصيل مادية.. لم يحدث بينهم تنابز أو تفاخر بالألقاب أو بالأنساب.. عرف عمر نفسه لوالدها وتكلم عن عمله وعن أحلامه وطموحه ومستقبله.. وتحدثت داليا كذلك عن نفسها وأحلامها.. كل منهما رأى في نفسه زوجًا مناسبًا للآخر.. كلاهما تحدث بصوت العقل لا القلب.. لم تخض داليا أي تجارب عاطفية.. ولم تعرف عن الحب شيئًا سوى في الروايات والأفلام فقط لا غير.. كل حياتها كانت من أجل الدراسة والتفوق العلمي والعملي.. حتى التحقت بشركة من أكبر شركات المقاولات في مصر.. مهندسة مثله ولكنها في تخصص آخر.. إلا أنه تناسى

الهندسة عن عمد والتحق بإدارته الجديدة بعد توسل من ليلى له ألا يترك العمل وألا يفقد وظيفته على أمل أن تتحسن الأحوال بعدها وتنتفي عنه تهمته.. أخبرته ليلى وقتها ألا يهرب من المعركة وأن لا ينهزم أمام والدها في اتهاماته له.. وأن يتمسك بالأمل.. وقد نفذ وعده لها لكنها هي من هربت وفرت وتركته وحده.. تذكرها حتى في تلك اللحظة التي يجلس فيها مع داليا.. في لحظة الانتقال من حياة إلى حياة.. تذكرها وتذكر كيف تغيرت حياته كلها من أجلها.. من أجل إرضائها.. والآن سيتخذ خطوة أخرى في حياته مضطرًّا من أجل إرضاء أمه وإسعادها.. وكأن حياته كلها قد تحولت إلى محاولات لإرضاء جميع الأطراف.. أما هو فلا يهم ماذا يريد؟ كما أنه أيضًا لا يعرف ماذا يريد الآن؟ هو فقط ينتقم من كل النساء بسبب ليلى.. وينتقم من كل العصاة بسبب والدها.. نظر إلى داليا وأشفق عليها من الانتقام.. حينها قرر أن تخرج داليا خارج دائرة الانتقام..

انتهت المقابلة كما بدأت بترحاب.. انتهت على أمل العودة واللقاء مرة أخرى.. خرج عمر مع أمه التي كانت أشد الناس فرحًا في هذا اليوم.. فها هي الفتاة التي تتمناها لابنها قد وُجدت.. وها هو حلمها في الاطمئنان على ابنها قد اقترب.. وهي ترى أنها تساعده على العلاج من جرح ليلى له..

تحدث كثيرًا مع أمه عن الخطوات المقبلة لإتمام الزواج.. وابتعد عن المنزل وهو يتذكر عيون داليا وفرحتها به وانتظارها له..

23
صـدق الوعـد

كانـت فرحتي كبيرة بانتصاري في أول جولة ولكنني كنت أحاول أن أداريها عنه حتى لا يعتقد أنه فاز بتلك الجولة.. أو أنه حقق منتهاه.. أخذت التذاكر منه ودخلت حجرتي.. أغلق الباب بعد أن خرج.. ووقفت بجوار المنضدة والشموع الموجودة عليها.. نظرت إلى المأكولات الفاخرة الموضوعة على المنضدة.. وتبدلت الفرحة التي كانت في عيني بفرحة أخرى منكسرة.. فرحة باهتة.. لقد تأخر.. تأخر كثيرًا حتى أصبحت تلك الأشياء بلا معنى ولا طعم.. بلا أثر ملموس يعانق قلبي أو يلامس روحي.. تحسست وجهي ونظرت في المرآة لأرى بعضًا من آثار الضرب المبرح والجروح التي تركت

أثرًا فيه من ضرباته المتتالية لي.. تمنيت لو كانت تلك المنضدة وتلك التذاكر كانت في وقت أفضل من هذا.. تمنيت لو كان يداوي جراحي بتلك الهدايا التي أحبها وتلك اللمسات واللحظات الرومانسية التي أعشقها وأتمناها وأبحث عنها.. ولكنها مع الأسف تأتي في أوقات غير ملائمة.. تأتيني تلك الهدايا وقد تناسيتها وفقدت لذتها.. أنا الآن أبحث عن أخطاء له.. لا اعتذارات.. الآن أتمنى لو يخطئ مرة أخرى.. لو يحنث في قسمه ووعده لو يخلف عهدًا قطعه على نفسه لتكون تلك هي اللحظة الفارقة في حياتنا.. لننهي هذا الأمر كله وأعود من حيث أتيت... أعود بأطفالي.. وأبدأ حياة جديدة في وطني.. في انتظار عمر..

أسرعت وانتهيت من تغيير ملابسي.. فالوقت يمر والأطفال جوعى وينتظرون بالباب.. ويرغبون في النوم أيضًا.. سمعت دقات أيديهم الصغيرة على الباب وصوت أيمن معهم ينادون عليَّ أن تفتح فلقد انتظروا كثيرًا.. فتحت الباب واحتضنتهم وقبلت رأس كل من عمر وليلى الصغيرين وأمسكت أيديهم ومشيت في المنتصف بينهما ويتبعنا أيمن.. جلست ووضعت عمر على رجلي.. وجلس أيمن ومعه ليلى على رجليه.. وشرعنا نحن الأربعة في تناول الطعام.. إلا أن أيمن أصر أن يوقد الشموع مع تشغيل لبعض الموسيقا الخفيفة الهادئة.. ضحكنا كثيرًا وتذكرت أننا لم نجتمع مثل هذا الاجتماع من قبل بل وأننا لم نضحك مثل هذا الضحك..

تذكرت كيف كانت المعاناة مع أيمن وكيف كنت أحرضه مرارًا وتكرارًا

بل وأترجاه أن نجتمع معًا وأن يجتمع مع أولاده ويراعيهم ويتقرب منهم ويحتويهم ويشعرهم بالدفء والأمان.. كنت أرغب في أن أجد رجلًا يحتويني.. ظهرًا أستند إليه.. حضنًا أرتمي فيه.. أخًا لي في غربتي.. وأنيسًا لي في وحدتي.. أبًا عندما أحتاج إلى الأمان.. وزوجا وحبيبا عندما أحتاج إلى الحنان.. والدا لأبنائي ينامون معه في طمأنينة.. ويفتخرون به في كل مكان.. أبًا حنونًا يعرف معنى الأبوة الحقة.. فقط كنت أطلب رجلًا بمعنى الكلمة..

نام الأطفال بعدما لعبوا واحتفلوا بعودتهم إلى منزلهم.. قمت باحتضانهم ونقلت عمر إلى فراشه.. وكذلك فعل أيمن مع ليلى الصغيرة.... نظر إليَّ أيمن مرة أخرى.. وهو يبتسم.. أشار إليَّ بسبابته مرة أخرى للتعبير عن رضاه عن نفسه وعما فعله الآن من جزء من دوره المفقود الذي كان لا بد أن يفعله من قبل ولكنه تأخر كما اعتاد دائمًا.. اعترف بخطئه وجريمته السابقة في ابتعاده عن أولاده وعني وعن قدرته في فهمي.. اعتذر مرة أخرى وطلب مني أن أستريح وأن أذهب للنوم قليلًا.. أما هو فسيباشر بعض الأعمال لينتهي من استكمال باقي متطلبات تنفيذ وعوده لي..

سفيان وجاك وناتالي.. شركاؤه في سهراته وحفلات الجنس التي كان يرتكبها.. في صفقاته المشبوهة التي كان يعقدها.. إلا أنهم لم يكن لهم تواجد في حياته العملية.. حاول دائمًا الفصل بين عمله وحياته الخاصة.. إلا أنه اعتبرهم جزءًا من حياته الخاصة كلها فلم يستطع أن يفصل بينهم كأصدقاء وبين حياته العائلية والأسرية.. فتداخلت الأمور عليه من سهرات في

منزله أو منزل أحدهم.. مع معرفتهم ببعض أسرار حياته ومشاكله معي.. وكنـت أظن دائمًا بحدس المرأة أن ناتالي تحرضه عليَّ وتأمره بالضغط عليَّ وإذلالي وترى أنني في موقف الضعف خاصة في الغربة وأنني دائمًا سأكون في حاجة إليه.. وأنني لن أستطيع فعل شيء هنا بدونه وعليه أن يغلق عليَّ الأبـواب بعد نزوله للعمل ويمنع عني اتصالاتي بأهلي.. وتذكرت كيف كانت تقترب منه ناتالي بشدة وكيف كانت تقبله كثيرًا وكيف كانت رائحة عطرها تفوح منه عند عودته للمنزل فكنت أعرف وقتها أنه كان في لحظات مجـون وخيانة.. تذكرت كم مرة كانت تطبع ناتالي قبلات على ملابسـه.. ويعود إليَّ فأجد آثار تلك القبلات على قميصه.. فكنت أزداد حنقًا وغضبًا وشعورًا بالخزي والعار من الخيانة التي سقط فيها زوجي.. وتشتعل بيننا المعارك التي كنت أنا دائمًا فيها خاسرة.. الآن أدرك بوخز الضمير تجاهي وأنه ظلمني كثيرًا.. وأن ناتالي كانت امرأة تكيد لامرأة أخرى..

الآن هو يخطو خطواته التي كتبها وأعدها لينقذ نفسه وأولاده وحبيبة قلبه ليلى من تلك الحياة الآثمة.. سـيأخذ إجـازة من العمل ويذهب مع عائلتـه الصغيرة إلى شرم الشـيخ وفي نفس اللحظة وقـت إقلاع الطائرة سـيكون المحامي الخاص به قد أبلغ السلطات عن سفيان وعلاقته بمافيا المخدرات.. أما جاك وناتالي فسـيكون التخلص منهما أسهل حيث إنه لا علاقة بينه وبينهم سـوى الصداقة فقط لاغـير ولذلك فعند خروجه من فرنسـا سـيظلا أصدقاء.. هو فقط لن يثير عداوتهما الآن.. سيبتعد عنهما

ببطء.. أولًا سفر إلى مصر.. ثم عند العودة يبتعد قليلًا قليلًا بحجة العمل والتزامه الديني وارتباطه بأطفاله وبي.. حتى ينتهي من تصفية أعماله في فرنسا ويرحل مبتعدًا عنهما فجأة بلا مقدمات وبدون إبلاغهما بذلك.. سيذهب بلا رجعة.. سينجو بنفسه بعيدًا عن فخ امرأة تكيد لمحبوبته.. سيحافظ عليَّ كما أظن..

انتهى من اتصاله بالمحامي كما سمعت من غرفتي حيث لم أستطع النوم خوفًا من دخوله عليَّ وملامستي وأنا نائمة.. ثم ذهب ليطمئن على أولاده وهم نيام في فراشهما.. ثم تسلل لينظر إليَّ وهو يظن أنني نائمة.. تمنى لو استطاع أن يدخل الآن ويقبلني.... أتمنى أن تفى بوعدك يا زوجي.. أقسمت لي على التوبة وبدء صفحة جديدة قبل ذلك مرات ومرات ونكثت بعهودك القديمة إلا أنني أشعر أنك صادق تمامًا في هذه المرة.. أغلق الباب عليَّ وتركني في نومي هادئة وانصرف لاستكمال رحلة التوبة والعلاج.. عندها أغلقت عيني ورحت في سبات عميق..

24
هــدى

التوبة.. هي السبب الوحيد الذي يدفعني لقول ذلك الكلام لك.. أنا ارتميت في أحضانك الآن وجئت إليك مودعًا حبك وجسـدك وقلبك.. أعلم أنك تحبينني بشـدة وتنتظريني منـذ فترة طويلة.. بل وفعلتي الكثير من أجلي.. مالًا ووقتًا وجسدًا تملكته حتى ونحن في عداد المحبوبين.. أملًا أعطيته لك فقط لا غير.. وعودا فقط لا غير هي كل ما كنت أمتلكه وكل مـا قدمته لك.. أعلم أن القرار ليس لي بمفردي كما تعاهدنا من قبل وأننا كما اتفقنا مسـبقًا ستكون كل القررات بيننا مشتركة.. لكنني اليوم أعتذر عن اسـتكمال حياتي معك.. قبلتك الآن قبلة الوداع واحتضنتك الحضن

الأخير.. أنا لا أقوى على النظر إليك.. أعلم ضعفى وخطئي ولكن ادعي لي أن يتقبل الله توبتي وتوبتك.. على أمل اللقاء مرة أخرى في الحلال..

نظرت هدى إليه وهي جالسة بجواره عارية تمامًا على طرف الفراش.. لا تقوى على الرد.. لا تقوى على الكلام.. لم تصدق ما ينطق به لسانه.. أهكذا في لحظة بسيطة.. لحظة فارقة في حياتها كلها.. لم تستطع النطق.. فقط صفعته على وجهه بشدة.. في نفس المكان الذي صفعه عليه حسين السعداوي.. ثم بصقت عليه..

أسرعت تلملم ملابسها وتغطي جسدها.. ثم سبته بأقذع الألفاظ.. أسرع وراءها يرتدي ملابسه ويحاول أن يهدئها.. أمسكها من ذراعها.. إلا أنها استمرت في سبابه وخرجت من الحجرة.. جلست على الأريكة تبكي حظها العاثر.. كيف له أن يفعل ذلك بها.. كيف يقول لها مثل هذا الكلام.. كيف هانت عليه.. وهي التي ضحت بأغلى ما تملك من أجله.. لم تبخل عليه بمالها ولا جسدها.. أمسك يدها يحاول أن يهدئها.. أعلن لها أنه فعل ذلك من أجلها من أجل أن يحافظ على حبها.. ويحافظ عليها.. تعجبت من كلامه..

– دا ماكانش كلامنا قبل كدا..ماكانش اتفقانا.. إيه إللي حصل.

– فوقت خلاص.. الحرام دا مش لازم يفضل على طول..

– أنا بحبك.. أنا معملتش كدا مع حد قبلك.. إنت فاهم الكلام دا..

أنا سيبت نفسي ليك عشان بحبك وبحاول أعمل أي حاجة ترضيك.

– أنا عارف.. وعشان كدا بعفيكي من أي حاجة.. ومن أي ارتباط.. إحنا لازم نفوق.

– نفوق من إيه.. أنا بحبك وبعمل كدا برضًا تام.. ومستنياك نتجوز ويبقى كله في الحلال.

– نتجوز إزاي إنت عارفة ظروفي.. ولو مقدرتش أتقدم وأجيلك وأتجوزك.. هيكون إيه الموقف.. هتتجوزي إزاي.. إنت مابقيتيش بنت.

– أنت مالك أنا قابله بدا ومقتنعة باللى أنا بعمله.. أنت جوزى.

– أنا مش جوزك.. مفيش حاجة تربطنا ببعض.

– أنا قلتلك نتجوز عرفى وأنت رفضت.. أنا دلوقتي عرفت أنت رفضت ليه.. أنت كنت بتتسلى.. بتقضى وقت فراغ وخلاص.. بتنسى واحدة بواحدة تانية.. زي ما مروة أختك حذرتنى وقالت لي أبعد عنك عشان أنت مش بتحب حد.. أنت بتنسى حبك القديم لليلى بي أنا وبس.. وأنا مصدقتهاش.

– لا أنت غلطانة إنتي ومروة.. أنا ما اترميتش في حضنك علشان أنسى ليلى.. أنا نسيت ليلى فعلًا من غيرك.. إنتي حاجة وهي حاجة تانية.. أنا عشت معاك ونسيت الدنيا كلها في الأوقات إللي كنا بنختفى فيها من الدنيا

والعالم.. متعيطيش ياهدى.. أرجوكي ساعديني وساعدى نفسك.. أنا مش حابب أشوفك في دور فتاة الليل دا.. مش حابب أشوفك في دور الخيانة..

– خيانة.. خيانة مين.. أنت بتتكلم في إيه..

– أيوه خيانة.. خيانة نفسك.. خيانة نفسنا.. خيانة الناس إللي إحنا عايشين معاهم.. أهدى ياهدى.. حاولى تخليني أروح وأنا مطمن عليكي.. خلينا نهدا ونتكلم بعدين.. فكرى في الموضوع كويس.. أنا فعلًا خايف عليك.. أنت مش فاهمة إيه إللي ممكن يحصل لو مرة أهلك مسكونا هنا أو حد عرف إللي إحنا بنعمله.. أنت عارفة هيقولوا عليكي إيه.. أنا مش بتكلم عن نفسي دلوقتي.. أنا بتكلم عنك.. أنت بنت لكن أنا راجل لو روحت ولا جيت هيقولوا عني إيه.. مش هتفرق كتير..

– كدا بمنتهى البساطة.. تروح وأهدى.. وبعدين نتكلم.. كلام إيه إللي هتكلمه؟؟ نتكلم عن إيه.. أنت خدت قرارك ودا مش من حقك لوحدك.. القرار بينا مشترك.. وأنا مش موافقة على القرار دا.. ومش هنفذه.. أنا مش رخيصة قوي للدرجة دي.. وأنا كنت مأمنة المكان تمامًا.. وأنت عارف إحنا بنتقابل هنا لما أهلي بيكونوا مسافرين وأنت عارف أن إحنا براحتنا أنا وأنت ومحدش هيدخل علينا ويمسكنا متلبسين.. هو دا بس إللي همك.. دا بس إللي أنت خايف منه.. خايف تتمسك معايا.. لكن مش خايف على.. ياااه.. أنت جرحتنى قوي.. للدرجة دي أنا رخيصة في نظرك.. للدرجة

دي هنت عليك.. بسهولة كدا تقولي هتمشى.. أنا مش هسيبك يا عمر.. اتفضل أخرج.. امشي.. وهترجع لي تاني.. انت ملكي..

خرج عمر مسرعًـا من منزلها وهي تتوعده بالويل.... نفس الكلمات سمعها من قبل من ليلى..

إنت أناني..

لماذا اتخذت القرار بمفردك؟

أنا ضحيت وكنت مستعدة أكمل معاك..

إلا أنـه لم يهتم بما تقول.. هو يعلم ما دبر له وما سـينفذه للوصول إلى هدفه.. بدأ معها بخطوات هادئة بسيطة كانت أولى الخطوات هي إعلانه التوبة وهو في ذلك لم يكن صادقًا حرفيًّا.. أعلن لها ذلك ليكون ذلك القرار مهربًا ومنفذًا له ليهرب منها.. حتى يرتبط بداليا في هدوء.. حتى تخرج هدى من حياته.. إلا أنه لم يكن صادقًا في تلك التوبة.. هو فقط يريد أن يغسـل ذنبًا من ذنوبه.. أن يتطهر منها مؤقتًا.. أن ينهي تلك المرحلة ويمحوها من حياته.. فها هو انتقم من ضعف ليلى في إذلال وقهر وهزيمة امرأة قوية مثل هدى.. تمتع بها.. واشترت له الهدايا التي كان يحتاجها وغيرها من الأشياء التي كان يحتاج إليها فكانت هي تمده باحتياجاته.. هي مرحلة وانتهت.. وعليـه أن يخطو الخطو ة التالية.. فكـر في الخطة البديلة التي أعدها لهدى في حال إصرارها على رفضها الابتعاد عنه.. ابتسـم وهو سائر في الطريق

يرسم الخطط والمكائد لها.. شعر أن الشيطان يصفق له، لكل أفكاره التي يفكر فيها من أجل إبعادها عنه.. إلا أن الخطة الثانية كانت خطة سلمية أيضًا.. سيدعو مروة أخته أن تبعدها عنه.. سيجعل مروة هي من تفعل ذلك ويجب أيضًا أن يبعد مروة عن داليا.. ولكنه شك في نجاح تلك الخطة لذلك لم يعول عليها كثيرًا.. وفي ميدان الجلاء كان قسما شرطة العجوزة والدقي يقفان في مواجهة بعضهما البعض.. وقف في وسط الميدان ونظر إليهما وقرر أن يكون أحدهما مسرحًا للخطة الثالثة إن فشلت مروة في إقناع هدى بالابتعاد عنه.. ثم مشى مبتعدًا مصفقًا لنفسه.. ليبدأ الخطوة الثانية..

25
الـخطوة الثانيـة

لم تكن الخطوة الثانية بصعوبة الخطوة الأولى.. فقد اتخذنا تلك الخطوات سريعًا ومضينا قدمًا في خطتنا ليحقق أيمن ما وعدني به.. نظرت إلى الحقائب وإلى أبنائي.. بعدما طرق أيمن باب حجرتي التي أغلقتها من خلفي لأرتدي ملابسي اسـتعدادًا للسـفر إلى مصر.. أخبرني أيمن أنه سيتصل بجوزيف وساندرا رفقائنا في الرحلة حتى يبلغهم أنهم مستعدون للانطلاق إلى رحلة العمر إلى شرم الشيخ..

نظرت إلى نفسي في المرآة وارتديت غطاء الرأس الخاص بي الذي لم أتخلى عنه حتى بعدما أتيت إلى فرنسـا.. تحسسته وتذكرت أن عمر هو أول من

هنأني باردتدائه بل إن تلك الطرحة التي أرتديها هي من إهدائه.. فرت دمعة من عيني عندما تذكرت أنه كان من يشجعني دائمًا على ارتداء الحجاب.. وكيف كنت أسيرة لكلامه وأفعاله.. كنت مؤمنة تمامًا بما يقول.. أشعر في صوته بالصدق والإخلاص وأرى في عينيه الحب.. أسمع من قلبه اسمي وكلمة أحبك حتى إن لم ينطقها.. مسحت دموعي.. وخرجت إليهم..

ما هي إلا دقائق حتى أتت السيارة التي ستحملنا إلى بيت ساندرا لنأخذهم معنا في طريقنا إلى المطار.. جلس أيمن بجوار السائق وجلست أنا في المقعد خلفه ومعي ساندرا وجوزيف أما الأطفال فجلسوا في المقعد الخلفي يلعبون معًا.. أطفالي مع أطفال ساندرا يضحكون وساندرا تحتضنى وتمسك يدي بشدة.. وأنا أنظر إليها وأحدثها بعيني فقط.. تلك الأعين التي بكت كثيرًا منذ قدومي إلى فرنسا.. تلك الأعين التي تودع فرنسا الآن وهي تبكي أيضًا.. تبكي من فرط الفرح والسعادة.. فها هي وعود أيمن تبدأ في التحقق.. كم تمنيت منذ سنوات أن يكون لنا وقت للاستجمام والراحة في شرم الشيخ بعيدًا عن ضغوط الحياة والمشاكل التي تحيط بنا.. إلا أن أيمن دائمًا ما كان يختلق الأعذار بسبب أعماله ومسئولياته.. حتى في رحلاتنا إلى مصر التي كانت تتكرر مرة كل عامين لم يذهب هناك.. كان دائمًا يخبرني أننا نمرح في شواطئ فرنسا فما الداعى لشرم لشيخ... ويبلغني دائمًا أنه يكتفي بزيارة أهلنا وتمضية فترة الإجازة كلها معهم.... إلا أن شرم الشيخ.. وسوهو أسكوير كان لهم ذكرى خاصة لدي.. ذكرى لقاء عمر

الأول واعترافاتنا بحبنا.. ثم في سوهو كانت لحظات الفراق.. أنا أشتاق لهذا المكان لعلني أستعيد عمر وأمحو الكلمات التي أطلقتها والدموع التي ذرفتها وأستمتع بقبلاته على يديَّ في النور.. بدلًا من آخر القبلات التي قبلها لي في المستشفى.. إلا أن أيمن لم يكن يحب شرم الشيخ كما أبلغني بذلك.. إلا أنه في هذه المرة تنازل عن رأيه من أجلي.. كم تمنيت أن يتنازل عن آرائه الأخرى ويتركني في مصر مع أبنائي حتى ينتهي من تصفية أعماله في فرنسا ثم يعود إلينا.. إلا أنني لم أستطع أن أفوز بتلك النقطة في أثناء لحظات التفاوض معه.. فهو ارتضى بكل شروطي إلا أن أبقى في مصر بدونه.. فهو اعتذر عما ارتكبه من جرم وإثم وتعاهد على الذهاب إلى شرم الشيخ لمدة أسبوع على أن يأتي أهلي إلينا ويستمروا معنا لمدة أسبوع كامل على أن نعود إلى فرنسا حتى ينتهي من تصفية أعماله وأن نذهب إلى الحج من هناك من فرنسا ثم نعود إلى مصر بلا ذهاب إلى فرنسا مرة أخرى.. أبلغني أنه يريد أن يتطهر على يدي وأن أكون له سندًا دائمًا.. وأن لا أتركه وحده في فرنسا حتى لا يكون عرضة للانحراف مرة أخرى.. فهو ضعيف بدوني.. وبدون أولاده.. كما أن وجودي سيساعدني على استخراج تأشيرة الحج من هناك على أن تذهب أمه وأمي معنا إلى الحج من مصر ونعود بعدها إلى القاهرة للاستقرار في مصر إلى الأبد.. فارتضيت بهذا الشرط..

في مطار شارل ديجول.. كانت الحركة تسير بانتظام.. زحام شديد.. ولكن بنظام.. اصطف المسافرون يراجعون إجراءات السفر.. ويضعون

الحقائب في أماكنها المخصصة.. وجوه كثيرة مبتسمة ووجوه أخرى حزينة لفراق المسـافرين.. أما أنا فكنت أكثر المسـافرين سـعادة في هذا المطار.. احتضنت أطفالي خوفًـا عليهم من الفقد بين هذا الزحام.. وانتظرت مع ساندرا حتى ينتهي أيمن وجوزيف من إنهاء إجراءات السفر.. إلا أن أيمن كان مشغولًا بأمر آخر ففي تلك اللحظة ستكون الخطوة الثانية له في طريق التوبة.. التقى بالمحامي الخاص به ليبدأ في اتخاذ خطواته من أجل الإبلاغ عن سـفيان حتى ينتهي منه وينهي حياته السابقة ويمحو إحدى سيئاته.. تنحى جانبًا بعيدًا عن جوزيف وتحدث مع المحامى وراجعا معًا الأوراق الخاصة به وبسـفيان وبكيفية الإيقاع بـه والضمانات التي قدمها المحامي لإبعاده تمامًا عن القضية وأن يكون اسمه بعيدًا تمامًا عن التحقيقات فما هي إلا قضية مخدرات سيقع فيها سفيان وبعدها ستتخلص منه المجموعة التي يتبعها حتى لا يتكلم ويتسبب في مشاكل لهم، فهم تجار مخدرات محترفون.. وبذلك سيموت سفيان ويموت سره معه.. ابتسم وصافح المحامي الذي لا يعـرف ما الذي جعل أيمن يهتم بتلك القضية إلا ما أبلغه به أيمن عن رغبته في الابتعاد عن سـفيان ومخدراته.. وهو يخاف أن يتأذى من سفيان وأن يبتزه بماضيه السيئ عن المخدرات.. فقط المخدرات ولم يبلغه بالطبع عن شذوذه مع سفيان..

ارتفعت أصوات النداء على المسـافرين إلى شرم الشيخ.. فأمسك بيد أطفاله ومشينا معًا وخلفنا كانت ساندرا وجوزيف.. واتخذنا مقاعدنا في

الطائرة.. وكما هي عادتي دائمًا جلسـت بجوار النافذة مثلما كنت أفعل مع عمر.. جلست ونظرت من خلف الزجاج على المطار وعلى الطائرة وهي تحلق بنا في طريقها إلى سـوهو.. وكأن قلبي هو الذي يطير ويسـبقني إلى هناك.. ليلتقي بقلب عمر.... ما زالت متمسكة بالحياة من أجله.. من أجل أن ألتقي به هناك في سوهو.. وقلبي يحدثني أن لحظة اللقاء قد اقتربت..

اطمأننت على أولادي في مجلسهم وربطت لهم أحزمة الأمان.. وأغمضت عينيَّ لأحلم باللقاء..

26
صفعـة أخـرى

مر العام الذي اتفقا عليه كفترة للخطبة سريعًا.. انجذبت فيها داليا لعمر وشعرت بالحب تجاهه.. لكنه حب خجول.. لم تنطق به.. ولم تبح به.. لأنه لم يبح بحبه لها.. كل علاقته بها كانت رسـميات وشـكليات.. صدامات أحيانًا.. ومشـاكل وخلافات في وجهات النظـر في أحيان أخرى.. أمور عادية جدًّا تحدث في زواج الصالونات.. التزم عمر الأدب والصمت التام مـع داليا.. تعامل معها بقناع عمر الأصـلي الذي كان يرتديه منذ طفولته حتى تم خدش هذا القناع بصفعة حسـين السـعداوي له.. ثم خلع هذا القنـاع تمامًا بعد لقائه بهدى ونومه معها فأصبـح وقتها يرتدي قناع عمر الأفاق المخادع..

هي أيضًا لم تتكلم كثيرًا فهي لم يكن في حياتها رجال من قبل ولا تعرف كيف تتعامل معهم.. حياتها كلها دراسة وعمل.. والآن تخرج مع رجل.. فماذا هي فاعلة؟ لا تدري..

لذلك عندما أتت الفرصة لم تعرف ماذا تفعل؟ هي الآن في ليلة عرسها.. تلك الليلة التي تنتظرهـا كل فتاة.. ترتدي ثوب زفافها الأبيض وتجلس في القاعـة على كرسي العرش.. زحام شـديد في القاعـة وإضاءة من كل جانب.. حاولت أن تتراقص على أنغام الموسيقا فوجدت نفسها لا تعرف الرقص.. هي فقط تتمايل ولا شيء أكثر من ذلك.. أما صديقاتها فقد برعن في الرقـص بكل أنواعه.. أما عمر فلم يكن في وعيه تمامًا في تلك الليلة.. فأصدقاء السوء قد أعطوا له بعض الأقراص المخدرة وأقنعوه بقدرتها على أنها تزيد من قدرته الجنسية كما أنها تمده بالطاقة اللازمة لمواصلة السهر بعد هذا المجهود في الرقص والغناء واللهو معهم في هذا الحفل.. تراقص عمر مع داليا في سعادة مصطنعة على أمل أن يستمر في إسعادها.. وشعر عمر بسعادة لم يشعر بها منذ فترة طويلة بسبب تلك الأقراص..

امتدت يدها عليه وخزته في كتفه وهو يرقص مع داليا.. فنظر خلفه ليجد عينيها تومضان بالغضب الشديد.. الحنق والحقد والويل والكراهية كلها رآها في عينيها في تلك اللحظة.. حاول أن يشيح وجهه عنها.. فالتفتت إليه مـن الناحية الأخرى.. وأصرت على أن تنظر إليه ولا تبتعد بعينيها عنه.. ورغم زحام المكان فإنها استمرت في الاقتراب منه والاصطدام به.. حتى

تلاصقـت به من الخلف في مشـهد غريب.. وحاولت أن تسـقطه أرضًا عليها.. إلا أنه تماسـك.. ونظر إلى داليا وأشار إليها أن تستريح قليلًا من عنـاء الرقص.. وأخذ بيدها حتـى عادت إلى مقعدها.. أما هو فقد ذهب مسرعًا خارج القاعة..

حاول أن يستجمع قوته لمواجهتها.. خرج حيث تنتظره هدى.. التي ما أن رأته قادمًا حتى كالت له كمية لا بأس بها من السباب وأقذع الألفاظ.. وحاولـت مروة أخته أن تهدئ من هدى بلا جدوى.. أمسـكها من يدها وأمرها بالانصراف.. إلا أنها رفضت ذلك بشـدة.. طلب عمر من مروة الدخـول إلى القاعـة مرة أخرى وتركه بمفرده مـع هدى.. صفعته هدى صفعة أخرى..

– هدى حبيبتي أهدي لو سمحتي بلاش فضايح.

– خايف من الفضايح وبس.. لكن مش همك أنا ولا إيه إللي جرالي.

– هدى إللي بينا مات وخلاص.. إحنا ولاد النهاردة.

– لا.. مفيـش حاجة ماتت.. إنت جبان.. خدت مني كل حاجة وفي الآخر سيبتني ورمتني علشان دي.. فيها إيه يفرق عني.. حبيتها ليه.. وأنا إللي قدمت لك كل حاجة.. أنا كنت على استعداد أخلف منك في وضعنا دا وماهمنيش حد.. بسهولة كدا تمشي وتسيبني..

– حبيبتي..

– هش.. متكملش.. ومتقولش حبيبتي دي تاني.. أنا مش حبيبتك.. إنت شخص قذر.. أناني.. شهواني.. مشيت ورا شهواتك وبس.. وأنا مشيت معاك للآخر.. أنا الخسرانة.. بس وحياتك يا عمر مش هسيبك.. عليَّ وعلى أعدائي.. هخربها عليَّ وعليك.. أنا هخش القاعة دلوقتي وأفضحك.. هتكلم وأقول على كل حاجة وبالتفصيل..

– محدش هيصدقك.. الناس إللي جوا دي كلها عارفة مين هو عمر.. وعارفين أخلاقه وأدبه.. وتربيته..

– لا هيصدقوني لما أقول على تفاصيل جسمك إللي محدش يعرفها غيري.. هقول على الوحمة إللي في ضهرك.. إللي محدش شافها غيري.

– ضحكتيني بجد.. الوحمة دي مصر كلها شافتها وأنا في البحر.. شوفي حاجة غيرها.. أحسن لك تمشي من سكات.. وأنا أوعدك هجيلك ونعيش تاني مع بعض.. متخربيش الليلة على أمي وأبويا ودواليا الغلبانة دي.. أحلفلك بإيه.. إنت فعلًا إللي حبيتها.. أنا مش بحبها.. دي مراتي كدا وخلاص..

– خلاص تقولها كدا دلوقتي..

– أقول إيه.. انت إتجننتي.. إمشي دلوقتي.. وأنا هاجيلك.. أوعدك..

– إنت كداب.. قولتلي توبت وسيبتني ومشيت سنة على أساس إنك توبت..

أنا عرفت إنك خطبت بالصدفة.. مش منك ولا من مروة.. ومصدقتش نفسي.. ولما سألت وعرفت كنت هأموت.. بس قلت هاسيبك لحد النهاية وأفضحك في ليلة فرحك..

– خـلاص ياهدى.. كل حاجة ممكن تتصلـح.. إهدي بقى.. الناس عينيهـا عليَّ ومنظري بقى وحش جدًّا.. سـيبيني أدخل وأنا هاصلح كل حاجة.. أنا هدخل دلوقتي وأبعتلك مروة..

تتبعته هدى بعينيها وهو يدخل ليتأبط عروسـته ويرحل مبتعدًا عنها ليبدأ هو حياته الجديدة بعيدًا عن أحضانها التي تشـتاق إليه.. وأنفاسـها التي تلهث تنادي عليه.. ولكنه لم يستمع لصوت قلبها.. ولم يتأثر برائحة عطرها.. تمنت لو كانت هي من تتأبط يده وتنام معه في الحلال.. تمنت لو اجتمعت معه لتسعده وترقص له كما كانت تفعل في لقاءاتهما.. ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.. انتظرت أن ينظر إليها بلا جدوى..

خرج عمر من القاعة ولم يلتفت لوجود هدى.. وانصرف مع زوجته إلى بيتهما.. مع دعوات من الأهل والأصدقاء.. وابتسامات تلاحقهما من كل اتجاه.. فأمسك بيد داليا وقبل جبينها ووجنتيها.. ولوحا لأهلهما وانصرفا مع وعد بلقاء جديد بعد عودتهما من شرم الشيخ..

27
عـودة مـرة أخـرى..

شرم الشـيخ.. تلك المدينة السـاحرة التي تحمل بين طياتها ذكرياتي.. حبـي الأول.. وخيبة أملي.. في آن واحد.. ها هي الطائرة تهبط الآن على أرضها ويعلن قائد الطائرة بأن يلتزم الركاب في أماكنهم ويتأكدوا من ربط الأحزمة فالطائرة على وشك الهبوط في مطار شرم الشيخ الآن.. استيقظت وأفقت من غفوتي وأحلامي القديمة التي كنت أحلمها مع عمر.. تجددت آمالي في رؤيته مرة أخرى في نفس المكان الذي كان يجمع بيننا.. تلفت حولي لأجد أبنائي يجلسون مع أبناء ساندرا.. فناديت عليهم بأن يأتوا ليجلسوا في مقاعدهم وقمت بربط الأحزمة لهم.... أيمن لم يتحرك من مكانه طوال

الرحلة.. انشغل في تدوين بعض الأشياء في مفكرة خاصة به.. رمقته بنظرة واطمأننت على هدوئه وسكينته وابتسم لي..

هبطت الطائرة وأنهينا إجراءات الدخول.. وجدت أمي وأبي في انتظاري.. احتضنتني أمي بشدة وانسالت الدموع من أعيننا.. وأمسك والدي أحفاده بجفـاوة معتادة منه.. لم يكترث لضحكاتهما.. مد يده وصافح أيمن الذي شـد على يديه ومال على أذنه ليبلغه بأن هذه الرحلة إجازة تامة فلا داعي للحديث عن العمل ولو مؤقتًا.. ابتسم أبي ابتسامة باهتة.. فلم يكن يهتم بأيمن إلا لصفقاته وتجارته وأمواله التي تتكاثر معه في مشروعاتهما المشتركة وأعمالهما التجارية التي تتيح له مصدرًا آخر من الأموال.. وتتيح لأيمن أن ينقل بعض أمواله وأعماله إلى مصر بعيدًا عن أصدقائه وشركائه هناك... فالعمل بينهما كله مصالح وفوائد لكليهما.. مشى أبي ونحن كلنا من خلفه... وأشـار أبي لأيمن أن السـيارة بالخارج تتسـع فقط لهم ولا مكان لأسرة سـاندرا.. ولكنه سيستأجر سـيارة أخرى تقلهم إلى الفندق.. لكن أيمن طمأنه أن الشركة المنظمة للرحلة قد أعدت لهم سيارة لتقلهم..

تحركت السيارت التي تقلنا خلف بعضها البعض.. وألصقت وجهي بزجاج السيارة أشاهد شرم الشيخ بشوارعها وسياراتها.. أحملق في الوجوه من حولي لعلني أجد عمر بينهم.. لم أتمالك نفسي وفرت دمعة حزينة من عينيَّ.... لم أستطع أن أخطو خطوة واحدة.. نزلت من السيارة وأمسكت بالباب ثم سـقطت أرضًا بجوار باب السيارة فاقدة الوعي.. أسرع أيمن

وحملني الى الداخل كما قص عليَّ ذلك بعدها.. ودخل إلى بهو الفندق.. وحاول إفاقتي فاستجبت سريعًا وفتحت عيني لأجد نفسي في نفس البهو الذي سقطت فيه في ليلة وداع عمر في شرم الشيخ منذ عشرة أعوام.. حاولت أن أنهض وتماسكت قليلًا وأسندت يدي على يد أيمن من ناحية ومن الناحية الأخرى كانت ساندرا تقف بجواري.. وأمي تمسك بيد أبنائى.. سألني أيمن إن كنت في حاجة للذهاب إلى المستشفى.. تذكرت تلك المستشفى الكريهة بالنسبة لي ودخولى هناك مرتين.. مرة على يد عمر والأخرى على يد أيمن.. الذي نظرت إليه فوجدته بجواري يقف نفس مكان عمر من عشر سنوات..

رفضت الذهاب إلى المستشفى وأخبرتهم أنني بخير.. وأن الأمر لا يتعدى الإرهاق من السفر والاستعداد له من عدة أيام وقلة النوم.. طلبت منهم فقط الصعود لنيل قسط من الراحة.. أخبرني والدها أن أصعد لأستريح قليلًا في حجرتهم لأنهم هنا من يومين في انتظارهم وأن إجراءات دخولي إلى حجرتنا قد تأخذ بعض الوقت.. وصعدت بالفعل مع أمي وساندرا والأولاد إلى حجرة أمي وأبي وتركت أيمن وجوزيف ينهوا إجراءات الدخول المعتادة..

تمنيت ألا أمر على نفس الأماكن التي تذكرني بعمر إلا أنني في نفس الوقت كنت أصارع نفسي وقلبي اللذين يتمنيان العكس.. يتمنيان أن يمروا على الممرات التي كنا نخطو فيها من قبل.. المصاعد.. المطاعم..

شاطئ البحر.. كل ما كان بيننا هنا.. ابتسمت أخيرًا ووضعت رأسي على الوسادة وأخلدت في نوم عميق..

بعد فترة من النوم فتحت عيني فوجدت أيمن يقف بجواري.. قبلني على وجنتي وساعدني على النهوض.. إلا أنني أظهرت غضبي لأيمن لأنه قبلني وخـرق الاتفاق المبرم بيننا أن لا يلمسـني حتى ينفذ كل وعوده.. ورغم قسـوتي عليـه.. اعتذر وتقبل هذا الغضـب إلا أنه أخبرني أنه فعل ذلك خوفًا عليَّ وأنه كان يريد الاطمئنان عليَّ فقط لا غير.. لم يكن يرغب في أي أمـر آخر.. أنا أحبك يا ليلى.. هكـذا صرح أيمن.. وهو يخرج من الغرفة ليتركني لكي أبدل ملابسي..

28
خيـانــة

تهيأت له واستبدلت ملابسها وتعطرت بالعطر الذي يحبه ثم خرجت لـه.. وما إن فتحت الباب ورآهـا إلا وقد صفق لها ولم ينتظرها لتأتى إليه بل ذهب إليها يحتضنها ويقبلها.. أمرته أن يتمهل حتى يدخلا إلى الحجرة ويمارسا الحب معًا.. وضع يده على فمها يأمرها بالسكوت فهو سينفذ كل تعلياتها ولكن عليها ألا تتكلم الآن فهو يريد أن يسمع صوت دقات قلبها.. وهمس أنفاسها.. وأمسك يدها وقبلها.. حاول أن يحملها ويدخل بها إلى الحجـرة مرة أخرى.. إلا أنها أخبرته أن يحافظ على مجهوده من أجل أمور أخـرى تحتاج لجهده.. قالت ذلك بلغة سـاحرة ونظرة من طرف عينها..

فضحك واحتضنها بشـدة وهمس في أذنها بأنه سيحملها فوقه ولكن على الفراش.. ودخلا الحجرة..

إضاءة خافتة.. ورائحة عطرها تفوح في المكان.. رداؤها الأبيض الذي يظهر مفاتنها ويضيء المكان مع حسنها ولون جسدها الأبيض مثل الرداء الذي ترتديه.. جلس على حافة الفراش وأمسكها لتجلس فوق قدميه وتقبله وتنتقل ألوان شـفتيها منها إليه.. حتى أصبـح وجهه كله مغطى بقبلاتها المصبوغـة باللون الأحمر.. حاول أن يتكلـم فأمرته هي الآن بالصمت.. فهي تريد الاسـتمتاع بالتهام شـفتيه الآن فقط.. ثم يتكلم بعدها بما يحلو له.. أو أن يفعل ما يشاء.. فهي الآن ملك له.. فزوجها سافر في رحلة عمل كما يعلم هو.. وابنتها الصغيرة في المدرسة.. والبيت كله مهيأ لاستقباله.. لم يدعها عمر تسـتكمل كلماتها.. بل احتضنها بشدة ونام على ظهره وهي فوقه تقبله بكل ما أوتيت من قوة..

نادين.. نادين.. نادي عمر عليها مرتين وهي نائمة بجواره وقد خلعت ملابسها بالكامل.. يدعوها لأن تستيقظ فلقد اقترب موعد مدرسة جوليا ابنتها وعليها أن تستعد لانتظارها.. كما أن عليها الاتصال بزوجها عادل أيضًـا للاطمئنان عليه في عمله الآن.. وعليـه الانصراف ولكنه يدعوها لختام اليوم كما كان يفعل كل مرة.. أن يتطهرا معًا من آثامهما تحت المياه في الحمام.. وأن يسـتكملا حديث جسدهما هناك حيث تتساقط عليهما المياه وتزيدهما جنونًا وولعًا وعشقًا.. واستيقظت نادين وهو يقبلها.. ويداعب

جسدها بأنامله.. فنظرت إليه وفتحت ذراعيها ليرتمي في حضنها.. واعتدلا على الفراش استعدادًا للذهاب إلى الحمام..

– إنتِ ممتعة فعلًا.. الحياة معاكِ غير أي حد.. أنا بأحسد عادل عليك..

– على فكرة إنت كداب قوي.. أكيد قلت الكلام دا لداليا ولبنات كتير قبلي..

– لا.. فعلًا.. إنت غير أي حد.. وبعدين داليا إيه إللي تقارني نفسك بيها..

– لا داليا صحبتي وأنا عارفها كويس وعارفة جسمها وجمالها..

– ويعمل إيه الجمال في جسم من غير عقل.. أو جسم من غير روح..

– بس داليا بتحبك..

– ممكن، بلاش كلام في موضوع داليا خالص دلوقتي.. إحنا اتفقنا وقتنا لينا إحنا بس.. أنا مبحبش أتكلم معاك عن داليا أو عادل أو الشغل أو أي حاجة.. أنا بتكلم معاكي عن حبنا وبس..

– صح إنت عندك حق.. طب يلا بينا على الحمام..

– بقولك إيه أنا عاوز أرسمك كدا.. وأنتى في البانيو والمياه نازلة

عليك.. هيبقى بورترية تحفة..

– لا.. كدا كتير.. وبعدين وشي هيبان وهتبقي مشكلة..

– لا متخافيش.. مش هبين وشك..

– طب سيبني أفكر.. يلا بينا بقى هنتأخر كدا وجوليا زمانها جاية ومش عاوزه حد يشوفك هنا وأنا لوحدي.. إنت كدا كدا جاي آخر النهار علشان تديها درس الرسم..

– البنت آخر النهار وأمها أول النهار.. أروح منكم فين.. يلا على الحمام.. إمشي قدامي..

– لا إنت الأول.. لأنك شقي.. مش هتسبني أمشي قدامك كدا بسهولة.. عارفة إيديك مش هتسكت.. مش هتبطل لعب..

ما إن انتهى عمر ونادين من الاستحمام حتى ارتديا ملابسهما مسرعين.. وقبلها ونزل على أمل اللقاء مساء عندما يأتي ليعطي درس الرسم لجوليا.. وكان هذا الدرس سبب التقائهما الدائم وسبب تجمعهما تحت أعين زوجها وتحت موافقة ورضاء زوجته.. فنادين صديقتها المخلصة التي دائمة النصح لها والتى كثيرًا ما تدخلت لتهدئة داليا في مشاكلها مع عمر وكثيرًا ما كانت تنصحها بالتروي والهدوء ومحاولة احتواء عمر في أزماته والمحافظة على بيتها وعدم هدمه.. وكثيرًا ما أتت نادين وزوجها لزيارة داليا وعمر في منزلهما وكثيرًا ما تبادلا الزيارات والتنزه معًا كثيرًا حتى اشتدت روابط

الصداقـة بين عمر وعادل زوج نادين.. ومـا إن علما بقدرات عمر الفنية ومواهبه حتى طلبا منه أن يساعد ابنتهما جوليا التي كانت موهوبة في الرسم ولكنهما كانا يأملان في صقل موهبتها بدروس أخرى في الرسم.. وتطوع عمر من أجل ذلك.. ووافقت داليا وعملت على تشجيعه من أجل ذلك لما تعلم من حبه للرسم فأرادت أن تقف بجواره وتدعمه في ذلك وكانت تلك نصيحة نادين لها أن تقف بجواره وتدعمه وتشـجعه ولا تهزأ به ولا بموهبته.. بل عليها إخراج طاقته على أمور يحبها حتى يتلاشى الخلافات بينهما وحتى يشـعر عمر بأن زوجته تقف بجواره وعندها سيزداد امتنان عمر لداليا وتقل المشـاحنات بينهما.. اقتنعـت داليا بذلك ودعمت عمر وشـجعته وذهبت معه عدة مرات في دروسـه لجوليـا واصطحبت معها ملك ابنتها لتتعلم أيضًا الرسـم من والدها مـع جوليا صديقتها.. إلا أن نادين كانت تخطط لما هو أبعد من ذلك.. كانت قد تعلقت بعمر وعشقته وقـررت التقرب منه وطرقت باب قلبه في أوقات أزماته مع داليا.. حتى أصبح حضنها ملاذه الآمـن.. وحصنه الحصين الذي يختبئ فيه من داليا ومشاكلها المستمرة معه.. ويهرب إليها بعيدًا عن عمله ومكائده التي يكيدها حتـى يصل إلى أعلى المناصب في العمل.. فيوخزه ضميره ويناديه صوت العقل ليخبره بأخطائه وذنوبه.. فيذهب إلى نادين يطوف حول جسـدها ويصلي في محرابها ويتعلق برقبتها يقبلها عسى أن يتوب من ذنوبه.. يغتسل معها لعله يتطهر من الذنوب الأخرى.. وينسى أن ما يفعله معها هو ذنب

وخطـأ أكبر.. يهرب من ذنب إلى ذنب ومن خطأ إلى خطيئة.. يبكي معها ويتذكر ليلى وهدى وداليا.. توقظه نادين وتمسح دموعه وتحتضنه بشدة.. تسقيه من فمها خمرًا يسكره وينسيه ذنوبه.. وتطعمه من جسدها حتى يشبع وينسـى أجسـاد الآخرين.. فيقوم من فوقها يلعن كل النساء من قبلها.. ويقسـم لها بحسـنها.. وحبه لها.. فيرى صورة عادل زوجها أمامه معلقة في حجـرة نومها.. فيأمرها أن تخفيها عنه حتى لا يـرى عينيه تنظر إليه.. يخشى عينيه حتى وهي في الصورة.. يشعر بإثم الخيانة ولكنها تمكنت منه.. أدمن نادين كما أدمن هدى من قبلها.. ويبقى قلبه معلقًا بليلى.. يخرج من بيت نادين ويعود ليلًا حاملًا ألوانه ليبدأ الدرس مع جوليا.. وعين نادين تترقبـه وتنظر إليه وتتنظر أي لحظة لتقبله قبلة أخـرى.. فهي لم ترتوِ بعد منه كما تخبره دومًا.. أنها ضعيفة أمام عينه وصوته.. وأنها دائمًا في انتظاره.. فيبتسم ويرسل لها قبلة في الهواء.. وينتهي الدرس مع جوليا ووداع نادين على أمل آخر في اللقاء بعد ثلاثة أيام..

29
تنـازل

أيام معدودات كنت أحصيها بشـغف وقلـق بالغ.. أتمنى لو انقضت مسرعة حتى أنتهي من هذا الكابوس الذي عشـته في فرنسا وتتمنيت أن أسـتفيق منه سريعًا لأعـود إلى قاهرة المعز من جديد لكـي أعيش حياتي كما كانت.. ابنـة مدللة في أسرة ثرية محبة للحياة ومحبة للجميع من حولها ومحبوبة من كل من يرها.. بدأ الكابوس سريعًا بنهاية حزينة لقصة حبي.. واسـتمرت الحياة تكيل لي الصفعات الواحـدة تلو الأخرى بزواجي من أيمن الذي جرحني في أنوثتي وجعلني أكره جسـدي الذي طالما عشقته وتمنيت لو لمسته يد من أحبه.. تمنيت لو فض الغلاف الذي فرضته حول هذا

الجسد يد من أحب.. تمنيت لو كان عمر هو من اخترق السياج الحديدى الخاص بي.. لكن أيمن هو الذي اقتحم هذا السياج.. اقتحمه وكأنه كان يغزو قرية محصنة وحصن حصين وكأنها معركة.. فهدم ذلك الحصن بآلاته الحربية وحطم كل ما فيه حتى سالت الدماء.. ثم استزاد فسالت أدمع عيني عندما رأيته في أحضان عشيقه.. حاولت أن أغفر له وأصفح عنه مرة ومرات.. وأعطيت له الفرصة تلو الأخرى ليتوب.. وكانت تلك هي الفرصة الأخيرة..

مر اليوم الأول لنا في شرم الشيخ بسلام.. بعدما سقطت في أرضية الفندق واستفقت لأحاول أن أخرج من أزمتي مسرعة حتى لا أفسد على أولادي ولا على نفسي تلك اللحظات التي تمنيتها كثيرًا وعشت من أجلها.. الآن أريد أن أستمتع بتلك الرحلة وأستعيد ذكريات حبي الذي انقضى.. كما أتمنى لو تنقضي تلك الأيام مسرعة حتى ينتهي أيمن من إنهاء كل ارتباطاته في فرنسا.. شعور متضارب أعيش فيه.. ما بين رغبتي في أن تطول إقامتنا الآن في شرم الشيخ والاستمتاع بتلك اللحظات الهانئة البريئة واسترجاع شريط الذكريات مع عمر.. وما بين العودة بسرعة إلى فرنسا لحزم حقائبنا وقطع كل الصلات بتلك البلدة التي زادتني شجنًا وحزنًا ومرارًا وألمًا..

في صباح اليوم التالي.. استيقظت على يد أيمن يمررها على خدي لإيقاظي.. فقمت مفزوعة.. وقمت بسحب الغطاء عليَّ لأغطي نفسي

وأداري ما ظهر من جسدي عنه.. نظرت بعيني أتفحص الغرفة فلم أجد أولادي معنا.. فتعجبت وسألته أين هما ولماذا هو الآن يجلس بجواري على الفراش.. ولماذا يحاول أن يلمسني.. أليس بيننا عهد ألا نتلامس حتى يفى بكل العهود..؟ قام أيمن وابتعد قليلا عن الفراش وفتح ستائر الغرفة ليتسلل ضوء الشمس من خلف نافذة الغرفة.. طمأنني على أولادنا فهما الآن في حجرة والدي..

– متقلقيش أنا مش هلمسك ولاحاجة.. أنا بس حاولت أصحيكى بهدوء وأطبطب عليكي.. إنت وحشتيني جدًّا يا ليلى.

– لو سمحت يا أيمن خلينا على اتفاقنا.

– حاضر يا حبيبتي.. يلا بينا علشان نفطر.. ونبدأ يومنا ونستمتع بإجازتنا.. مش عاوزين نفوت لحظة.. الأولاد هيتجننوا ويروحوا البحر والبسين.. وأنا عاملكم برنامج مميز جدًّا للفسح والخروجات.. هنروح سفاري وهنروح نغطس ونروح تيران ورحلة بحرية.. وفي يوم هنروح دهب نستمتع هناك يومين في الأماكن إللي بتحبيها.. هأعملك كل إللي بتحبيه وتتمنيه.. بس أرجوكي سيبنيي ألمسك.. أنا مش هأعمل أي حاجة تضايقك تاني.. أنا مجرد هلمس شعرك.. أو خدك.. أو إيدك.. أنا مش طالب كتير.. يلا هسيبك تغيري هدومك وهستناكي مع جوزيف وساندرا والأولاد..

نظـرت إليه وهو يخـرج من الحجرة.. ثم قمت مـن الفراش ونظرت من النافذة لأرى الشمس ساطعة بشدة وتضرب بضوئها وأشعتها أمواج البحر المتلاحقة أمامنا.. سماء صافية وشمس ساطعة لم أرها منذ سنوات في فرنسا حيث تغيب الشمس لشهور طوال.. الحدائق المزهرة أمام حجرتنا تزيد الحسـن حسنًا.. فتحت النافذة وسـمحت بالهواء المنعش يتسلل إلى الحجرة.. أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عيني.. تنهدت بشدة عندما تذكرته وتذكرت لحظات الفراق المريرة التي ضربت حبنا في مقتل..

أسرعت لكي أأخـذ حمامًا دافئًا وتأكدت قبل دخولي الحمام أن أوصد بـاب الحجرة جيدًا.. ثم باب الحمام أيضًا حتى لا يأتي أيمن ويراني عارية فهو يحبني في تلك اللحظة جدًّا ولا يستطيع أن يتحكم في نفسه وشهواته عندما أكون هكذا معه.. ففي كل مرة كان يأمرني أن أخلع ملابسي بالكامل ويتغزل في حسن جسدي.. يرفض أن أتغطى وأن أداري عنه أي جزء من جسـدي.. فهذا الجسد انتقلت ملكيته مني إليه بموجب عقد زواجهنا.. لذلـك فليس من حقى أن أمتنع عنه يومًا ما ولا أن أمنع عنه أي جزء من هذا الجسـد.. والآن هو الآن طائع ذليل لي.. أشـد ما ترفضه المرأة هو أن ترى الرجل ذليلًا لها.. حتى وإن كانت ترغب في ذلك.. إلا أن هذا الذل والضعف يجعل أي امرأة تكره الرجل.. فالمرأة رغم قوتها ورغبتها في المزيد من تلك القوة ترغب في أن تظل ضعيفة أمام الرجل وبالأخص إن كانت تحب هذا الرجل.. أو زوجة لهذا الرجل.. فالمرأة مهما كانت قوية هي إنسان

ضعيف في الأصل.. مخلوقة من ضلع الرجل لتظل في كنفه ورعايته..

أنهيت الاستحمام مسرعة وارتديت ملابسي وشعرت بتأنيب الضمير تجـاه أيمن الذي كان يقبلني دومًا في عنقي بعد انتهائي من الحمام وارتداء ملابـسي.. كان يأتيني من وراء ظهـري ليحتضنني ويقبلني ويطلب مني الغفران بعد عنفه معي أثناء العلاقة الحميمة.. ثم يقوم بفتح زجاجة عطري وينثر العطر عليَّ.. أمسكت الآن زجاجة العطر.. نفس النوع الذي اشتراه عمر لي من قبل ولم أشـأ أن أغيره حتى بعـد زواجي.. تعلقت بهذا النوع وأدمنته.. وأحبه أيمن لحبي له.

طرقـات الباب أخرجتني من لحظات الذكريات والأمنيات.. فتحت البـاب لأجد أيمن أمامي.. يطلب منـي أن أُسرع فلقد انتهى الجميع من الاسـتعداد للذهاب لتناول الإفطـار ولم يبق إلا أنا.. نظر إليَّ وتغزل فيَّ.. شعر بالارتياح في عيني والسعادة التي تملأهما.. مد يده وثنى ذراعه لأتأبط معـه.. فخرجت من الحجرة ووضعت يدي في يـده لأعلن له تنازلي عن شيء منعته عنه نظير ما قدمه من حسـن نيه وصدق في الوعود إلى الآن.. الآن أسـمح له بأن يلمسني وذلك لأول مرة منذ حادثة سفيان.. ومشينا معًا.. لأرى ساندرا تلوح لي وتبتسم..

هيا يـا ليلى.. ناديت ابنتي ليلى الصغيرة.. لأمسـك يدها للذهاب إلى المطعم.. وقبلت عمر واحتضنته.. نظرت لي أمي وساندرا ومشيا خلفنا.. ومن بعدنا كان أيمن وجوزيف يتابعان الموقف ويتحدثان عن روعة المكان

وعن سعادة الجميع بهذه الإجازة والتخطيط الجيد لها.. وكان أيمن أكثرهم سـعادة لما رآه من سـعادة في عيني أنا والأولاد.. أسرع أيمن ليلحق بنا.. حمل صغيرته وأمسك يدي ومشينا معًا..

30
خطوة من أجل الانتقام

قبلـت يده تتوسـل إليه ألا يرحل ويتركها.. إنها تحبه وقدمت نفسـها إليـه بكل طيب خاطر.. لم ترفض أي طلـب له حتى وإن كانت ترتمي في أحضانه بعيـدًا عن أعين الناس.. في بيتها في بيته في أي مكان كان يطلبها كان يجدها زوجة له بدون أوراق وبدون عقد وإشـهار.. لكنها وهبت له نفسـها.. لم تندم على أي فعل فعلته معه في ذلك لشـعورها أنه لا ندم ولا وزر بينهما لأنها تحبه ترى أنها من أجل حبه ومن أجل استمرار هذا الحب ومـن أجل المحافظة عليه تفعل ذلك بـدون أي مزايدات أو مجاملات أو أي رفض لأي أمنيات كان يتمناها عمر.. عليه أن يحلم ويتمنى فقط وهي

عليهـا التنفيذ.. هو يأمر وهي تلبي النداء بالسـمع والطاعة.. في كل مرة كانـا يبتعدان ويفترقان كانت تقاتل من أجل العودة إليه والتمسـك به.. تعتـذر حتى وإن كانت غير مخطئة.... تبتسـم وتضحك حتى وإن كانت مـن داخلها تبكـي وتحترق.. المهم ألا تفقد عمـر ولا تفقد حبه.. واليوم يأتيهـا لينهي العلاقة معها.. أخبرها أنه لن يسـتطيع أن يخون زوجته مرة أخرى.. وأنه قطع عهدًا على نفسه بذلك.. أن الحياة بينهما انتهت ولا مجال للتراجع في ذلك.. لم تسـتوعب الكلام ولم تتقبله أحسـت بصدمة هائلة وزلزال يهدم أسوار حياتها بالكامل.. لم تشعر بنفسها إلا وهي ترتمي على قدمه تقبلها عسى أن يتراجع عن هذا القرار.. إلا أنه دفعها بقدمه وأصر على الرحيل..

خرج مسرعا بعد أن وضع قطعة صغيرة من المخدرات في حقيبة يدها وتركها تبكي.. وأخرى أسفل الفراش.. وكانت تلك خطته البديلة.. الإبلاغ عنها ليطوي صفحتها من حياته وحتى لا تطارده بعد ذلك.. عاد إلى زوجته يبتسم وكأن شيئًا لم يحدث.. خيانة ثم انتقام.. ثم اختباء في أحضان زوجة تكن له كل الاحترام والود.. حتى وإن كان الحب بينهما مفقودًا..

وهكذا أنهى عمر قصته مع هدى وأغلق تلك الصفحة وراءه وعاش مع زوجته لا يؤرقه ضميره الذي دفنه وقت أن تركته ليلى ورحلت.. واستمرت الحياة بينهما.. لم تدرك داليا يومًا أن عمر كان يخونها مع هدى.. أو أنه يخونها الآن مع نادين.. تقلب عمر بين أحضان هدى ثم داليا ثم نادين.. نهل من

أجسادهن.. وأخلصن الثلاث له.. كل منهن أحبته بطريقتها وكل منهن أخلصت له في حبها وكلهن تمسكن به.. وبذلن عطاءً غير محدود له.. إلا أنه لم يتمنَ سوى حضن ليلى.. وعشق ليلى.. ولم يخلص إلا لها..

أنهى صفحة هدى ليطوي الماضي ويعيش الحاضر مع داليا.. وارتمى في حضن نادين عندما وجد فيها المستقبل واستشعر الملل والرتابة من حضن داليا.. لم تشعره داليا بالحب الذي افتقده من أيام ليلى... ولم تتملكه بجسدها الذي قارنه بهدى فخسرت.. فكانت زوجة مطيعة هادئة حتى في انفعالاتها الجنسية وإيحاءاتها.. لم تشبع غريزته ولم تسيطر على شهواته.. فوجد نادين تناديه بجسد كله أمل وحياة ورغبة.. فارتمى في حضنها وخاصة أن زوجها أصبح صديقًا له.. عادل.. ضابط مباحث يغيب كثيرًا عن منزله ويعمل بعيدًا عنه.. فوجد فيه ضالته.. شخصًا سيساعده في الانتقام من حسين السعداوي.. تلك هي السلطة التي يبحث عنها.. فهو لديه معلومات ويريد أن يوثقها وأن يوقع بحسين السعداوي رسميًّا.. وعادل هو أنسب شخص لتلك المهمة.. سيهيم عشقًا في نادين ويتقرب إليها وإلى زوجها أكثر فأكثر..

تجمعت لديه بعض المعلومات عن والد ليلى.. حسين السعداوي وعن تهربه الضريبي وعن مشروعاته المشبوهه.. تجارة ومقاولات.. وعقارات وأراضي.. وثروة تزداد يومًا بعد يوم.. إلا أن المفاجأة كانت في خط إنتاج وتصدير بعض الملابس القطنية المصرية إلى فرنسا عندما علم أن شريكه في

هذه التجارة هو أيمن عبد العليم.. الذي بحث عنه وعن علاقته بحسين فعلم أنه زوج ابنته.. زوج ليلى حبيبته.. حينها علم أن القدر يخبئ له مكافأة كبرى.. وأن انتقامه من حسين سيكون مزدوجًا.. انتقام منه ومن أيمن.. سيدمر حياة حسين وحياة زوج ليلى.. سينتقم لقلبه وحبه.. أجري بعض الاتصالات بصديقه عادل الذي كان يمده بتلك المعلومات ويتعاون معه للإمساك بقضية مهمة ستهز الرأى العام كله.. فها هو حسين السعداوي أحد أباطرة تجارة الملابس وأحد أباطرة الأراضي والمقاولات سيقع بين يديه.. قضية ستهز أيضًا الحزب الحاكم الذي تشوبه بعض روائح الفساد من حين إلى آخر.. أعطى تلك المعلومات إلى مروة أخته التي تعمل بإحدى صحف المعارضة التي بدأت في الإعداد لحملة كبرى ضد فساد المحليات وفساد رجال الأعمال وتزاوج المال بالسلطة.. ضربة قاضية سيوجهها للجميع..!

زيارات عديدة قام بها لمواقع حسين.. وزيارات أخرى لمكتب عادل الذي كان يستمع إليه في إنصات واهتمام.. خطة ثلاثية وضعها عادل وعمر ومروة وبدأت الحملة..

رجال أعمال وأعضاء الحزب الحاكم يستولون على أراضي الدولة بدون مقابل.

عقارات تبنى وثروات تجنى وتهرب ضريبي.

أين الرقابة وأين حق الدولة؟

الفساد يسري في جسد الدولة المترهل.

كانت تلك عناوين الصحيفة كل يوم.. ابتسامة النصر تعلو وجه مروة وعمـر.. واتصالات عديدة من المسـئولين في الدولة لمحاولة وقف تلك الحملة عليهم.. وتهديدات بإغلاق الصحيفة..

اجتمـع عمر وعادل ومروة في منزل عمر لمناقشـة تطـورات الموقف وجلسـت معهم داليا تشـاركهم الحدث.. كان انفعال عمر واضحًا وهو يواجـه عادل الذي أمرهم بالتوقف لشـعوره بوجود خطر على حياتهم.. إلا أن عمر رفض ذلك بشدة وأعلن لعادل أن هذا هو حق الدولة وعليها أن تسـتعيده.. ابتسمت داليا وشعرت بالفخر من تصرف زوجها ولكنها خافت عليه وعلى مستقبله.. أخبرته أن يستمع لصوت العقل صوت عادل لأن السـلطة الحاكمة الفاسـدة لن تقف مكتوفة الأيدي بل سـتقاتل من أجل الحفاظ على مسـتقبلها ومكتسباتها.. أخرجت مروة جهاز الحاسب الآلي الخاص بها وفتحته لتقرأ عليهم المقالات الأخرى المعدة لاسـتكمال تلـك الحملة.. إلا أن عـادل كان حازمًا وقرر إنهـاء المغامرة واقترب من أذن عمـر وهمس له.. إن ما تفعله ليس مـن أجل الدولة بل هو من أجل الانتقام لنفسك.. ونهض عادل وأنهى الحوار وأخبر عمر أن عليه أن يأتي غدًا للتشاور حول كيفية أن يقدم بلاغًا ضد حسين السعداوي حتى تسير الأمور في نطاقها الطبيعي والرسـمي.. نظر إليه عمر راجيًا منه أن يتمهل

قليلًا فالقضية تفجرت والجبل اهتز وقريبًا سينهار حسين السعداوي.. فها هي لحظات سعادته ونصره على حسين قد اقتربت..

خرج عادل.. وتعلقت أعين داليا ومروة بعمر.. الذي وضع يديه فوق رأسه وأغمض عينيه وجلس صامتًا.. حاولت مروة أن تتحدث.. فأشار إليها بالصمت.. ولم تشأ داليا أن تتكلم معه في تلك الحالة فهي تعرف رد فعله عندما يدخل في نوبة حزن أو شعور بالهزيمة التي يرفضها..

لم تشأ داليا أن تناقشه في أمر انفعاله وإصراره على الإيقاع بحسن السعداوي ولماذا القتال حول هذا الشخص دون غيره؟ كثيرًا ما كان يقنعها أنه يعرفه مسبقا ويعرف فساده وأنه يحارب من أجل مستقبل أفضل لمصر كلها.. أخبرته مرارًا أن يبتعد فهو ليس مطالبًا بتحقيق العدل لمصر كلها.. هي فخورة به لقتاله من أجل الحق والعدل.. لكنها خائفة عليه من هؤلاء الآباطرة الذين يتحكمون في البلاد..

نهض عمر بعد لحظات وتركها ليغسل وجهه ورأسه بماء بارد لعل الماء يطفئ النار التي في قلبه ورأسه.. نظر إلى نفسه في مرآة الحمام وأعلن رفضه للاستسلام.. أعلن لجوءه إلى هدنة قليلة.. وإجازة يستريح منها من ضغوط العمل والحياة والصراع المستمر من أجل الإيقاع بحسين أو من أجل مصادقة عادل.. قرر أن يذهب إلى شرم الشيخ محبوبته.. عله يتنفس ريح ليلى.. ويشم عطرها.. قرر أن يصطحب عشيقته معه.. سيذهب مع زوجته وأولاده.. ونادين وزوجها صديقه.. سينام في حضن داليا ويتغزل

في نادين ويختلس لحظات معها من زوجها في أوقات العشق الممنوع والحب المحرم الذي أدمنه.. ويبحث عن ليلى في موطن ذكرياتهم..

خرج إليهن يزف لهن هذا الخبر السعيد.. ضحكت داليا ونادت أولادها لتخبرهم بتلك المفاجأة السعيدة.. صافحتهم مروة وأعلنت له أنها ستبلغ إدارة الصحيفة باعتذارها عن استكمال الحملة.. طمأنها عمر وأبلغها أنها مرحلة جديدة من مراحل القتال.. فرصة لالتقاط الأنفاس لمواصلة القتال مرة أخرى.. وستكون شرم الشيخ أرض الهدنة.. والهدوء.. والبحث عن الحب المفقود.. عن ليلى.. حل يرضي جميع الأطراف.. هذا ما اقتنع به عمر وعمل على إقناع كل من معه به.. وبدأ في تنفيذه..

31
حسين السعداوي

الحل بسيط ولا داعي للقلق.. دع تلك الأمور البسيطة لا تشغل حيزًا كبيرًا من تفكيرك.. نحن نسيطر على الأحداث وعلى البلد وعلى كل شيء.. انطلق أنت واهتم بزوجتك وأولادك واترك تلك الأمور لنا ونحن قادرون على حلها.. ما هي إلا مناوشات من المعارضة وبعض الصحف الصفراء وبعض الشباب المتهور الذي سأكتشفهم بعد قليل وانتهى منهم بعد أن نعود من شرم.. الآن دعنا نستمتع بتلك الأيام القليلة.. انظر إلى الطبيعة من حولك.. المياه النقية والسماء الصافية.. ها نحن في هذا المركب الخاص بي في وسط البحر بالقرب من خليج العقبة وجزيرة تيران.. وغدًا سنذهب

إلى محمية رأس محمد.. ليلى تحب تلك المناطق بشـدة.. حاول أن تستمتع معها واتركها قليلًا تمارس هواياتها المفضلة في الغوص في تلك المحمية.. ولا تقلق عليها فهي سـباحة ماهرة.. سأترك لكما هذا اليخت غدًا لتذهبا به.. سيكون معكما مرافق للقيادة وآخر للإنقاذ.. اذهبا أنتما فقط ولا داعي لوجودنا أو وجود جوزيف وساندرا معكما.. أريد منك أن تمتع ابنتي وتجعلها تفرح قليلًا.. لا تجعلها تحزن.. أرى بعض الحزن والدموع في عينيها.. هي لا تتكلم وأنا لا أتكلم معها في أمورها الخاصة.. ولكنها ابنتي أخاف عليها من أي مكروه.. ومستعد لقتل من يؤذيها.. تذكر ذلك جيدًا..

استمع أيمن لتلك الكلمات جيدًا وهو ينظر في عيني حسين السعداوي التي كانت نظراته صارمة وكلماته واثقة لم يهتز بما حدث مؤخرًا من حملات تشنها عليه صحف المعارضة وتتهمه بالفساد.. كان أيمن يبدو مهتزًّا وقلقًا.. فها هو يخوض حربًا في فرنسا ضد أصدقاء السوء ويأتي إلى مصر للاستمتاع مـع زوجته وأولاده في إجازة ليجـد حربًا جديدة أخرى في مصر.. وكأن الماضي يطارده في فرنسـا والحاضر يطارده في مصر.. اسـتند أيمن بظهره إلى حافـة المركب.. يتأمل جمال الطبيعة والمنطقة السـاحرة التي أتى إليها صهره العزيز وشريكه حسـين الـذي أراد أن يتحدث معه بعيدًا عن ليلى وأبنائهم.. حديث الشركاء معًا حول التجارة والشراكة التي بينهما.. ولأول مرة يشـعر أيمن ببعض الخوف والاهتزاز.. خوفًا من أن يفتضح أمره في فرنسا وخوفًا من أن ينهار صرحه الذي بناه مع صهره هنا في مصر.. القلعة

والحصن التي ارتمى إليها ليحتمي من الزمان ويؤمن مستقبله معه.. ها هو هذا الحصن يهتز الآن.. شائعات ربما مثلما يقول حسين ولكن أيمن يدرك أنها حقيقة.. مناوشات يعلم ذلك أيمن جيدًا ولكنه يدرك أن المثل القائل (العيار إللي مايصيبش يدوش) مثل صحيح تمامًا.. يدرك أن تلك الحملة ستفتح أبواب جهنم على حسين لأن السياسة قذرة دائمًا وأن المسئول الذي يكثر الكلام حوله ويكون سببًا للمشكلات لأي نظام حاكم هو أضعف حلقة في هذا النظام وأنهم قد يطيحون به في أي وقت وبالتالى سيكون هو أيضًا في مواجهة خاسرة معه أيضًا.. لم يشأ أيمن أن يبدي مزيدًا من القلق لصهره.. واقترب منه وهو يقود المركب ببراعة.. وضحك صهره وأشار إليه أن يحاول أن يقود مكانه ولكن أيمن رفض وصرح له أنه لا يعرف قيادة اليخوت.. نهره حسين وأخبره أنه لا يحب كلمة: لا أعرف..

عليك أن تحاول وتتعلم وتصبر وفي الآخر ستتقن وستصل إلى هدفك..

أدرك أيمن أنه لامجال للمقاومة والرفض مع حسين العنيد الذي يرفض أن يثنيه أحد عن قراره أو أن يرفض أحد له طلبًا أو أمرًا.. أو أن يجادله أحد في مشورة ما.. فهو دائمًا على حق.. وعلى صواب كما يخبر الجميع عن شخصيته.. تقدم أيمن وأمسك بالمقود لليخت وحاول مرة وأخرى حتى نجح في الوصول بالمركب أخيرًا إلى الشاطئ.. فوجد الجميع في انتظاره يصفقون له.. قفز مسرعا واحتضن ليلى التي نظرت إليه باستغراب فلم تعتد

على فعلته تلك من قبل أن يحتضنها أمام أهلها وأولادها وأصدقائها لأنها لم توافق على ذلك من قبل.. كما أنها كانت قد اشترطت عليه في شروط الهدنة والصلح بينهما ألا يتلامسا ويحتضنا بعضهما هكذا إلا بعد الوفاء بجميع وعوده وعهوده.. ولكنها لم تشأ أن تخذله أمام الناس.. فتقبلت هذا الحضن والقبلة التي طبعها على جبينها.. ولم تحاول أن تهرب من بين يديه.. فهمس في أذنها أنه يعد مفاجأة لها في الغد.. وفي الليل كانت ترقص معه بين أحضانه تقدم له تنازلًا آخر في سلسلة تنازلاتها التي بدأت منذ أول أيام التعارف بينهما واستمرت في أيام الزواج والمعارك الطاحنة بينهما في فرنسا.. حتى وهي في لحظات انتصارها عليه وتنازله لها عن بعض من كبريائه وكثير من جبروته ونفوذه واستسلامه لها في معاهدة الصلح بينهما.. إلا أن هذا النصر لم يستمر طويلًا فها هي الآن تتنازل مرة أخرى وتسمح له في شرم الآن أن يمسك يدها ويقبلها مرة.. ثم يحتضنها بعد وصوله على الشاطئ ويقبل جبينها.. والآن يحتضنها ويرقص معها.. بل ويرغب في المزيد.. يداعبها وهما يتراقصان.. يلامس جسدها أكثر وأكثر.. ترى عينيه تنادى جسدها وشفاهه تطلب الصفح من شفتيها.. يقترب منها ويحاول أن يقبلها فتبتعد برأسها إلى الخلف.. يجذبها من يدها برفق.. تتمايل بشدة مع أنغام الموسيقا الصاخبة في نفس المكان الذي ألقت فيه خطبة الوداع لعمر.. تنظر بعينيها تجوب المكان كله لعلها تجده.. نفس الديكورات كما هي لم تتغير إلا قليلا رغم مرور تلك السنوات.. الصور القديمة في موضعها والزائرون يقفون

أمامهـا لالتقاط بعض الصـور التذكارية.. الصخـب في المكان كما هو.. موسيقا الروك الصاخبة يعلو صوتها في المكان الذي كان اختيارها للموافقة على قبول دعوة أيمن لها على العشـاء.. أراد هو مكانًا آخر أكثر رومانسية ووافقت هي على العشـاء في أحد مطاعم الفندق ولكن أعلنت أن مكان السهرة والرقص سـيكون من اختيارها.. ووافق أيمن على طلبها.. الآن هـو يتنازل من أجلها.. وتنازل آخر لهـا بعدم تناوله للخمور رغم امتلاء المكان بها.. ينظر إلى زجاجات الخمر المتراصة أمامه.. والكاسات التي تملأ وتفرغ وهو يحاول أن يتمالك أعصابه.. رأت كل هذا في عينيه.. وأخبرته أنها تقدر تضحياته لها.. وقبلته هي.. تنفس نفسًـا عميقًا واحتضنها بشدة وهما يتراقصان في وسط المكان.. التف الجمع حولهما يصفقون لهما بشدة.. وتوقفت الموسيقا وأضيئت الأنوار عليهما فقط فأخذا يحييان الجمع وقررا الانصراف.. وفي داخلهما رغبة لبدء صفحة جديدة.. رغبة في لقاء حميمي بشـوق ولوعة السـنوات التي مضت.. فانطلقا إلى الفندق لإطفاء جذوة الشوق المشتعلة.. ونار الجسد الموقدة.. وكل منهما يمني النفس بلقاء عشق جديد.. تلتقي فيه الروح مع الجسد.. لقاء تتلامس فيه الأيدي والشفاه.. يبدأ بقبلة وينتهي برعشة جسد..

32
صراع الذكريات

ارتعش جسـدها وانتفضت بشدة وعلا صوت أنفاسها وأشارت إليه أن يستمر.. نادته بكلمة أحبك.. تقلبت في الفراش وعدلت من وضعها مرة بعد الأخرى.. ملكته نفسـها وأعطته المزيد والمزيد من القبلات ومن الأحضـان.. وتركته يلهو في أنحاء مملكة جسـدها كيفما يشـاء يتوغل في كهوفها.. ويتسلق هضابها.. وينهل من منابعها.. يمتطيها كجواد في سباق محموم.. ويزيد الضرب على مؤخرة هذا الجواد حتى يسرع في السـباق.. ثم يتذكر أنه قد قسـا عليها فيقبلها قبلات حانية.. ثم يداعبها مرة أخرى في هدوء ويتركها هي الأخرى تلهو في مملكة جسده وتنهل منه وتتحسسه

جيدًا بكلتا يديها وكأنها لأول مرة تراه على هيئته هكذا عاريًا..

وهو كذلك يحتضنها بشـدة ولا يصدق أن داليا عارية أمامه تمامًا فهي كانت تأبـى أن تفعل ذلك منذ زواجهما منذ عشرة أعوام.. وها هي الآن تفعل ذلك في الليلة الأخيرة لهما قبل السفر إلى شرم الشيخ.. وكأنها تذكره بوجودهـا في حياته جسـدًا وروحًا.. نام على صدرهـا وهي تحيطه بيديها ورأسـه أسـفل ذقنها وتذكر أنـه بالأمس كان ينام مع نادين في مثل هذا الوضع تمامًا..

تحسـس داليا وقارن بين جسدها وجسد نادين.. لم يجد فرقًا كبيرًا فهما في مثل الطول تقريبًا وإن كانت نادين أطول قليلًا.. أما عن امتلاء الجسد فداليا أكثر امتلاء ولكنه فرق ليس كبيرًا.. وإن كان صدر نادين مسـتديرًا أكثر من صدر داليا الذي يميل للأسـفل قليلًا.. وضع يده على مؤخرتها التـي كانـت دائمًا تثيره وهو يعلـم تمامًا أن مؤخرة داليا أكثـر إثارة له من نادين.. ما لبث أن استقرت يداه على هذا الوضع ودخل في غفوة قليلًا.. دار حديث بينه وبين نفسـه عما يفعله في حياته الآن.. ها هو زوج لامرأة تحبه وتعشقه كما تقول له داليا دائمًا.. وعشيق لنادين التي تحبه بشدة وتخون زوجها وطفلتها من أجله.. ويا للعجب سيذهب معهن غدًا إلى شرم الشيخ ليبحث عن حبه القديم..

فهل يعقل أن يتعلق قلب وعقل رجل واحد بثلاث نساء..؟

تركته داليا وقامت لتغتسل وتكمل استعدادت الرحلة ونام عمر قليلًا ثم استفاق على صوتها وهي تصرخ عليه أن ينهض للاستعداد للسفر..

طـوال الطريق حاول أن يبتعد بنظره عنهن لا ينظر في عين داليا أو في عين نادين.. يرتدي نظارته الشمسية بعدساتها الغامقة.. يجلس بجوار عادل ولا يسـتدير إلا قليلًا حتى لا ينظر إليهن وهن يجلسـن بجوار بعضهن.. داليا ونادين الصديقتان وهو يـخون تلك الصداقة وتعاونه نادين في ذلك.. أحاديث جانبية بين النسـاء حول الموضة والمطبخ والمدارس والأطفال لم تنقطع الحـوارات بينهن وهـو يتعجب من قدرة نادين على الاسترسـال والحديـث مع داليا وهـي الخائنة لها.. لكنه تذكر أنـه خائن لها هو الآخر ومـع هذا ينام معها ويقبلها ويتحدث إليهـا.. والآن يجلس بجوار عادل وهو خائن له كذلك.. يتحدث معه في أمور السياسة والكورة والسياحة في شرم والتخطيط للسفر إلى أماكن أخرى بعد ذلك..

مـا إن توقفت السـيارة أمام الفندق الذي حجز فيـه عمر للإقامة إلا وكانت الذكريات تتصارع داخل عقله وتومض بشدة وتأمره بالانصياع الكامـل لها.. فهنا كانت ليلى تمشي وهنا كانا يتحدثان وهنا التقطا الصور مع أصدقائهم.. تلك الصور التي ما زال يحتفظ بها في ألبوم خاص يأتي به كل مـرة يأتي إلى شـرم.. تنفس بعمق فوجد ريحها موجودة في المكان عطرها الفواح يغزو أحاسيسـه ويداعب أنفه.. هذا العطر الذي اتفقا عليه معًا.. واشـترياه معًا.. هذا العطر الذي أحباه كلاهما وتعاهدا على أن تسـتعمله

ليلى بانتظام وهي لم تخلف وعده يومًا ما.. ورغم وجودها في فرنسا ووجود أفضل العطور فإنها لم تغير هذا العطر.. ورغم الهدايا من العطور الأخرى التي أهداها لها أيمن فإنها استمرت على استخدام هذا العطر.. وها هو الآن بعد مرور تلك السنوات يجد رائحة هذا العطر تفوح في المكان.. فهل هي موجودة هنا..؟، هل تتحقق أمنيته ويراها مرة أخرى..؟ لاحت له ساندرا في مخيلته.. عليه الاتصال بها.. لعلها تخبره بأمر ليلى.. نادت عليه داليا ليخرج من تلك الحالة ويدخل إلى الفندق لاستكمال إجراءات الدخول.. نظر إليها باسمًا وتذكر أنه ما زال واقفًا يتأمل الفندق من الخارج وهم كلهم بالداخل.. مشى خطوات بطيئة ودخل الى الفندق.. فكر لو يسأل عن اسم ليلى بين النزلاء ولكنه لم يفعل.. خوفًا من أن يجدها فعلًا ويحدث بينهما لقاء يتمناه ويخشاه في نفس الوقت..

انطلقت المجموعة تضع حقائبها في الغرف وتستعد للانطلاق نحو الشاطئ والمرح يعلو الوجوه كلها.. اختلست نادين نظرة لعمر وأشارت إليه تسأله عما به.. أشار إليها بعلامة النصر بما يعني أنه بخير.. وأدار وجهه منصرفًا مع زوجته التي يؤنبه ضميره الآن لخيانتها.. أدرك الآن أن عليه ألا يخونها هنا على الأقل.. عليه أن يلتزم معها ويحافظ عليها ولو قليلًا.. عليه أن يراعيها هنا ويجعلها تشعر بأنوثتها ووجودها في حياته.. لقد أوجعه تأنيب الضمير كثيرًا وقرر أن يتوب هنا في شرم الشيخ.. قرر أن يقاوم شيطانه حتى بعد أن أتى بعشيقته هنا معه.. ولكنه استفاق على وقع نبض قلب

داليا بالأمس وهي تحتضنه.. اقترب منها بالأمس بشدة واستمع لصوت همسها وصوت قلبها وهي تقسم بحبها له وتعتذر عما اقترفته من أخطاء سابقة في حقه.. نظر إليها وهي تنتظره مع أولاده على باب غرفتهما ليبدأ يومهما.. قبلها وقبل أولاده وأقسم على أن يبدأ حياة جديدة مع زوجته بعد أن يعودا من شرم.. هنا سيودع الغدر والخيانة.. حفلة وداع مع نادين ليتركها كما ترك هدى من قبل.. وحفل استقبال لداليا لتبدأ معه حياة من جديد.. ولكن بعد أن يبحث عن ليلى هنا فإن وجدها سيترك الجميع من أجلها وإن لم يجدها فستبدأ حياته الجديدة مع زوجته..

التقت عين نادين بعينه وهما في طريقهما إلى الشاطئ.. وحاولت أن تتقرب منه وتتلامس معه.. داعبت يده في كل مرة تطلب منه أن يعطيها بعض الأدوات.. نظر إليها وهي ترتدي لباس البحر وتنزل إلى المياه وتشير إليه أن يأتي فزوجها لا يحب البحر وسيلعب على الشاطئ.. أشار إلى زوجته أن تنزل معه ومع نادين لكنها رفضت وأعلنت أنها ستجلس هنا تستمتع بالشمس والهواء وهذا يكفيها.. حاول أن يأخذها معه حتى لا تتملك منه نادين إلا أنها أصرت على الرفض.. حاول أن يقاوم شيطانه وشيطان نادين التي ستداعبه في المياه وستتحسس جسده فهي تمني نفسها بلقاء حار يجمعهما معًا هنا.. والبحر قادر بأمواجه على تحريك العواطف والأعضاء.. وإضفاء مزيد من الإثارة والتشويق والإغراء.. لكنه أقسم على المقاومة فعقله الآن مشتت في البحث عن ليلى.. لعله يجدها هنا فتنتزعه

مـن آثامه ومن شروره.. وتعيد إليه الحياة.. وهي كل الحياة.. وهي طوق النجاة الذي يتمناه.. وسيبدأ في البحث عنه..

33
شبح سفيان

حاول أن يكون مختلفًا في تلك المقابلة وهذا اللقاء.. حاول أن يكون رومانسيًّا ويبتعد عن العنف والسادية كما كانت تصفه دائمًا.. الآن هي الفرصة الأخيرة له ليثبت لها أنه يستطيع أن يبادلها حبًّا بحب.. أن يثبت لها أنه يحبها لنفسها وليس حبًّا لجسدها فقط لاغير.. تركها تقدم نفسها له وقبل منها ما قدمته.. وبدأ يداعبها بقبلة حانية ثم مداعبة شعرها وقبله أخرى خلف أذنها.. مع محاولة ضمها إلى صدره برفق وحنان كما كانت تتمنى منه دائمًا.. تعامل معها كما تحب وكما تريد.. أدرك أن لها احتياجات ورغبات وأمنيات حتى في العلاقة الحميمية فحاول اليوم أن يصل إليها

كما ترغب.. أن يكتشفها في هدوء وأن يدعها تحب تلك العلاقة.. اليوم هو الأول لهما بصراحة وبدون خوف أو عنف.. بدون أنانية.. كل منهما يحاول أن يعطى الآخر ما يريد.. لكنه اليوم سيجعلها هي التي تتحكم في العلاقة كلها وأن تبدأها وقتما تريد وتنهيها وقتما تريد.. وهو ما أدركته ليلى فبدأت في تقبيله بشدة والاقتراب منه أكثر فأكثر.. حتى انهارت مقاومتها تمامًا وخلعت كل ملابسها ودعته ليأتيها.. إلا أنه لم يستطع.. فلقد أتى شهوته مبكرًا.. شعر بحرج شديد فلم يقوَ على الاقتراب منها بعد المداعبة والملاطفة والقبلات والأحضان.. خارت قواه عند هذا الحد ولم تنفعه فحولته ولا المقويات والفيتامينات التي كان يتناولها في السابق للإتيان بها.. الآن أدرك أنه كان يأتيها بعد مداعبة سفيان له.. كان يأتيها بعد أن يستفزه سفيان وينهك قواه بالملاطفة والمعاشرة.. أدرك أن حياته مع سفيان كانت سببًا لعنفوانه معها.. إنه ضعيف جدًّا أمام جسدها.. خارت قواه وبكى.. ارتمى بجوارها على الفراش يبكي حظه التعس.. بل هي من تبكي حظها التعس وتضمد جراح جسدها الذي أنهكته المقاومة أعوامًا وعندما انهار وخارت قواه واستسلم له وأعلن ثورته وظمأه ورغبته في الملاطفة والمعاشرة.. لم يجد من يطفىء تلك النيران المشتعلة به.. هي من تلعن نفسها الآن.. أما هو فلا يلومن إلا نفسه فقد تحول إلى شبح رجل.. شخص مريض لايقوى على معاشرة زوجته دون أن يعاشره رفيقه.. يتلذذ بالجماع مع رجل مثله ثم يذهب لينتقم من نفسه في شخص زوجته التي

يحاول معها أن يبرهن لنفسه أنه رجل ويحيا حياة طبيعية ويقوى على معاشرة النساء.. لذلك كان يذهب إليها دائمًا مسرعًا بعد انتهاء سفيان من معاشرته.. يذهب إليها مشحونًا بطاقة سلبية بالإضافة إلى شحنة أخرى من المخدرات والخمور فيجد نفسه فاقد الإدراك لما حوله.. ينهل منها بشدة وبعنف حتى يسيل الدم منها أحيانًا.. ثم يتركها بعد أن يقضي حاجته ويشبع غروره ولا يدرك أن كانت قد استراحت أم لا.؟ واليوم عندما جاء ليتوب.. وحاول أن يعيش حياة طبيعية وجد نفسه لا يستطيع..

انتفضت ليلى كما يحدث لها في كل مرة.. ترتعش دون أن تشعر بلذة تلك الرعشة.. وبكت كما تفعل كل مرة ولكنها الآن تبكي وهو أيضًا يبكي.. احتضنته وقبلت رأسه وقالت له لا تحزن لابد أنك مرهق قليلًا ومتوترًا.. ودعنا نرتاح قليلًا ولنحاول مرة أخرى فمازال الليل كله ملكا لنا فالأولاد في حجرة أمي التي أصرت على اصطحابهما معها حتى تهيأ لنا الجو المثالي لعروسٍ في ليلة زفافها.. لم يستطع أن يرفع رأسه وينظر إليها.. أومأ برأسه خجلًا وقبل يدها.. وأعلن أسفه لها.. أخبرها أنه هكذا دائمًا يبدأ مسرعًا وينتهي مسرعًا قبل أن تصل إلى ذروة نشوتها.. أبلغته ألا يعتذر يكفيها محاولته هذه المرة ورغبته الحقيقية في التوبة والعلاج.. يكفيها ما قدمه من قرابين من أجلها.. حاول أن ينهض يبحث عن سجائر ليدخنها.. إلا أنها سحبتها من يده وطالبته ألا يتوتر.. وينتظر قليلًا.. بل وطلبت منه المحاولة مرة أخرى في وضع آخر وفي مكان آخر.. أخبرته أن يأتي معها إلى الحمام

ويحاولا هناك مع تساقط المياه عليه وعلى جسدها سيؤدي ذلك لإثارته.. ابتسم أيمن واحتضنها.. ومشيا معًا إلى الحمام في محاولة أخرى.. إلا أن تلك المحاولة قطعها رنين هاتفه.. فخرج مسرعًا من الحمام ليجد رقمًا من فرنسا يتصل به.. إنه المحامى يخبره بتطورات قضية مقتل سفيان وأن أصابع الاتهام بدأت في الإشارة إليه وأن عليه أن يأتي مسرعًا لاستكمال إجراءات التخارج وتصفية شركاته حتى يهرب من فرنسا مسرعًا..

أدخلت تلك المكالمة مزيدًا من التوتر عليه.. ولكنها لم تمهله.. نادت عليه في الحمام ليأتيها مسرعًا.. فهي في أشد الاشتياق إليه.. مشى أيمن بخطوات مسرعة والماء يقطر من عليه في الحجرة ودخل عليها الحمام محاولًا مرة أخرى.. ملكته نفسها وحاولت مرة بعد الأخرى إلا أنه لم يستطع هنا أيضًا.. أعلن أيمن استسلامه وخرج مسرعًا.. وجلست هي تتحسس جسدها أمام المرآة وتتذكر عمر لو كان معها الآن لارتوى هذا الجسد المبتل.. الذي سئم هذا الماء ويرغب في ماء آخر يرويه.. خرجت هي أيضًا بعدما استكملت ارتداء ملابسها.. ونامت كما كانت تفعل كل مرة.. نامت وهي تبكي في صمت.. في انتظار من يحررها من تلك القيود.. تحسسها أيمن وداعب شعرها المبتل وأقسم لها أنه سيذهب إلى الطبيب لمعالجته من هذا الضعف.. وأن كل ما يرجوه أن تقف بجانبه وتدعمه في رحلة العلاج.. ألا تتركه.. تكلمت بصوت واهن من أسفل الغطاء أنها معه وستدعمه شرط أن يستكمل شروط المعاهدة والاتفاق.. وأن يعودا إلى مصر ويستقرا بها

بعد انتهاء هذه الرحلة.. فأقسم لها أن هذا ما سيحدث مهما كلفه الأمر..
والآن عليهما أن يستريحا حتى يذهبا غدًا إلى دهب كما أرادت..

34
دهــب

انطلقــت أشرح لهم كل معالم دهب.. في الوديــان والصخور المحيطة بهــا.. في المحميات الطبيعية. في أماكن الغوص الرائعة.. والكل يســتمع في إنصات واهتمام.. أمي وســاندرا وزوجها.. كل العيون معلقة بي وكل الآذان تستمع لشرحي ويشعرون بالفخر من تواجدي معهم.. ابتسم أيمن وهو يقف بعيدًا يشاهدني أرتدي ملابس الغوص وأستعد للنزول في البلو هول.. يعلم شغفي وحبي لتلك الرياضة.. يرى نشوة الانتصار في عيني وأنا أنظر إليه وأشاور له للاطمئنان عليَّ وأن لا يقلق فقد اعتدت على تلك الهواية منذ زمن بعيد ومعي شــهادات لممارســة تلك الرياضة.. شهادات

حصلت عليها مع عمر.. جولات في المياه معه.. لعبنا معًا في المياه وكيف كان هو معلمي الأول.. وكيف كنت أنظر إليه بإعجاب شـديد وأنصت إليه في اهتمام لكل تعليماته.. وكيف كنا نقضي وقتًا طويلًا في المياه ننسى فيه الدنيا من حولنا.. لا تتكلم ألسنتنا.. وإنما أعيننا فقط هي التي تتحدث.. أصـوات المياه والأسـماك من حولنا هي التي تعزف الموسـيقا التصويرية لفيلم حبنا الذي بدأ وانتهى هنا..

***

يد عمر تمتد لتمسكها.. وعيناه تحرسها دائمًا.. كثيرًا ما كان يقول لها إن رائحـة عطرها تفوح حتى وهـي في المياه.. إنه يجد ريحها في كل مكان من حوله.. يعرف تلك الرائحة جيدًا ولا تخفى عليه مهما ابتعدا وافترقا.. مهما كانت بعيدة عنه.. يجد ريحها فيعرف بأمر وجودها هنا.. بحث في الاستقبال عنها عندما وجد تلك الرائحة تحيط به في كل مكان.. روحها هنا توجد في المكان.. سأل مسرعًا عن ليلى حسين السعداوي وقلبه يخفق مسرعًا يكاد أن يصرخ في موظف الاستقبال لينطق باسمها بين النزلاء.. وبالفعل بعد بحث بسيط على شاشة الحاسب الآلي وجد اسمها موجودًا برفقة زوجها.. فأخبر عمر بذلك.. الذي كاد أن يقفز ليُقبل موظف الاستقبال.. وشكره وانصرف مسرعًا يحاول أن يبحث عنها.. إلا أن موظف الاستقبال نادى عليه ليخبره أنها ليسـت هنا فقد رحلت في رحلة إلى دهب وسـتعود بعد يومين.. رقص قلبه فرحًا أيضًا فلم لا..

إنها في دهب.. أرض الذكريات السعيدة لهما.. وهو كان بالفعل يخطط للذهاب إليها للاستمتاع بالغوص مع عادل ونادين وداليا.. أجري اتصالًا بصديقه خالد صاحب أحد مراكز الغوص في دهب ليسأله عن ليلى.. فهي حتما ستأتي إليه.. ولم لا وهو كان مدربًا لها هي وعمر في الغوص وهو الذي كان يدربهما في البداية حتى أتقن عمر المهمة واستكمل هو بعد ذلك تدريب ليلى حتى أتقنت الغوص واحترفته.. أكد له خالد فعلًا أنها حضرت هنا برفقة زوجها وأصدقائهم.. ازاداد هرمون السعادة تدفقًا في قلب عمر وخفق قلبه كما لو كان فتى مراهقًا يتحسس أخبار حبيبته ويسعى في اقتفاء أثرها ليتتبعها أينما كانت.. فقرر الإسراع في تجهيز الحقائب للذهاب إلى ليلى في دهب..

تعجبت داليا من تعجل عمر في الرحيل إلى دهب فلم يكن في مخططهم الذهاب في ثاني يوم وصولهم إلى شرم.. كانوا قد اتفقوا على الرحيل في خامس يوم على أن يستقروا في دهب يومين ويرحلا من هناك إلى القاهرة.. لكن عمر قرر أن يذهبوا الآن لقضاء يومين هناك على أن يعودوا بعدها إلى شرم واستكمال الرحلة هنا والرحيل من شرم إلى مصر.. أعلن عن استئجار سيارتين لتحمل الأسرتين إلى هناك..

حاول الجميع أن يعرف سبب التغير المفاجئ في هذه الترتيبات.. إلا أنه تحجج أن أحد أصدقائه المهتمين بالغوص موجود الآن في دهب ويدعوه لمشاركته في بطولة تقام هناك.. وأنه يرى أن لا تعارض في تلك الترتيبات

وأنهم سيستمتعون جدًّا بجو دهب وما بها من مناظر خلابة رائعة.. وافق الجميع على كلامه وخاصة نادين التي كانت تدعمه في كل قول وفعل يفعله.. لأنها تؤمن جدًّا بما يقول وتثق جدًّا فيه وفي أفكاره.. ابتسمت له وأكدت كلامه وقالت له إنها ستحاول أن تتعلم الغوص معه.. وطلبت من زوجها أن يشتري لها ملابس الغوص لتتدرب وتستمتع مع عمر الذي تتمنى أن تكون بجواره في كل مكان حتى وإن كان في مياه البحر..

***

لم يكن يثق في البحر ودائمًا ما كان يراه غادرًا إلا أنه ولأول مرة يقف وقد اطمأن قلبه وارتكن إلى الحائط ممسكًا بيد أولاده وهم يشاهدون أمهم تنزل إلى المياه مع ساندرا وجوزيف الذين كانوا يمسكون يدها لينزلوا معًا كمجموعة عاشقة للغوص.. شعر أيمن بفرحة ليلى لوصولها إلى تلك المنطقة وإلى نزولها للمياه.. وضع يده على رأس عمر ابنه وقبل ليلى ابنته وجلس ينتظر ليلى أن تعود.. جلس ينتظر ثمرة عهده ووعده الذي قطعه على نفسه.. فهو أقسم على أن يسعدها فيما تبقى له من عمره معها وأن يعوضها عما فاتها من ملذات وهوايات وأحداث تمنت لو تعيشها ولم تستطع معه.. هدوء نفسي أحاط به وسكينة وهو يشعر براحة البال والضمير أن الله قد استجاب دعاءه وأن ليلى قد غفرت له ذلاته وقبلت أن تبدأ معه صفحة جديدة في حياته التي يريد أن يمحو السيئات منها بقدر الإمكان.. تذكر أن عليه العودة إلى فرنسا للانتهاء من أعماله والعودة إلى

القاهرة لبدء حياة جديدة.. تذكر أن الماضي يطارده هناك ولكنه لن يخافه ولن يركع له بل سيمحوه تمامًا ويعود إلى مصر شخصًا جديدًا.. تذكر أن ليلى ستبقى سنده وداعمًا له في حربه على ماضيه القذر.. حاول أن يفكر فيما سيفعله ودخل في نوبة من نوبات الحيرة هل يأخذ ليلى وأولاده معه إلى فرنسا للانتهاء من تصفية أعماله وحزم حقائبهم والعودة؟ أم عليه أن يفعل ذلك بمفرده ويتركهم هنا في مصر في أمان عن الصراعات هناك؟ أم يأخذ ليلى فقط ويترك الأولاد؟ لم يشعر إلا بوجود ليلى أمامه تنزع من على رأسه نظارته وتداعبه وتسكب بعض الماء عليه.. نظر فلم يجد أولاده وأولاد ساندرا وإنما وجدهم في الخلف يلعبون في الرمال ويسكبون الماء على بعضهم البعض.. فقام وقذف بعضًا من الماء على ليلى.. التي بادلته في ذلك.. وجذبته لينزل إلى الماء قليلًا.. أخبرها أنه ليس سباحًا ماهرًا مثلها.. ولكنه سيسبح معها على أن تمسك يده وتقف بجواره في الماء والبر أيضًا.. ناداه عمر ابنه لينزل معهم فأمسك بيده ونزل معهما إلى الماء.. أمسك عمر برقبة أبيه من الخلف وأمسك أيمن في يد ليلى التي تحدثت إليه عن ذكرياتها هنا في هذا المكان وكيف كانت تتسابق مع أصدقائها هنا وكيف كانوا يغوصون لأوقات طويلة وكيف كانوا يقضون اليوم بأكمله هنا.. أخبرته عن روعة دهب وجمالها وأن يومين فقط فيها لا يكفيان لمشاهدة كل معالمها والتمتع بجمالها وأنها تحتاج إلى يومين آخرين للاستمتاع بها.. أخبرها أيمن بأنهم سيعودون في العام المقبل لقضاء أسبوع كامل هنا في دهب وطابا ونويبع..

وأن عليهم استكمال برنامج الرحلة المعدة مسبقًا هذا العام بالعودة غدًا إلى شرم الشيخ على وعد بالعودة مرة أخرى العام المقبل إلى هنا.. وأنه كما أوفى بوعده هذا العام سيوفيه العام القادم أيضًا.. وأنه سيتعلم الغوص من أجلها ومن أجل النزول معها إلى أعماق البحر والاستمتاع معها بكل شيء.. فكما ساندته هي سيوفيها وعده ويسعدها هو أيضًا.. صفقت ليلى بكلتا يديها فرحة بهذه البشرى ووعدته بليلة أخرى سعيدة قبل العودة إلى فرنسا.. لتبرهن له أنها تصدقه في وعوده وأنها ستساعده في التخلص من الماضي وستعالجه من ضعفه.. وستبدأ رحلة العلاج من هنا.. وهي معه تدعمه.. فجذبها أيمن محاولًا مداعبتها.. فأشارت إلى عمر المتعلق برقبته.. وغمزت له بعينيها قائلة فلنجرب الليلة في دهب كما جربنا بالأمس في شرم.. ولنعد إلى شرم غدا لاستكمال الرحلة وإجراء محاولة أخرى هناك قبل العودة إلى فرنسا.. وأشارت بثلاثة أصابع لتبلغه أن له ثلاث محاولات هنا.. أما في فرنسا فكل يوم محاولة.. أصر أيمن على حملها والخروج بها من الماء.. فتذكرت عمر يوم حملها وذهب بها إلى المستشفى.. وتذكرت حلمهما المشترك في أن يحملها ويخرج بها من الماء عندما تكون زوجة له.. لكنه حلم لم يتحقق.. حملها أيمن بدلًا منه.. حملها مرتين.. مرة في يوم الزفاف والدماء تنزف منها وذهب بها إلى مستشفى شرم الشيخ.. واليوم يحملها من الماء ليخرج بها مداعبًا وملاطفًا على أمل اللقاء ليلًا..

***

35
لقـاء لم يتم..

بخطوات بطيئة مشيت وخرجت من غرفتى.. أتحسس أبواب الغرفة وأقف لأنظر من خلف النوافـذ على البحر والمياه الزرقاء الصافية وألقي نظـرة وداع على المكان بأعين باكية.. دهب مـن أحب البلدان إلى قلبي.. أخشى أن أذهب منها ولا أعود إليها مرة أخرى.. كم افتقدت تلك المدينة وكم افتقدت عمر فيها.. أشـعر وكأن تلك المدينة بجمالها وحسنها مدينة أشـباح بدون وجوده فيها.. أخشـى أن أذهب فيأتي هو.. أشعر بوجوده في المكان.. أشعر أن اللقاء بيننا قد اقترب.. ناداني أيمن حتى لا نتأخر في العودة إلى شرم الشيخ.. خرجت إليهم وانطلقت المجموعة في رحلتها مرة

أخرى في طريق العودة إلى شرم.. وكعادتي جلست بجوار النافذة أتأمل الصحراء من حولي.. ورغم قصر المسافة بين المدينتين فإنني تمنيت لو طالت المسافة.. تمنيت لو ابتعدت شرم أكثر فأكثر حتى أستمر في الطريق أنتظره.. كنت أمني النفس بلقاء لم يتم.. أنظر إلى ساندرا التي أبلغتني أنها ستحاول الاتصال بعمر عند وصولنا مصر لإبلاغه بوجودنا هنا.. لعله يأتي وأنا أعلم أنه سيأتي لو أبلغته ساندرا بذلك.. إلا أنها لم توفق في الوصول إليه كما أبلغتنى بذلك.. اتصلت بمركز الغوص الذي كنا نتدرب فيه أنا وعمر لعل خالد صاحب هذا المركز يدلني على عمر.. فأبلغني أنه يأتي هنا مرة كل عام وأن موعد قدومه قد اقترب وأبلغني أنه سيتصل به ليبلغه بوجودي هنا..

رقص قلبي طربًا لذلك ولكنني أشحت بوجهي عنه حتى لايرى في عيني شوقي ولهفتي على عمر.. أنا الآن امراة متزوجة وزوجي وأولادي معي.. خشيت على نفسي فعلًا وألقيت السلام على خالد وأبلغته أن يرسل السلام لعمر عندما يأتي.. بحت بهذا الأمر لساندرا التي وجدت ضيقا منها بذلك ونبهت على أنني امراة متزوجة وأن زوجي في مأزق من أجلي وهو يلبي طلباتي الآن وعليَّ الحفاظ عليه وإلا سأكون خائنة.. التزمت الصمت وساد حزن رهيب على قلبي.. فها هو عمر يقترب.. وها أنا أبتعد.. لكنني لم أفقد الأمل في اللقاء..

***

أما هو فتمنى لـو كان الطريق أقصر من ذلك حتى يلحق بها.. قيادته اليوم أسرع مما كان معتادًا ولاحظت ذلك داليا وحاولت أن تنبهه أكثر من مرة لخطورة القيادة مسرعًا خاصة أن عادل بسـيارته خلفهما يسير بصورة أبطأ من ذلك.. لكنه كان يعيش في مكان وزمان آخر بعيدًا عنها.. يعيش مع ليلى.. يقطع كل تلك المسافات من أجلها من أجل أن يلقي نظرة عليه أو أن يتنفس هواءها ويتلمس خطاها.. يسرع في القيادة ويشعر أن ليلى تناديه.. تنتظره على شاطئ البلو هول ليغوص معها في أعماق البحار.. ليداعبا معًا الأسـماك والأحلام.. ويقفزا في الماء هربًا من كل القيود والحدود.. بحثا عن الحرية والحب.. أمسـكت يده.. فأخرجتـه من حالة العزلة التي كان فيها طوال الطريق وابتسم لها مطمئنًا.. ودعاها ألا تقلق.. فهو يعرف هذا الطريق جيدًا بل يحفظه عن ظهر قلب.. ويحفظ دهب التي تنتظره ليحتفل بلقاء حبيبته بعد ابتعاد وفراق..

***

ما إن وصلت السـيارة حتى كان أيمـن ينزل مسرعًا متحدثًا في هاتفه بانفعال.. ابتعد عنا وتكلم بصوت غاضب مع محاميه في فرنسا مؤكدًا عزمه عدم قطع إجازته والعودة إلى فرنسـا.. يومان فقـط وتنتهى تلك الرحلة ويعود إلى فرنسـا.. أغلـق الهاتف وتوجه مسرعًا يمسـك يدي ويحتضن أولادنا ودخلنا إلى الفندق..

اتفق الجميع على الراحة قليلًا والاستعداد للنزول بعدها لتناول الغذاء

ثم سـنذهب إلى رحلة سفاري في قلب الصحراء.. رحلة أخرى افتقدتها منـذ فترة.. الصحراء وجمالها ليلًا وسـحرها، التي كثـيرًا ما كنت أذهب إليها في كل رحلاتي مع عمر نستمتع بالأكل البدوي ونتراقص على أنغام الموسـيقا البدوية نجلس نشاهد القمر في لحظات الغروب ولمعان النجوم في السماء.. نشاور على النجوم ويتمنى كل منا أمنية مع نجم ما وننتظر أن تتحقق.. أماني وأحلام.. لم تتحقق بعد.. لكنني مازلت أحيا على أمل أن يتحقق أحدها.. ما زلت أنتظره لعله يصل..

***

هيا لقد وصلنا إلى دهب.. مدينة السحر والجمال..

تحدث عمر بتلك الجملة ووقف يتنفس بعمق أمام بحر دهب.. وقف يتأمل المكان.. ودواليا تفف بجواره تحدثه عن انبهارها بجمال الطبيعة هنا.. ومن خلفها أتت نادين وزوجها عادل يشـكران عمر على حسن اختياره للمكان.. أخبرهم عمر أن عليهم الاستعداد للذهاب في جولة سفاري في وديان وهضاب دهب وأن يستعدوا غدًا للغوص في البلو هول.. وتركهم للاتصال بخالد صديقه الذي سيرافقهم في تلك الرحلة وهو الذي سيكون مرشـدًا لهم.. ما هي إلا لحظات حتى أتى خالد صديق عمر الذي أخبره بـأن ليلى كانت هنا وأنها اتصلت به تسـأل عنه.. لذلـك فإنه قد اتصل به ليأتي مسرعًا ليلحق بها.. سأله عمر هل يعرف مكان إقامتها.. فأخبره باسم الفندق الذي كانت فيه هنا في دهب وطلب عمر منه أن يصطحبه إليها..

فاستأذن عمر منهم ليخرج مع صديقه بحثًا عن حبه..

ولكـن تصاريف القدر وتحكماته كانت أكـبر منه ومنها.. لقد رحلت وغادرت الفندق صباح اليوم.. صرخ عمر في وجه موظف الاستقبال في الفندق الذي كانت تنزل به ليلى.. كيف رحلت ومتى ولماذا؟ لماذا الآن.. لماذا لم تنتظره؟ أمسـكه خالد من يـده وجذبه بعيدًا ليخبره أن الموظف لا ذنـب له.. فهي تصاريف الأقـدار.. إلا أن عمر لم يصمت بل نقل غضبه إلى خالد واتهمه أنه السبب في ضياع تلك الفرصة للقاء ليلى لأنه لم يخبرها بوجوده ولم يعلم عن ترتيبات رحلتها شيئًا..

– عارف لو كنت قلت لها إني في شرم.. أكيد كانت هتستنى تقابلني.. حرام عليك يا خالد..

– أنا قلتلها فعلًا إنك بتيجي هنا كل سنة.. وإنت مكلمتنيش إلا النهاردة وأنا بلغتك..

– لا يا خالد.. كان لازم تتصل وتبلغني.. إنت إتاخرت قوي.. إنت إستنيت إني أتصل.. كان لازم تتصل إنت بي وتقولي..

– وأنا أعرف منين إنها كانت ماشية النهاردة.. وبعدين حتى لو كانت عرفت إنك جاي تفتكر كان ممكن تغير حاجة في ترتيبات رحلتها.. مش يمكن جوزها هو إللي مرتب كل حاجة.. ويمكن ليه؟ دا أكيد جوزها هو

إللي مخطط للرحلة دي.. وهي مفيش في إيديها حاجة..

– لا يا خالد.. حرام عليك ما تهربش.. إنت السبب في إللي حصل دا.. دي فرصة كنت بستناها من سنين.. إنت فاهم يعني إيه أنا وليلى في مكان واحد وما نشفش بعض.. أكيد هي مشتاقة لي.. زي ما أنا مشتاق ليها..

– إهدى يا عمر خلينا نفكر ممكن نعمل إيه؟

– نعمل إيه هي خلاص رجعت شرم.. أنا ممكن أعمل إيه دلوقتي؟ ينفع أسيبهم وأرجع شرم.. ولا أعمل إيه؟ ما هو أكيد مش هينفع نمشي دلوقتي وإحنا لسه واصلين دهب حالًا.. أقوم أقول لهم يلا نرجع تاني..

***

هنرجع تاني يـا حبيبتي.. أكيد هنرجع دهب وشرم تاني.. أهم حاجة إنك مبسـوطة.. أهم حاجة إني قدرت أعمل حاجة تسـعدك.. اتفاقنا تم تنفيذه.. أعتقد إنك غفـرتي لي الآن وقد نلت صك الغفران.. ولم يتبق لي سوى محاولة أخيرة الليلة معك على فراش الحب الذي يجمعنا معًا في شرم.. عسـى أن أكون جديرًا بك فعلًا.. ولكن لي رجاء عندك.. هو أمر صعب ولكنه قد يبدو علاجًا لي.. أمر كان يفعله معي سفيان وأعتقد إنه كان يثير غريزيتي وشهوتي.. فلو فعلتهِ معي وكأنك سفيان.. وقتها سأنشط وتتدفق الدماء في عروقي.. وقتها ستثور ثورة جسدي وهرمونات الذكورة لدي.. وأتمكن منك.. أرجوك أنا نفذت اتفاقنا وهذا رجاء خاص مني لك أرجو

أن تساعديني كما كان وعدك لي.. لأنه قد يكون هذا علاجي.. قد يبدو الأمر مخزيًا وصعبًا بالنسبة لرجل أن يطلب ذلك من امرأة.. ولكنك زوجتي ولا حياء بيننا.. وحاولي أن تثيري شهوتي كما أفعل أنا معك.. أرجوك.. أنا أحبك يا ليلى وأفعل المستحيل من أجلك.. أنا اعترفت لك بمرضي وضعفي.. والآن أطلب منك أصعب شيء ممكن يطلبه الرجل في حياته.. أمر شاق.. وأنا لا أقوى على النظر في عينيك.. ولكنني أتوسل إليك أن تفعلي ذلك.. هيا دعينا نحاول..

كانت تلك كلمات أيمن لي.. تملكني الذهول لحظات.. كيف أستثيره؟ كيف أصل لمناطق إثارته وأشبع رغباته؟ كيف أشعر بالرغبة والمتعة معه؟ أسئلة كثيرة دارت برأسي ولكنني أجلت الإجابات إلى الليل.. إلى أن نجتمع في الفراش..

***

باءت كل محاولات عمر لإقناع المجموعة بالعودة ليلًا إلى شرم بالفشل فهم لم يمكثوا أكثر من سويعات هنا.. وهم على علم بجمال دهب.. كما أنهم يرون أن ترتيبات الرحلة كلها قد تبدلت مرة بأمر منه.. فلماذا الآن يطلب أن يغيرها مرة أخرى؟ لم يستسلم عمر لذلك وفكر في أن يرجع وحده إلى شرم للقاء ليلى لمدة ساعة واحدة على أن يعود إليهم مرة أخرى.. أجري اتصالًا بالفندق في شرم وطلب التحدث إليها ولكن لم ترد على الهاتف.. مرة واثنتين.. بلا فائدة.. لذلك قرر عمر إخفاء دواء ابنته ملك

حتى يبدأ رحلة البحث عنه في دهب ويوهم الجميع باختفاء هذا الدواء من هنا وأن عليهم الاختيار بين الرجوع جميعًا إلى شرم حيث أبلغته إحدى الصيدليات بتوافره لديها في شرم.. أو العودة بمفرده ليأتي بالعلاج ويعود إليهم مرة أخرى..

نجحت الخطة الماكرة التي أعدها.. ونجح في مكره ودهائه كما فعل مرارًا وتكرارًا بأقنعته التي يرتديها في كل مرة.. أشفقت داليا عليه من الذهاب والعودة مرة أخرى بمفرده.. فقررت العودة معه هي وأطفالها على أن يتركوا عادل ونادين هنا في دهب.. تأبطت ذراعه ونظرت في عينيه وأخبرته أنها لن تفارقه أبدًا ولن تتركه يتعب وحده بل ستكافح معه في كل نواحي الحياة حتى في الجوانب الترفيهية.. وتحركت سيارتهما في اتجاه العودة مرة أخرى.. ابتسم عمر لأنه سيعود إلى ليلى.. سيراها مجددًا وعندها سوف يمسك يدها ولن يفارقها.. سيداعب خصلات شعرها.. ويهمس في أذنها.. وينظر طويلًا في عينيها ليرى نفسه يسكن فيهما.. سيفعل كل ذلك في حضرة زوجها وزوجته والدنيا كلها.. سيعلن على الملأ حبه لها.. وأنها أخطأت بهروبها وضعفها واستسلامها..

***

لم يكفهِ استسلامها.. بل استسلم هو أيضًا لها وترك جسده ملعبًا لها.. حتى ثارت ثورته بالفعل وحقق هدفه وأمله واستطاع أخيرًا بعد محاولتين فاشلتين أن يقتحم حصنها من جديد.. أن يخرج الماء من البئر المعطل وأن

يبنى قصره المشـيد.. شعر بلذة الانتفاضة الشعبية لخلايا جسدها الساكن منذ عصور.. وشـعر بلذة انهيـار مقاومة حصونها الواحـد تلو الآخر.. ورأى ضحكاتها بعد سنين من البكاء.. وأحس الدفء في حضنها بعد أن مـات من البرودة فيه مرات ومرات من قبل.. قبلها أيمن وشـكرها على ما فعلته معه.. وأقسم لها ألا يفارقها مهما حدث وألا يغضبها مهما تبدلت الأحوال.. أبلغها عن تطورات الأحدث في فرنسا من مقتل سفيان وعن بعض الاتهامات الموجهة له.. فطمأنته أنها معه ولن تتخلى عنه.. وأوعزت له أن ينهي الرحلة مبكرًا إن أراد أن ينصرف اليوم فليفعلوا ذلك حتى يعود إلى فرنسا للحاق بأعماله والانتهاء منها.. إلا أنه أبلغها أنه لا داعي للعجلة في ذلك فالباقي من الرحلة يوم واحد غدًا فقط لا غير.. وبعدها سيذهب إلى هناك للانتهاء من تصفية كل أعماله والعودة إلى مصر..

36
ملـك تـموت

في رحلة العودة هي من طلبت منه الإسراع في القيادة.. ابنتهما تتألم بشدة ولا بد من الذهاب فورًا إلى المستشفى.. فلن يجدي العلاج الناقص حاليًّا في شيء.. هـي تحتاج إلى متابعة طبيـة.. تلك هي مضاعفات عدم أخذها للجرعة العلاجية في موعدها.. وهذا هو ما حذر منه الأطباء دومًا.. عدم الانتظام في العلاج سيسبب مشاكل كثيرة لها.. عضلة القلب ضعيفة ولا تحتمـل.. ملك ولـدت بعيب خلقي في القلب وهـو ضيق أحد صمامات القلب وخضعت لعدة جراحات وهي في طفولتها المبكرة حتى تحسـنت حالتهـا نوعًا ما وأصبحت قادرة على التعايش بصـورة طبيعية نوعًا ما..

بشرط الالتزام بالتعليمات وبالعلاج في أوقاته الصحيحة وعدم التأخر عنه.. أنفق عمر كثيرًا من الأموال في رحلة علاج ابنته منذ ولادتها حتى الآن.. وهو على استعداد لبذل المزيد والمزيد من أجل الحفاظ على حياتها.. لم يهتم بطرق جلب تلك الأموال والتى كانت غير شريفة في كثير من الأحيان.. حيث إن اهتمامه كان للحصول عليها فقط لا غير.. والآن تترنح ابنته في السيارة خلفه وهي تسند برأسها الصغير على قدم أمها.. في تلك اللحظة تذكر أنه من فعل بها هذا عندما أخفى العلاج عنها وأوهم داليا أن العلاج غير موجود في دهب ليذهب خلف ليلى في شرم الشيخ ويأتي بالعلاج.. تناسى ابنته أعز ما يملك وتذكر فقط حبه القديم الذي ما زال يسعى ويجري خلفه... نظر عمر في مرآة السيارة الأمامية ورأى الدموع تناسب من أعين داليا خوفًا على فقد ابنتها.. اهتز قلبه بشدة وارتجف واهتزت عجلة القيادة في يده فصرخت داليا تنبهه.. أفاق على صرخاتها تحذره من عدم الاهتمام بالطريق والتلفت حوله.. طالبته بأن ينظر أمامه ويركز حتى يصلا إلى شرم الشيخ ويذهب بابنته إلى المستشفى هناك..

***

استيقظت على قبلات حانية من أيمن.. فنظرت إليه ووجدته قد ارتدى ملابسه ويلوح لي أن أنهض مسرعة فالأولاد في انتظارنا في حجرة أمي للذهاب لتناول الإفطار.. واستكمال الرحلة حيث إن اليوم هو الأخير لنا

هنا في شرم وغدًا سنعود إلى فرنسا.. أخبرته أنني وافقت على رأيه وسأترك الأولاد مع أمي هنا على أن أعود أنا معه فقط إلى فرنسا لحزم حقائبنا من هناك وإنهاء أوراق عودتنا من فرنسا نهائيًّا.. ابتسم أيمن واحتضنني وقبل رأسي وأخبرني أن هذا هو أصوب قرار وأنه سيخرج الآن لإبلاغ شركة السياحة بتلك التطورات لإلغاء رحلة عودة الأطفال على الطائرة معنا وأن عليَّ أن أذهب لأخبر أطفالنا بذلك وتهيئة الأمر لهم حيث إنها المرة الأولى التي سنتركهم فيها بمفردهم في بلد لا يعرفون عنه شيئًا.. ولكنني غير قلقة حيث إنهم سيمكثون مع أمي وأبي.. تركته يخرج وبدأت في إعداد الحقائب استعدادًا للرحيل..

***

ما كادت قدمه تطأ المستشفى في شرم الشيخ إلا وتذكر ليلى مرة أخرى وما حدث بينهما هنا في المستشفى.. حمل ابنته كما فعل مع ليلى منذ عشر سنوات ودخل إلى قسم الطوارئ واستدعوا الأطباء للكشف عليها.. الحالة خطرة بالفعل ولا بد من حجزها في غرفة الرعاية للمتابعة.. حيث إن القلب في حالة حرجة ولا بد من وجودها تحت الملاحظة.. بكت داليا وهي تنظر إلى ابنتها وهم يأخذونها على فراش المستشفى للذهاب بها إلى حجرة الرعاية وصعدت خلفهم في خوف وفزع ورعب من مصير مظلم لابنتها قد تواجهه.. المرض يضرب بأجنحته عليها وهي طفلة بريئة لا

تملك من الدنيا شيئًا ولا تقدر على مواجهة الحياة بظروفها الصعبة.. بكت داليا بشـدة وحاول عمر أن يبدو متماسـكًا وهو يصعـد معها في المصعد ممسـكًا بيد ابنته وفي يده الأخرى يمسـك ابنهما الصغير الذي يبكي لمنظر أخته المتصل بجسـدها عدة أسـلاك.. ولا يفهم شيئًا سوى أن هذا منظر لم يألفـه من قبل.. أخته مريضة وأمه وأبوه يبكيان بشـدة.. وقف المصعد في الطابـق الخامس.. نفس الطابـق الذي كانت فيه حجرة ليلى من قبل.. تلفت حوله عسى أن يجدها..

***

عمر وليلى يتسابقان في المياه وجدتهما تراقبهما في سعادة وبجوارها حسين السعداوي بهدوئه ورزانته المعتادة في كل المواقف ينظر ويبتسم لهما ابتسامة خفيفة.. جاءت ليلى من خلفهما وأخبرتهما بقرارها مع أيمن حول الأطفال وأن تتركهما معهما.. فرحت أمها بشدة وأمسك حسين كتفها وأيدها في ذلك ودعاها ألا تقلق فهو على علم بقرار أيمن في العودة إلى مصر وأنه هيأ نفسه لذلك حيث سيتوسع معه في نشاطهما التجاري والمقاولات.. وسيهتم بأمر أيمن وطلب منها أن تبقى بجواره في تلك الأيام نظرًا لصعوبتها على أيمن أما بخصوص الأولاد فلا داعي للقلق.. ولكن عليها أن تمهد لهما الطريق بهدوء.. نظرت إليهما ليلى وأشـارت إليهما وخلعت ملابسها لتنزل معهما في البحـر لتلعب وتلهو معهما وتبـدأ في شرح القرار لهما.. صفق الأطفال

فرحًـا عندمـا رأوا أمهم تنزل معهما في المياه وجـاءوا إليها وتعلقا برقبتها وأخـذت تدور بهما في الماء.. وعلت ضحكتهما في المكان.. تفعل ما كانت تتمناه دائمًا في أحلامها.. في أن يكون عمر والدهما ويضحكا جميعًا في مثل هذا الموقف.. لكنه غير موجود الآن..

***

ابتعد قليلًا عن الحجرة وجلس وحيدًا في نفس المقعد الذي كان يجلس عليه منتظرًا حسين السعداوي سابقًا.. لكنه الآن ينتظر ملك الموت الذي سيأتي بين لحظة وأخرى لزيارة ابنته.. أو ملك الرحمة لينقذها مما هي فيه.. وضع رأسه بين يديه وبكى كما لم يبكِ من قبل ولم لا؟ إنه السبب فيما يحدث الآن لابنتـه.. بعنـده وبحثه الدائم عن ليلى.. أهمل ابنته بل إنه تسـبب في زيادة مرضهـا الآن بإخفاء العلاج عنها.. حتى حدثت لها تلك الأزمة.. رفع رأسه يدعو الله أن يغفر له.. ولكنه تذكر كل أخطائه وخطاياه.. وكأن الله يعاقبه في ابنته.. هذه هدى.. ونادين.. أمواله التي اكتسبها من حرام.. خيانته لزوجته.. خيانته لعادل زوج نادين الذي سيأتي له بعد قليل ليكون بجواره يدعمه وهو يخونه مع زوجته.. حاول أن يتذكر أي شيء من حسناته عسى أن يدعو الله بها فيتوب عليه ويغفر له ويشفي ابنته.. إلا أنه لم يتذكر.. كل ما تذكره سيئاته فقط.. وها هي تبدو الخاتمة وسوء العقاب في مرض

ابنته.. دعا وتوسل ألا تعاقب ابنته بذنبه.. ارتجف من هول الموقف وعلا صوت نحيبه..

***

أتى أيمن وقد أنهى الاتفاق مع شركة السياحة بإلغاء سفر عمر وليلى.. وقبلهما واحتضنهما بشدة.. أخبرته ليلى بسعادة الأولاد ببقائهم هنا في مصر مع أمها.. وسعادة أمها وأبيها بهذا القرار.. أخبر ليلى بأن جوزيف وساندرا سينتظروهما ليلًا للاحتفال بهذه الرحلة في سهرة بدوية في صحراء شرم الشيخ.. وأن السفر سيكون فجرًا.. في الرحلة الأخيرة إلى فرنسا.. ولم ينسَ أيمن أن يشكر حسين السعداوي على حسن استضافتهم وحسن استقباله لهم وأيضًا لأنه سيستضيف أولاده عنده حتى ينهي أعماله في فرنسا.. أشار إليه حسين وسارا معًا ليطمئنه على سير العمل في مصر ولا داعي للقلق.. اذهبا إلى فرنسا وعودا مرة أخرى نحن في انتظاركما.. أكد أيمن على كلامه وتركه ليأخذ زوجته وأولاده ليتسريحا قليلًا..

***

جاء عادل ونادين مسرعين إلى المستشفى.. وأصرا على البقاء بجوار عمر وداليا في تلك الحالة.. طمأنهم الطبيب وأخبرهم أنه عليهم الرحيل فلا مكان لهم هنا والطفلة في الرعاية تحت الملاحظة والمتابعة.. رفضت داليا الانصراف.. وأصرت على البقاء.. حاول عمر أن يثنيها عن ذلك

فرفضت بشدة وصرخت في وجه.. طالبت منه الانصراف مع حمزة ابنهما وأولاد نادين.. لم ينفعل عليها ولكنه نظر إليها ونكس رأسه وانصرف.. أخبرها أنه سيذهب ليستريح قليلًا مع عادل والأطفال وسيتركون معها نادين على أن يعودوا مساءً للاطمئنان عليها.. طلبت منهم أن يصلوا من أجل ملك..

37
صفحة جديدة

نظرت إلى الحقائب المتراصة أمامي في مجموعات فهذه حقائبنا أنا وأيمن والتى ستكون معنا إلى فرنسا.. وهذه حقيبة أولادي التي سأضعها مع حقائب أبي وأمي الذين قرروا المبيت اليوم أيضًا في شرم بعد انصرافنا لأن الأولاد يريدون مزيدًا من الاستمتاع والمرح.. وهذه حقيبة يدي الصغيرة التي بها خاتم عمر الذي أهداه لي من قبل والذي أحرص على ارتدائه دائمًا في كل رحلاتي إلى مصر حتى يذكرني دائمًا به.. وتعطرت بنفس العطر الذي يحبه.. وارتديت مرة أخرى غطاء رأسي الذي أتيت به.. هذا الغطاء الذي أهداه لي عمر.. تزينت مرة أخرى في انتظاره..

***

ترك عمر السيارة بجوار المستشفى لداليا وركب مع عادل في طريقهما إلى الفندق.. لم يستطع القيادة أكثر من ذلك.. شعر أنه يفقد بوصلته واتجاهاته.. وأنه لن يقوى على المسير أكثر من ذلك.. عقله مشتت تمامًا.. رأسه يكاد ينفجر من الألم الذي يحتويه.. والحزن الذي يملؤه.. فها هي ابنته ترقد في فراش المرض بسببه.. وها هي حبيبته في انتظاره في الفندق.. يشعر بأن القدر يقربه من لقائها.. واحتضانها.. مشاعر متضاربة بين الفرح والحزن تحاوطه كسياج حديدي حول معسكر للأمن صعب اقتحامه.. هل له أن يفرح بقرب لقائه بليلى.. أم يحزن لمرض ابنته؟ بل هل له أصلًا حق في أن يفكر في ليلى الآن؟ في تلك اللحظة الحرجة في حياته؟ إنه لم ينسها يومًا.. وتمنى لقاءها كثيرًا ولكن لماذا الآن؟ لماذا الآن القدر يجعله يقترب من لقائها؟ وكيف سيكون اللقاء؟ وهل سيستطيع الكلام معها.. وكيف سيواجهها.. أيحتضنها ويقبلها.. أم يصافحها فقط لا غير؟ لم يدرِ بنفسه إلا وعادل يحدثه بوصولهم إلى الفندق.. وأن عليهما أن يستريحا قليلًا قبل العودة مرة أخرى للمستشفى ليلًا.. للاطمئنان على ملك.. لم يشأ عادل أن يذهب قبل أن يصعد مع عمر إلى حجرته مع ابنه ويطمئن عليه.. نظر إليه عمر وهو يتعجب من حاله.. عادل يذهب معه إلى الحجرة ولا يتركه.. أما هو فكان دائمًا ما ينتظر أن يغادر عادل منزله حتى يصعد لمقابلة نادين والارتماء في أحضانها.. عادل يطمئن عليه ويقف بجواره يدعمه.. وهو الذي كان يتمنى دائمًا أن يغيب عادل عن منزله أيامًا وأيامًا حتى يحيا مع

زوجتـه نادين بعيدًا عن القلق.. حتى يتمتعا ببعضهما أكثر فأكثر.. والآن عادل هو الذي يحتويه ويقويه ونادين تحتضن زوجته وتواسيها ولم تتركها بمفردها.. إحـدى عجائب القدر الأخرى.. خيانة منه وصداقة حقًّا من عادل.. خيانة من نادين وثقة من داليا فيها.. خيانة منه ودعم من عادل.. أشـار عمر لعادل أن يرحل فهو بخير.. وسيخلد إلى النوم قليلًا مع حمزة في حجرتهما.. التي ما إن دخلها حتى جلس يغير لابنه ملابسه وتركه لينام قليلًا.. وجلس بمفرده يتأمل حاله.. ينظر للمرآة فيرى شخصًا آخر غير عمر الذي يعرفه فيها..

– إنت مين..؟

– أنا إنت.. أنا عمر الحقيقي..؟

– عمر الحقيقي إزاي.. أنا عمر..

– لا إنت كنت عمر.. لكن إنت دلوقتي شـخص تاني الشـيطان غلبه ومبقاش عمر إللي كل الناس كانت بتحلف بأدبه وأخلاقه..

– أيـوه عملتلي إيه الأدب والأخـلاق دي.. كلام فاضي.. لا أكلتني عيش ولا جوزتني البنت إللي بحبها..

– تقوم تبيع نفسـك.. ضمـيرك.. أخلاقك.. وتـأكل من حرام إنت ومراتك وولادك..

– لا مش حرام.. د حقى إللي لازم آخده من الدنيا.. الظالمة عليَّ وعلى إللي زيي..

– دا النصيب والقدر ما بيتعاندش..

– لا يتعاند ويتغير كمان..

– لا إحنا مش بنقدر نغير الأقدار.. إحنا بنعيش ونتعايش معها.. والشاطر إللي بيعرف يبسط نفسه مع القدر..

– إزاي وبإيه..

– بالرضا.. الرضا بالقدر والنصيب..

– أنا رضيت زمان وهو ما رضيش..

– لا كان لازم تقبل وتكمل.. في إيه لما ما قدرتش تتجوز ليلى.. دا نصيب.. والقدر كان شايلك حاجة أحسن.. داليا إللي بتحبك.. ومخلصة ليك.. وإنت برضو مارضتيش بالقدر والنصيب دا ورحت خنتها..

– أنا ما خنتهاش.. أنا دورت على حياتي بره الإطار والحدود والحواجز إللي داليا معايشاني فيهم..

– لا خنت.. تفسر بإيه وجودك في حياة نادين.. دي خيانة.. والدليل إنك مش قادر تبص في وش عادل دلوقتي..

– إنت عاوز إيه دلوقتي..؟

– أنـا عاوزك تفـوق.. تنسـى ليلى ونادين خالـص.. ركـز مع مراتك وولادك.. إنت لسـه بتفكر في ليلى هي فـين دلوقتي وعاوز تنـزل تقابلها بأي طريقة.. بس ضميرك بيأنبك.. هتعمل كدا إزاي وبنتك في المستشفى.. هتروح تقابلها وتنسى بنتك.. إنزل.. يلا روح

– بلاش استفزاز.. أنا هنزل أبص عليها من بعيد.. هسلم عليها وبس.. هامسـك إيديها وأبص في عينيها وبعدين أمشي وأسيبها.. خلاص.. هي دي أمنية حياتي الأخيرة هأعملها وأتوب فعلًا عن كل حاجة.. هأسامح كل إللي ظلمنـي.. هارجع الحقوق لأصحابها.. هاسـيب نادين.. هأقرأ قرآن على روح هدى إللي ماتت من حسرتها لما عرفت إني بلغت عنها إنها بتـشرب مخدرات وكانت هتتحبس وما اسـتحملتش الصدمة وماتت.. هـاروح أحج أنـا وداليا والأولا د.. هاروح أعالج بنتي بره.. هاسـتقيل من شغلي وأبدأ شغل جديد.. بس أقابل ليلى للمرة الأخيرة..

رد عـليَّ موافق.. قول موافق.. قول إنك سـامعني.. وفاهمني ومقدر إلـلي أنا فيه.. قول إنك عارف إن الحب والفـراق صعب جدًّا.. قول إني فوقت خلاص وضميري حي موجود.. إنت فين..

***

تحركت السيارات في اتجاهها إلى المطار.. ليلى مع أيمن وأبيها وأمها في سيارة.. وسـاندرا وجوزيف في سيارة أخرى.. وكعادتها جلست بجوار

النافذة مودعة شرم الشيخ.. ميدان سوهو.. بذكرياته الجميلة والأليمة.. بكل لحظات الفرح والحزن التي عاشتها فيه.. دموعها التي انسابت حزنًا على فراق عمر.. والتى انسابت هنا أيضًا ألمًا من جرح أيمن لها.. هنا هذا المكان الذي انتظرت مجيء عمر فيه بالأمس.. لكنه لم يأتِ.. خرجت من الفندق وانتظرتهم بالخارج قبل رحلة السفارى في نفس المكان الذي كانت تلتقي فيه عمر عند قيامها دائمًا بتلك الرحلات.. نظرت حولها في المكان تبحث عنه ليأتي ويودعها لكنه لم يأتِ.. انتظرت أن يأتي من خلفها ويصفق بالقرب من أذنها كما كان يفعل دائمًا.. لكن يد أيمن هي التي وجدتها على كتفها.. عندما استدارات.. لتراه وقد خبأ نصف وجهه معلنًا استعداده للسفاري والرمال.. ضحكت إمعانًا في مزيد من التمثيل بدلًا من أن تبكي حزنًا لعدم مجيء عمر.. ووضعت يدها على وجه أيمن تحاول أن تخلع القناع الذي يرتديه من شال عربي ممزوج باللون الأحمر والأبيض.. لكنه أبعد وجهه وأخرج من خلف يديه شالًا آخر باللون الأحمر والأسود قائلًا إنه لها.. حتى يقيها تراب الصحراء.. نظرت بدهشة إليه.. إنه نفس اللون الذي كان عمر قد اختاره لها من قبل.. ولكن شال عمر قد ضاع في الصحراء نتيجة شدة الهواء.. والآن أيمن يعطيها مثله.. أمسكته ولفته حول وجهها ورأت ساندرا وجوزيف قادمين.. فتحركوا حتى يبدأوا الرحلة الأخيرة قبل العودة إلى فرنسا..

***

اتصل عمر بإدارة الفندق فأخبروه بالفعل أن ليلى هنا ولكنها خرجت منذ قليل مع زوجها وأصدقائهم والموجود حاليًّا الأستاذ حسين السعداوي.. الذي ما إن سمع اسمه حتى ازداد يقينًا أن حسين هذا هو يد القدر التي أبعدته عن ليلى.. أغلق الهاتف.. وانتظر أن يأتيه ضميره مرة أخرى ليوبخه في المرآة ويحدثه مرة أخرى.. إلا أنه لم يأتِ.. بقي بمفرده.. ليلى لم تعد له.. ولم يرها رغم قربها الشديد منه.. رائحة عطرها موجودة بل أبوها وأمها هنا.. بل إنها ستبيت هنا.. ستعود بعد قليل.. أينتظر أم يذهب إلى ابنته..؟ سمع دقات على باب غرفته وأتاه صوت عادل من خلف الباب.. صوت الضمير الحي يوقظه ليعودوا إلى المستشفى..

***

لم يكن المطار مزدحمًا.. بل كل شيء يبدو هادئًا.. أيمن يجري بعض الاتصالات لاستكمال الترتيبات هناك في فرنسا.. حسين يطمئن على حال ليلى.. التي تحتضن أولادها بشدة وتبكي وهي تجلس على ركبتيها على الأرض معهما.. ويتكلمان معها عن وعدهما لها بالتزام الأدب وحسن السلوك والسمع والطاعة لجدتها حتى تأتي مرة أخرى إليهما.. تركتهما ليلى الصغيرة وذهبت لتقبل ساندرا وأولادها وجوزيف وتودعهم وتطلب منهم أن يسلموا على أصدقائهم في المدرسة وجيرانهم هناك الذين كانوا يلعبون معهم.. احتضن أيمن زوجته وأولاده وصافح حسين السعداوي شاكرًا له مرة أخرى مجهوداته.. وأصر حسين على موقفه أنه لم يفعل شيئًا وأنه مثل

ابنه وليس زوج ابنته فحسب.. تركهم حسين مصطحبا زوجته وأولاد ليلى ليرجعوا إلى الوراء عدة خطوات ليفسحوا الطريق لتتقدم ليلى وزوجها مع المجموعة التي أتوا معهم ليركبوا طائرتهم.. عائدين إلى وطنهم..

***

أصر عمر على المبيت بجوار ابنته في تلك الليلة في المستشفى على أن تذهب داليا للمبيت في الفندق.. ضميره يأمره أن يؤدي شيئًا ما يكفر به ذنوبه وأخطائه التي اقترفها في السنوات الماضية.. عليه أن يقرر الآن أن يختار بين الماضي وبين الحاضر.. بين حب عمره وبين عمره كله.. بين ليلى حبيبته التي لم تكن من نصيبه وبين ملك ابنته عمره القادم وحياته الخاصة.. ذريته التي تحمل اسمه وملامحه ودمه.. واختار.. اختار عمر التضحية بالفرصة الأخيرة في لقاء ليلى وخاصة بعدما علم أن هذه هي الليلة الأخيرة لها هنا في مصر.. وقرر التضحية بتلك الفرصة وأن يمكث مع ابنته في المستشفى.. كان بإمكانه الاستمرار في البحث عن ليلى وأن يترك داليا بجوار ابنته.. لكنه الضمير والأخلاق التي نادته بأن ابنته أحق به من ليلى وأن عليه أن يراعيها ويهتم بها.. وأن يترك ليلى لمصيرها تواجهه وحدها.. وقرر التسامح في حقه أمام حسين السعداوي الذي رآه أمامه في بهو الفندق فلم يهتم بلقائه ولم يصافحه حتى.. بل أدار وجهه عنه وتركه ورحل مع عادل ليذهبا إلى المستشفى للاطمئنان على ابنته.. والآن يعيد حساباته ويغلق دفاتره القديمة ويبدأ صفحة جديدة مع الحياة.. صفحة تبدأ

بالدعاء لابنته بالشفاء.. صفحة بيضاء نقية تبدأ بالتسامح.. فتح الصفحة واستعد لكتابة أول حرف..

38
سوهو مرة أخرى

خلف زجاج حجرة الرعاية وقف ينظر في ذهول لصغيرته التي تحيطها الأسلاك من كل الجهات.. أجهزة تتصل بجسدها البريء.. عيناها بين المفتوحتيتن والمغلقتين.. أصابعها فقط تتحرك ببطء.. طلب من التمريض الدخول إليها ولكنهم رفضوا لأن الحالة ما زالت حرجة.. أخبرهم أنه يريد أن يلمسها فقط لا غير.. يريد أن يمسك يدها الصغيرة بيده.. يدها التي كثيرًا ما كانت تأتي إليه لتضعها على رأسه وعينيه.. تمسك يدها وتخبره أن يده أكبر منها كثيرًا.. يدها التي كان دائمًا يقبلها ويخبرها أنها أحن يد أمسكها من قبل ويقبلها.. والآن يطلب السماح ليقبلها مرة أخرى..

ولا يقدر.. ابنته ولا يستطيع أن يلمسها.. وهو السبب فيما وصلت إليه تلك الحالة.. وضع رأسه على الزجاج يناديها.. يصرخ فيها أن تلبى نداءه.. يصرخ ويدق على الزجاج بيده ولا مجيب.. لم تجبه سوى دموع عينيه فقط لا غير.. التي انسابت على الزجاج لتكتب كلمات التوبيخ والتأنيب له.. كلمات تذكره بأفعاله المشينة.. تذكر بأنه قاتل.. سيقتل ابنته..

***

لم تشأ في تلك المرة أن تجلس بجوار النافذة.. سئمت لحظات وداع شرم الشيخ.. سئمت لحظات الوداع كلها.. هذه المرة هي في رحلة ذهاب وعودة مرة أخرى لذلك لم تهتم بالجلوس بجوار نافذة الطائرة ولم تشأ أن تودع مدينتها المفضلة ولا أن تبحث عن حبها المفقود لأنها على يقين بعودتها بعد قليل إلى تلك الأرض مرة أخرى.. وعند عودتها ستتمتع أكثر وأكثر بشرم بل وستتاح لها فرص أكثر للبحث عن عمر..

***

حالة من الهلع والفزع في المستشفى.. الأطباء يهرعون ودوي سيارات الإسعاف ينطلق بشدة.. خرج عمر من حالة الصمت والتأمل التي كان فيها وهو ينظر إلى ابنته من خلف زجاج حجرة الرعاية على حالة طوارئ يُعلن عنها في المستشفى.. سأل الأطباء عما حدث فأخبروه عن سقوط طائرة فرنسية في مياه خليج القرش بعد إقلاعها من مطار شرم الشيخ بعدة دقائق

بسيطة.. حاول عمر أن يتأكد مما سمعه.. جرى وراء أحد الأطباء.. حاول أن يمسك يده ويتأكد من صحة هذه الأنباء فأخبره الطبيب بأنهم مطلوبون للتواجد على الشاطئ والمطار ورفع حالة الطوارئ إلى أقصى درجاتها.. سألهم هل هناك ناجون؟ هل هناك أخبار عن عدد الضحايا وجنسياتهم..؟ لم يجبه أحد.. الكل يسرع الخطى.. الكل يجري لبدء عمليات إنقاذ ضحايا الطائرة.. أمسك عمر برأسه وصرخ ليلى.. طائرة ليلى.. لابد أنها هي.. أخبره حسين والدها بذلك عندما رآه في بهو الفندق..

– إنت إيه إللي جابك هنا.. جاي ورا بنتي ليه يا حيوان..؟

– الله يسامحك يا عمي.. أنا مش هرد عليك..

– أيوه إنت بتطارد بنتي.. وأنا ممكن أسجنك دلوقتي باللي إنت بتعمله دا..

– أنا مش بطارد بنتك يا أستاذ حسين وأرجوك أنا مش فاضي للكلام دا.. أنا بنتي بتموت في المستشفى دلوقتي..

– وأنا بنتي بتفرح مع جوزها وولادها دلوقتي.. وبكرة راجعة فرنسا تاني.. وإنت هتفضل كدا.. ذليل بتجري وراها... وأنا مش هسيبك..

حاول عادل أن يمد يده على حسين إلا أن عمر جذبه من يده وأمره أن ينصرف لأن ابنته مريضة جدًّا وهذا ليس مكان للصدام ولا وقت

للمعاتبة.. نظر عمر إلى حسين والدموع في عينيه.. سمع الإهانة ولم يستطع الرد.. وانصرف مع عادل..

تذكر عمر تلك اللحظات وهرع يجري خلف الأطباء.. تذكر ملك.. ابنته التي ترقد على فراش المرض.. أجري اتصالًا بداليا طالبًا منها أن تأتي إلى المستشفى.. وقرر الانتقال ليكون بجوار حسين السعداوي في تلك اللحظة في رحلة البحث عن ليلى لعلها تكون من بين الناجين.. الاختيار صعب.. بين قلب ينبض بحبه لليلى وينبض بحب ابنته.. الصراع بين الحب والضمير يشتعل بين قلبه وعقله.. بين حبه لليلى وضمير يناديه أن يتركها ولا يرحل.. لا تترك ابنتك.. لكن الوازع الإنساني يناديه.. فلينحى الحب جانبا.. الحالة إنسانية فقط لا غير.. انفجار طائرة وضحايا أبرياء.. جاءت داليا وعلمت بالحادث الذي تتحدث عنه كل وسائل الإعلام.. تعجبت داليا من قراره المفاجئ بالإسراع في الرحيل وعدم الجلوس معها للاطمئنان على ملك.. أخبرته أن الطبيب سيأتي في خلال ساعة لمتابعة آخر التطورات ومناقشته حول إمكانية نقلها إلى القاهرة لاستكمال العلاج إلا أنه أبلغها بأنه سيحاول المساهمة في إنقاذ ضحايا الطائرة والبحث عنهم لأنه غواص محترف.. ويمكنه فعل ذلك.. توسلت إليه أن ابنته في حاجة إليه أكثر من أي شخص آخر.. أما هؤلاء فضحايا أبرياء يحتاجون إلى مزيد من الجهد والمشقة للبحث عنهم حيث إن مكان سقوط الطائرة في خليج القرش في منطقة خطرة قد تلتهم تلك الأسماك جثث الضحايا.. لم يمهلها

الوقت لمزيد من الحديث.. انصرف مسرعًا.. ليلحق بحسين السعداوي في الفندق... ليبدأ رحلة البحث عن ليلى مرة أخرى..

***

انطلقت صافرات الأجهزة في حجرة ملك.. استشعرت داليا بعض القلق.. أخذت تنادي الأطباء.. لكن معظم الأطباء مهتمون بالحالات التي تصلهم من الشاطئ من ضحايا الطائرة.. حالات الوفيات تصل وتزيد والأطباء في المستشفى حول تلك الحالات.. صرخت فيهم تتوسل إليهم.. ابنتها في لحظات حرجة.. الموت في كل مكان في المستشفى.. يحصد الأرواح واحدا تلو الآخر.. يقترب من ابنتها.. اتصلت بعمر تهاتفه تتوسل أن يستجيب ويأتى إليها.. لم يرد الهاتف.. اتصلت بالفندق تبحث عن نادين وعادل ليأتيا إليه في محاولة فاشلة لإنقاذ ابنتها.. جاء معها طبيب ودخل إلى غرفة الرعاية..

***

ماتت.. لم ينجُ أحد يا عمر..

كانت تلك كلمات والدة ليلى التي لم تتمالك نفسها عندما وجدت عمر أمامها.. أمسكت بيد الطفل الصغير وأخبرته أن اسمه عمر على اسمه وأن ليلى فعلت ذلك من أجله من أجل حبه في قلبها الذي لم يمت يومًا في

قلبها.. أمسك يدها وقبلها.. رآه حسين، نهره عما يفعل.. ووبخه بشدة وأمره بالابتعاد عن المكان.. هذه زوجته ومن ماتت هي ابنته.. وهو غير مرغوب في وجوده هنا.. إنه يرفض شماتته في هذا الموقف.. لم يمهله عمر حتى ينتهي من كلامه ولكنه تكلم مدافعًا عن نفسه..

– اسمع دا مش وقت خناقات ومشاكل ومعايرة بالماضي وبالحالة المادية.. بطل بقى تتعالى على الناس.. بنتك بين الحيا والموت وإنت السبب في موتها.. لو ماتت محدش عارف في أحياء ولا لأ.. إنت السبب في موتي أنا كمان.. وفي موت بنتي..

– إنت جاي تقول إيه.. إيه التخاريف دي.. أنا مالي ومال بنتك ومالي ومالك.. إنت مين أصلًا، إنت ولا حاجة وأنا رفضتك علشان بنتي تعيش..

– ها، وعاشت ولا عملت إيه.. إنت اخترت المادة والفلوس وآهي عاشت متغربة طول عمرها وماتت على طيارة وهي راحة تتغرب تاني علشان خاطرك.. وموتي كان على إيدك عارف ليه؟ لأني فقدت كل معاني الحياة بعد ما رفضتني والحب في حياتي كلها مات على ايديك.. وعارف بنتي ماتت بسببك ليه..؟ علشان أنا عرفت إن ليلى هنا وكنت بدور عليها فعلًا زي ما اتهمتني إمبارح.. أنا أهملت بنتي علشان أدور على ليلى.. شفت إنت عملت إيه في حياة كام واحد.. كام أسرة اتأذت بسببك.. سيبني دلوقتي

أدور على ليلى.. أو على إللي فاضل منها.. يارب تكون لسه عايشة.. إدعيلها بدل ما إنت بتتخانق معايا..

انـصرف عمر لمقابلة خالد صديقه صاحـب مراكز الغوص في دهب وشرم والذي سـيبدأ مع الحكومة ورجال الإنقـاذ محاولات البحث عن ضحايا الطائرة وسينضم لهم عمر باعتباره محترفًا..

***

بكت نادين بشدة بعد اتصال داليا بها.. لقد ماتت ملك.. هرعت تبحث في الشاطئ عن عمر أبلغت عادل أن يجري اتصالاته للبحث عنه.. وبالفعل ذهب عادل لموقع الحادث مع أحد أصدقائه المسئولين هنا في شرم الشيخ للبحث عن عمر بين فرق البحث عن الضحايا.. لم يجده لكنه علم أنه نزل المياه مع فرق البحث للبحث عن الضحايا.. ولم يشـأ عادل أن ينصرف.. لكنه طلب من نادين أن تأخذ الأولاد وتذهب إلى داليا في المستشفى لتكون معها في تلك اللحظات.. وسينتظر هو قليلًا وإذا لم يخرج عمر بعد ساعة سيترك له رسالة هنا مع المسئولين وسيأتي هو إليهما في المستشفى..

***

ليـلى.. أين أنـت حبيبتي.. كم أتمنـى أنا ألقاكِ.. لـو تعلمين ما فعلته وما بذلته من أجلك.. من أجل أن ألقاكِ.. ابنتي على فراش الموت تركتها

من أجلـك.. تركت العالم كله من أجلك أنـت حبيبتي من أجل البحث عنـك.. ولكن القدر يتلاعـب بنا مرة أخرى ويجعلنـي أبحث عنك بين الضحايـا بين عداد الأموات وليس بـين الأحياء.. الآن أتمنى أن ألقاكِ.. أن أمسك بيديك حتى وإن كانت جثة هامدة.. أرأيتِ كيف أوصلنا القدر إلى هـذا الاختيار.. اختيار بين أن ألقـاك جثة كاملة أو أن أجد جزءًا منها فقـط لاغير..؟ أتمنـى حبيبتي لو ألقاك جثة كاملـة.. ولكن المؤشرات لا تدل على ذلك.. معظم الجثث مشـوهة أو بقايا جثث.. انفجرت الطائرة جـوا ومات الجميع.. والبحث الآن جارٍ عن بقايا أو آثار للجثث قبل أن تلتهمها الأسماك..

حقائب.. دماء.. بقايا الجثث تطفو.. أمسك عمر بيد إحدى الجثث.. تحسسـها جيدًا.. إنها هي.. يد ليلى ترتدي خاتمه الذي أهداه لها من قبل.. أمسكها جيدًا وتشبث بها.. قبلها.. احتضن تلك اليد التي تمنى أن يقبلها ويضع خاتم الزفاف في يدها يومًا ما.. لكنها اليوم يد بلا جسـد.. يد بلا حراك.. أمسـكها وخرج بها من الماء.. رفض أن يسلمها إلى السلطات.. وجـد عادل في انتظاره.. طلب من عـادل أن يخبرهم أن يتركوا تلك اليد معه.. رفضت السـلطات ذلك.. إلا أن حسين السعداوي أمره أن يتسلم تلك اليد إنها ما تبقى من ابنته فقط لا غير..

أمسكه عادل وأخبره بأن ابنته في حالة حرجة وعليه أن يذهب معه إلى

المستشـفى لم يشـأ أن يخبره بوفاتها.. خلع ملابس الغوص مسرعًا ومسح دموعه وأمسك يد ليلى يقبلها.. واحتضنها وطلب من حسين أن يأتي معهم إلى المستشـفى بتلك اليد.. فهي آخر ما تبقى من ليلى.. وارتدى ملابسـه مسرعًا وخرج مع عادل وحسين في السيارة إلى المستشفى..

ملك ماتت يا عمر.. جئت متأخرًا كما هي عادتك دائمًا.. تركت ابنتك تموت وذهبت تنقذ جثثًا لا تعلم عنها شيئًا..

ترك عمر داليا تتحدث ودخل مسرعًا إلى حجرة الرعاية ليمسـك بيد ابنته الصغيرة يقبلها.. وجدها باردة بلا حراك.. وفي يده الأخرى يد ليلى باردة أيضًا بلا دماء تسري فيها..!

انهمر الدمع من عينيه.. حاول الأطباء أن يمسكوا يديه لينهض إلا أنه لم يستطع.. لم يترك يد ابنته ولا يد ليلى.. نادته داليا وهي تبكي.. وأمسك عادل به وخرج معه خارج الغرفة.. نظر بعينيه فوجد حسين ونادين بجواره.. وحمزة ابنه يبكي بشدة وبجواره عمر وليلى أبناء محبوبته الذين أتوا إلى المستشفى عـلى أمل رؤية أمهم أيضًا.. الدموع في أعـين الجميع.. تجمع غريب تمناه بالأمـس في أن يرى كل هؤلاء في ليلة عرسـه مع ليلى.. لكنه الآن يراه في ليلة وفاتها.. هكذا الحزن يجمع بين الناس كما الفرح تمامًا.. لا فرق بينهما.. هنـا دموع الحزن وهناك دموع الفـرح.. هنا أهل وأصدقاء يتجمعون مع بعضهم البعض للمواساة وهناك يتجمعون للضحك والتهاني..

أدار عمر وجهه.. وترك يد ليلى تسقط من يده.. وأفلت نفسه من عادل.. ألقى نظرة باهتة على زوجته وابنه الصغير.. وتركهم جميعًا وانصرف عائدًا إلى سوهو..

المؤلف في سطور

أحمد محمد عبد الغني
- كاتب وصحفي.
- رئيس القسم الثقافي بمركز مصر للبحوث والدراسات الإنمائية.
- رئيس قسم باب بريد البوسطجي بمجلة البوسطجي.
البريد الإليكتروني:
mabdelghanya@gmail.com

الإصدرات السابقة

صدر له 6 أعمال أدبية حتى الآن:
هـي 5 كتب في مجال الأدب السـاخر من إصـدار دار كلمات عربية للنشر والتوزيع وهي:
1 – كتاب "هي دي مصر" في سبتمبر 2011.
2 – كتاب "دماغ ستات" في يناير 2013.
3 – كتاب "لقد وقعنا في الحظر" في ديسمبر 2013.
4 – كتاب "عودة الرئيس" في يناير 2014.
5 – كتاب "دماغ ستات 2... ولسه مكملين" يناير 2015.
6 – رواية "باراكوسيا"، عن دار ضاد للطبع والنشر، يناير 2017.